ميشيل عفلق

في سبيل البعث

الكتابات السياسية الكاملة

الجزء الثاني
معركة المصير الواحد

الكتابات السياسية الكاملة

الجزء الثاني

معركة المصير الواحد

الفهرست

الباب الثالث
معركة الوحدة

الباب الرابع
النكسات القومية

ولـد الـرفيق ميشيـل عفلق في التـاسـع عشر* من كانون الثاني سنة ١٩١٠، **في دمشق**، من عائلة، كانت فيهـا أسـرة والـده **يوسف عفلق** فرعـاً من أسرة **ابو عسلة** من راشيا الوادي في البقاع. وكانت أمه السيدة رسمية تنتسب الى أسرة **زيدان** من حمص.

وفي هذا البيت من حي **الميدان** المعروف من احياء دمشق القديمة، نشأ الرفيق ميشيل عفلق. وكانت أسرته جزءاً صميماً من هذا الحي المناضل العريق الذي كان معقـل الـوطنيـة والعـروبة ومنبت الثورات الوطنية. فقد بدأت الثورة السورية منه عام ١٩٢٥، وكانت له مشاركة في كل ثورات فلسطين.

في هذه البيئـة الـوطنيـة العـربيـة تفتحت عينـا الـرفيق ميشيـل عفلق على صور الابتهاج بأول حكم استقلالي عربي عام ١٩١٨ بقيادة **فيصل بن الحسين**، ثم على صدمـة الاحتـلال الفـرنسي، وعلى مشـاركـة أهـل حي الميـدان الواسعة في **معركة ميسلون** لمواجهة جيش الاحتلال الذي قوض استقلال سورية عام ١٩٢٠.

كانت القـراءآت والمطـالعات الاولى للرفيق ميشيل عفلق تتفاعل مع معاناة هذه البيئـة الـوطنيـة العربية التي نشأ فيها. وكان لخاله الدكتور **شكري زيدان** أثر كبير في توجيههـا. فقـد تركـزت تلك القراءات حول الأدب والتاريخ العربيين، وحول الشعر الوطني وادب المهجر، والاطلاع على حياة الرسول العربي من خلال ابطال **كارلايل**، وكـذلـك على بعض الكتـابات العلمية والاجتماعية **لاسماعيل مظهر والشمّيل**. . كمـا شملت مطـالعـاتـه الادبية والفكرية، منذ وقت مبكر لزوميات ابي العلاء وديوان المتنبّي، وروايـات جرجي زيـدان عن التاريخ العربي الاسلامي. . وكان لذلك كله

---

* ورد سهواً في الجزء الاول من الكتابات السياسية الكاملة ـ في سبيل البعث، تاريخ ولادة الاستاذ ميشيل عفلق (في التاسع من كانون الثاني سنة ١٩١٠).

أثر في تنمية الوعي الوطني والقومي وتعميقه لدى الرفيق ميشيل عفلق . لذلك جاءت احداث الثورة السورية المسلحة عام ١٩٢٥ ، ومعايشته اليومية لأجوائها وأخبارها ، عاملاً مهماً جديداً في تطوير ذلك الوعي ، وبخاصة عندما تزامنت معها احداث ثورة عربية اخرى في الريف المغربي ، على المستعمر الفرنسي نفسه ، وعندما اضطرت فرنسا ، في النهاية ، الى اتباع سياسة المفاوضة ، تجمع الوطنيون في حزب عرف **بالكتلة الوطنية** ، واشتركوا في اول مجلس تأسيسي ، وفي وضع دستور ١٩٢٨ ، وكان طبيعيا ان تجد الاسرة نفسها ضمن هذا التكتل الوطني الجديد ، الذي اخذ على عاتقه يومذاك قيادة النضال السياسي ، ومشاركة عميدها يوسف عفلق في نشاطاته ، وكان ابنه ميشيل هو ايضاً مؤيداً لهذا التكتل وثبت على موقفه هذا رغم كل التقلبات السياسية حتى انتهاء المرحلة الثانوية من الدراسة وسفره لمواصلة دراسته في الغرب .

سافر ميشيل عفلق الى باريس ، وهو في الثامنة عشرة من عمره ، للدراسة في كلية آداب السوربون والحصول على الشهادة الأولية الجامعية منها في حقل التاريخ ، وهناك انخرط في ممارسة النشاط الطلابي مرة واحدة ، فانضم الى جمعيتين هما **الجمعية العربية السورية وجمعية الثقافة العربية** ، وكانت الجمعية الأولى سياسية تطالب بالاستقلال والدفاع عن قضية فلسطين وتدعو الى الوحدة العربية الشاملة ، بينما كان عمل الجمعية الاخرى ثقافيا يعتمد اسلوب التثقيف بالقاء المحاضرات التي تتناول اعمال الأدباء العرب القدامى ، والتعريف بالأدب والفكر العربي ، كما تهدف من خلال نشاطاتها هذه ـ الى تذكير العرب انفسهم بأنهم ابناء ثقافة وحضارة واحدة .

درس الرفيق ميشيل عفلق في باريس التاريخ دراسة منهجية بوصفه موضوع تخصصه ، ولكنه لم يحصر قراءآته في هذا النطاق وحده ، وانما انهمك في الاطلاع على اعمال ابرز المفكرين الاوربيين من معاصرين ، ومن ابناء القرن التاسع عشر ، امثال نيتشه ، وماركس ، ودستويفسكي وتولستوى وبيرغسون ، واناتول فرانس ، واندريه جيد . ومع أنه شغف بآراء اولئك الكتاب وبأساليبهم الا انه لم ينس أمته في تاريخها وحضارتها وخصائصها وفي واقعها ومشكلاتها وما تعانيه من استعمار وتخلف

وأستغـلال، فانبـرى يدرس المـاضي بعمق ورويـة، ويحلل الحـاضـر بتنـاقضـاتـه وصراعاته، ليستشرف ـ من بعد ذلك ـ المستقبل بما يخبئه من دور متميز لهذه الامة في سياسة العالم وحضارته.

وفي باريس، حيث يلتقي الطلبـة من معظم اقطـار العـروبـة، كانت محاوراته مع الطلبـة العـرب، وبخـاصة المغاربة منهم، تعزز لديه قناعته بوحدة مشكلات ومصير الاقطـار العـربيـة، وتؤكـد له، ان مؤامـرة واسعة ومحبوكة الاطراف كالتي يتعرض لها الـوطن العـربي، لا بد ان تقـابلها ارادة موحدة لتحبطها وترد عليها، فلا فائدة اذن من تنظيمات محلية تظهر هنا وهناك، مهما رفعت من دعاوى وشعارات، وانما ينبغي ان يكـون ثمـة تنظيم واحـد بقيـادة واحدة، وعقيدة واضحة، ينتظم العمل السياسي في الوطن العربي كله، فيناضل من أجل ان تكون الوحدة العربية بديلا عن حالة التجزئة القـائمـة ومن أجل ان تكون الحرية بديلا للاستبداد والاستعمار، ومن أجل اشتراكية انسانية تكون بديلا للرجعية والاقطاع.

وقـد وجـدت هذه الافكـار استجـابـة لدى بعض زمـلاء ميشيـل عفلق وأصـدقائه وبخـاصـة صلاح الـدين البيطـار، الذي كان يدرس الفيزياء آنذاك، فتعاهد الشابان على العمـل معـاً من اجـل القضية الواحدة، وعلى ان يهبا حياتهما عند عودتهما الى الوطن، الى ذلك الهدف السامي النبيل.

عاد الاستـاذ ميشيـل عفلق مع زميله الى سوريـة عام ١٩٣٣، ليعيّنـا في ثانـويـة واحـدة، هي مدرسـة **التجهيـز الاولى** بدمشق، وكانت اكبر مدارس المدينة واهمها. فدرَّس هو مادة التـاريـخ والاجتمـاعيات، بينما درّس البيطار الفيزياء والفلك، وشرعا بنشر بعض الافكار الأساسية التي ستصبح ـ فيما بعد ـ من طروحات الحزب الاولى.

ومـع ان التـوجهـات الادبية كانت واضحة وواعدة لدى الاستاذ عفلق اذ نشر عدداً من القصص القصيـرة والقصـائـد وجـد فيها النقاد مستوى جديدا للابداع الذي كان سائـداً في تلك المـرحلة. فانه مالبث ان انصرف عن تلك التوجهات بسبب انهماكه في العمـل السيـاسي وتكـريسـه جُلَّ وقته للكتابات التي تدور حول الوحدة العربية، والقـوميـة العـربية ورسالة الامة وشخصيتها واستعدادها لدخول مرحلة ثورية تحررية

أصيلة وعميقة ذات افاق حضارية وانسانية .

أخـذت هذه الأفكـار تستقطب حولهـا عددا من الشباب القوميين المتحمسين من طلبة المدارس والجامعات الذين انتظمهم موقف قومي واحد، وعقيدة ثورية جديدة، الا ان التجمع لم يتحول الى جماعة سياسية اوحركة الا بعد ان استُكمِلَت الشروط الموضوعية لمثل هذا العمل، في بداية الاربعينات، فقام مع زميله البيطار بتكوين اول جماعة سياسية منظمة بأسم الاحياء العربي وصدر بيانها الاول في شباط ١٩٤١ ، وما لبثت هذه الجماعة ان أكدت قوميتها واختلافها عن سائر التنظيمات السورية القطرية، عندما اعلنت تأييدها لانتفاضة العراق التحررية في مايو ايار سنة ١٩٤١ ، وأسست ماعرف باسم حركة نصرة العراق وانخرط فيها كل اعضاء الجماعة الفتية فضلا عن المئات من الشباب القومي المتحمس. ومنذ حزيران ١٩٤٣ اصبحت بيانات الحركة تحمل اسم البعث العربي.

واستفاد هذا التنظيم الجديد من مناسبة الانتخابات العامة في سورية في تموز ١٩٤٣ ، ليعلن عن مبادئه الاساسية ويهيء افكار الشعب لدخول مرحلة جديدة من النضال الثوري العربي. ورشح الاستاذ ميشيل عفلق نفسه في بيان حمل اول واقدم شعارات الحزب: امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة، وكان الاستاذان ميشيل وصلاح قد استقالا من مهنة التدريس قبل ذلك بعام ليتفرغا للعمل الحزبي، وافتتحا اول مكتب للحزب بدمشق سنة ١٩٤٥ ، وفي هذا التاريخ تمت اول حفلة قسم في حياة الحزب ولم يكن عدد اعضائه يومذاك يتجاوز الاربعمائة. وجرى تنظيم الحزب عسكريا في اثناء قصف الفرنسيين دمشق، في ذلك العام، وفي تموز ١٩٤٦ ، اصدرا جريدة البعث اليومية، وفي نيسان ١٩٤٧ ، افتتح الرفيق ميشيل عفلق المؤتمر التأسيسي الاول للحزب، وفيه أُقِرَّ دستور الحزب ونظامه الداخلي، وانتُخِبَ فيه عميدا (امينا عاما) ، ثم شغل هذه المسؤولية حتى الان، عدا سنوات معدودات من ١٩٦٥ ، الى ١٩٦٨ ، والتي دبرت خلالها ونفذت، مؤامرة ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، ورشحه الحزب لدخول الانتخابات البرلمانية سنة ١٩٤٧ ، الا ان تآمر الفئة الحاكمة حال دون فوزه فيها. وفي نيسان ١٩٤٨ ، قاد هو وزميله البيطار، مجموعات

المتطوعيين البعثيين في حرب فلسطين. وبعد عودته من فلسطين، تابع نشاطه السياسي والفكري، فاعتقل في ايلول ١٩٤٨، وحكم عليه بالسجن ستة اشهر. كما ناضل مع رفاقه ضد الدكتاتورية العسكرية، واعتقل مع عدد كبير من رفاقه البعثيين وقادة الاحزاب الوطنية حتى سقوطها عام ١٩٥٤.

وفي الفترة الواقعة بين ١٩٥٥ و١٩٥٨، كان ابرز الداعين الى وحدة سورية ومصر، بما بذل من جهود فكرية وسياسية قوية. وفور قيام ثورة ١٤ تموز في العراق سنة ١٩٥٨، زار الاستاذ ميشيل عفلق بغداد معلنا تأييد الحزب للثورة واسناده اياها. وخلال احداث عهد الانفصال ١٩٦١ - ١٩٦٣، تعرض الاستاذ ميشيل الى الاضطهاد، حتى اذا عاد الحزب الى المشاركة في الحكم في سورية سنة ١٩٦٣، عمد في كتاباته وخطبه ومحاوراته الى تقييم التجارب السابقة واستخلاص الدروس التي من شأنها ان تعمق تجربة الحزب وتقيها الاخطاء والاخطار الداخلية والخارجية المحتملة، احساسا منه بخطر التكتل العسكري الذي اخذ يفرض نفسه على الحياة الحزبية وعلى الاوضاع السياسية العامة في سورية آنذاك.

وكان هذا الاحساس صادقا وصائبا. ففي شباط عام ١٩٦٦، اطاح انقلاب نظمه ذلك التكتل العسكري المشبوه المتستر باسم الحزب، بقيادة الحزب الشرعية نفسها، فاضطر الرفيق ميشيل عفلق الى الاختفاء عن اعين رجال الانقلاب مدة شهرين، حتى تمكن من مغادرة القطر الى لبنان. ورغم تنقله المستمر وتغيير اماكن اقامته، فأنه واصل النضال ومعه رفاقه البعثيون الاصلاء الاوفياء، لكي يصمد الحزب في وجه المؤامرات العديدة التي استهدفته وحاولت تشويه فكرته ونضاله. ولم تطل تلك الفترة، فقد فجر الحزب ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨، في العراق، مما عزز خط الحزب التاريخي الاصيل، وكان الاستاذ ميشيل على صلة وثيقة برفاقه في بغداد يزورهم بين الحين والاخر، فيطلع على نشاطاتهم وانجازاتهم العديدة في مختلف القطاعات، ويلقي الكثير من الخطب والكلمات التي تحتوي على افكاره وتجربته الطويلة.

ومنذ اواسط السبعينات، ترك مقره في بيروت واستقر نهائيا في العراق حيث مقر

القيـادة القـوميـة للحـزب، وحيث تصاغ التجربة البعثية بابهى صورة، مبشرة بعصرٍ عربي جديد تتحقق فيه الاهداف التي طالما ناضل هوورفاقه من اجلها، في الوحدة والحرية والاشتراكية.

الباب الاول

منطلقات اساسـية

كلمة في افتتاح المؤتمر التأسيسي

لم يلاق حزب[1] من الاحزاب العربية ما لاقاه «البعث العربي» من صعوبة النشأة والبداية. فقد مضت عليه ثلاث سنوات وعدد أعضائه دون العشرة ثم تلتها السنوات الاربع الاخيرة. فكان نموه في نصفها الاول، أي في السنتين الاخيرتين من الحرب، لايزال بطيئا. ولم ينتعش الحزب بعض الانتعاش ويستمتع ببعض الحرية في العمل الا في العامين الاخيرين. ابتداء من اشتداد الازمة بين البلاد والافرنسيين عندئذ فرض الحزب نفسه على الحكومة فرضاً. لأن الشعب أخذ ينظر إلى وجود «البعث العربي» كضرورة وطنية. فاتخذ الحزب لنفسه نادياً. وبعد عام من ذلك سمح له باصدار صحيفة. ان نوع الصعوبة التي يلقاها حزبنا مختلف عما هو معروف عن صعوبات العمل السياسي، فهي ليست صعوبة التضييق على الحرية وتحمل الاضطهاد والسجن والاعتقال ـ وان كنا قد عرفنا شيئاً من هذا كله ـ وهي ليست كذلك ما يلقاه المناضلون من آلام الحرمان والاعباء، ولكنها صعوبة الصدق. صدق التفكير وصدق العمل، في مجتمع اختلطت فيه المفاهيم والتبست القيم. وليس أدل على وجود هذا الالتباس وذلك الاختلاط من أن يكون حزبنا الذي يدعو إلى وحدة

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ٥ نيسان ١٩٤٧.

العرب وحريتهم، ويعمل في سبيل رقيهم ونهضتهم، مقاوماً في بلاد أعدت لتكون أخصب تربة لنمو الحركات العربية السليمة، لولا ابتلاؤها بطبقة زيفت حقيقتها، وباعدت بينها وبين مهمتها الاساسية.

لقد كانت العزلة أكبر تجربة مر بها «البعث العربي» في سنوات البداية الشاقة واخذ الآن يخرج منها ظافراً سليماً. هذه العزلة التي كان عليه ان يتحملها ويريدها ويدافع عنها مهما يطل أجلها وتشتد قسوتها. لم يكن ثمة سبب او مبرر ظاهري لانفصالنا عن الحركات التي لاتختلف عن حركتنا في العنوان والاهداف العامة الكبرى. ولكن صعوبة التمييز بين نوعين من الحركات المتشابهة في العنوان المتباينة في الجوهر، هي التي ضمنت لحزبنا ان يتألف من هذا النوع المتين المتفوق من الرجال الذين لم يقدروا على ذلك التمييز العسير والتفريق الدقيق الا لأنهم اختصوا بقدر كبير من سلامة الطبع ونفاذ النظر وحرارة الايمان بأمتهم، وصدق الغيرة على مصلحتها. هؤلاء الرجال الذين جاءوا الى «البعث العربي» كانوا مؤهلين لأن يدركوا ان مشكلة العرب لم تعد في الاختلاف على ارادة الاستقلال والوحدة والنهضة بل على سلوك الطريق المؤدي الى بلوغ هذه الاهداف. اي على نوع عقلية الفئة التي ترسم للامة طريقها، وتتقدمها في هذه الطريق وعلى مدى تجردها وتحررها من كل مايعوقها عن متابعة السير والاستقامة فيه. وبكلمة مختصرة كان رجال «البعث الغربي» مؤهلين لأن يدركوا ان مشكلة العرب الاساسية هي مشكلة القيادة القومية.

لم يكتف حزبنا بأن هيأ الجو الروحي والفكري والوسط العملي لظهور وتنشئة رجال القيادة الجديدة بل بذل جهداً كبيراً لمقاومة ضغط البيئة القديمة وبرهن على وعي وصلابة برفضه الاندماج مع الهيئات الاخرى ذات الافكار والاساليب المرتجلة والتركيب المصطنع، كما برهن على حكمة وبعد نظر بايصاده بابه في وجه الذين لم يقتنع بصدق تبنيهم لفكرته من الانتهازيين والوصوليين.

واليوم يستطيع الحزب أن يجني ثمار صبره وصلابته وحكمته. لأنه توصل بعدده القليل ووسائله اليسيرة إلى أن يحتل المكان المرموق في نظر الشعب العربي. فهذه القوة المعنوية التي يملكها والتي هي ليست سوى التعبير عن قوة فكرته وقدرتها على

صهر معتنقيها، ستسمح له بعد الآن ان يوسع نطاق دعوته، ويخوض ميدان العمل الشعبي الفسيح محققاً بذلك صفة من أثمن الصفات التي يتميز بها ويحرص عليها. ان شدة تشاؤمنا من القيادة القديمة التي لاتزال إلى الآن مسيطرة على مقدرات العرب في الحكومات والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليعصف بها عظم تفاؤلنا بشعبنا العربي وطيب عنصره وخصب حيويته وشدة قابليته للتحرر والانبعاث. نقول ذلك ليس لمجرد اعتقادنا بأن التفاؤل بالشعب هو الشرط الاساسي الذي لاغنى عنه لكل من يتقدم للعمل القومي الجدي بل أيضاً وعلى الاخص لاننا لمسنا كما يستطيع كل ذي فكر حر وكل ذي شعور سليم أن يلمس ان الشعب ما برح منذ يقظتنا الحديثة يقدم البرهان تلو البرهان على استعداده الكبير وامكانياته الغنية التي عجزت القيادة المشغولة بمصالحها وأنانيتها عن إلافادة منها لمصلحة القضية القومية، بل كثيراً ما حاولت خنقها والحيلولة دون ظهورها.

لذلك كانت فكرتنا منذ ولادتها فكرة شعبية تعتبر الشعب أساساً وأصلا في بناء الامة وفي حمل القضية القومية وتوجيهها وتنظيمها. ايها الاخوان! لقد انبثقت حركة البعث العربي عن دوافع ثلاثة وهي:

١ ـ يقيننا بحاجة الامة إلى الانقلاب.

٢ ـ شعورنا بأن الوقت قد حان للشروع في تحقيق هذا الانقلاب.

٣ ـ ايماننا بأن الجيل الجديد هو الاداة المهيأة لهذا التحقيق.

١ ـ ان في الامة العربية حاجة حيوية قاهرة الى تحقيق انقلاب عميق مبدع شامل يبعث فيها طاقتها الروحية الاصيلة الكاملة التي أهلتها في الماضي لخلق أعظم الحضارات والتي تؤهلها اليوم لبناء مستقبل يكمل ماضيها ويتجاوزه ويتفوق عليه. والحاجة عندما تكون بارزة هذا البروز ملحة هذا الالحاح طاغية هذا الطغيان، انما تعني في الوقت نفسه القدرة، اي ان في الامة العربية القدرة اللازمة لتحقيق ما تحتاجه وتنزع اليه.

وينبغي ان نقرر هنا بأنه ليس بين الهيئات العاملة اتفاق على ضرورة الانقلاب ولا اتفاق على غايته ومرماه، ذلك لأن الرأي السائد بين هذه الهيئات هو القول

بالتطور وهذا يعني ان المجتمع سليم الاسس ولكنه مقصر عن غيره ويحتاج فقط الى اصلاح الادارة التنفيذية والاستسلام إلى الزمن الذي هو كفيل بتحقيق الاصلاح المنشود.

ان هذا الموقف خاطىء لأنه يتجاهل حقيقتين ناصعتين:

اولاً ـ ان وضع الامة في ذاته لو كان سليماً لكان الاصلاح ممكناً دوماً ولما ازدادت عمقاً يوماً بعد يوم الهوة التي تفصل بين هذا الواقع الفاسد المنحدر وبين امكان الاصلاح.

ثانياً ـ هذا الموقف الخاطىء يضع الامة العربية في وضع غير طبيعي بالنسبة للعالم. اذ ان الاكتفاء بالاصلاحات الجزئية البطيئة في هذه الغمرة الدافقة التي تسيطر على العالم الخارجي وتحمله على التقدم السريع والانقلابات العميقة من شأنها أن تضعنا في آخر القافلة البشرية وان تزيد الفارق بيننا وبين العالم بدلاً من أن تنقصه.

والتطور انما هو القناع الذي تتوارى خلفه الهيئات المحافظة ذات المصالح الكبرى التي تعيش على حساب الفساد الحاضر وتستر به تخوفها من الانقلاب الذي يهدد مصالحها واستغلالها.

٢ ـ يؤمن «البعث العربي» بأن الوقت قد حان للشروع بتحقيق هذا الانقلاب لأن التأجيل يضعف من امكانيات الانقلاب ويجعل توحيد الجهود القائمة متعذراً يوماً بعد يوم لأن المصالح الاقليمية والتمايز الطبقي ومؤامرات الاستغلال والاستثمار والتكتل الرجعي آخذة في الرسوخ والتقوّي إلى حد يزيد في انعزال الشعب عن الحركة القومية ويضعف من ايمانه بمثلها العليا ويقضي على بذور الانقلاب بالذبول والانكماش.

٣ ـ ان الجيل الذي شعر بهذه الحاجة في أمته شعوراً أسبق وأعمق وأقوى وأكثر جدية من غيره هو هذا الجيل العربي الجديد الذي استكمل شروطه وتهيأ تماماً لتحقيق الانقلاب المنشود. هذا الجيل الثوري يشق طريقه بالنضال ويلتقي بالشعب التقاء عميقاً ويقف واياه جنباً إلى جنب في صف المعارضة للاوضاع القائمة والنضال

من أجل أهدافه الكبرى في الحرية والوحدة والنهضة.

٥ نيسان ١٩٤٧

البعث
هو الانبعاث من الداخل

ان نشوء حزب البعث هو نتيجة حاجة الى معالجة مشاكل الوطن العربي معالجة جذرية وكلية، وعلى أساس أن هذا الوطن يشكل وحدة وان شعبه يشكل امة. وان نقطة انطلاق المعالجة هي الامة نفسها، لابمعنى تجاهل واهمال صلتها بالعالم، ولا بمعنى اعتبارها هي الغاية وكل ما سواها وسيلة لها، بل بقصد الاهتداء الى المعالجة الصحيحة والعميقة لمشاكل هذه الامة، معالجة تنبع من حاجاتها الخاصة ومن تفاعلها مع العالم، دون التقيد بأية نظرة مصطنعة تفرض من الخارج، سواء أكانت أممية طبقية او اممية دينية او أي شيء من هذا القبيل. لاعتقادنا بأن الحاجات الصادقة العميقة لأية امة، وخاصة لامتنا في وضعها الراهن ومرحلتها التاريخية الحاضرة، تتضمن بالضرورة الحاجة الى قيام تعاون متين الأسس وواضح الاتجاه بينها وبين الامم الاخرى، اوبالاصح، قيام تعاون عالمي تكون هي جزءاً فعالاً فيه. واعتبرنا ان الانطلاق من الداخل الى الخارج هو الطريق الصحيح لا العكس، لأن تسخير الأمم والشعوب لنظام من فوقها ومن خارجها يبقى، الى حد بعيد، في العمل والتطبيق وفي الاوضاع الراهنة للعالم، ومهما تكن القيود والضوابط، تسخيراً لهذه الامم والشعوب لمصلحة اتجاه وظروف أمة معينة يتجسد فيها هذا النظام.

وكان القصد من هذه النظرة ان نتجاوز وضع المسألة على شكل غاية ووسيلة

الى ما يوحد بأكثر قدر ممكن بين الغاية والوسيلة، فلا يعود أي شعب وأي بلد وسيلة لغيره او غاية تكون الشعوب والبلدان الاخرى وسائل له.

هذه النظرة مبررة بوضع الامة العربية في هذه المرحلة، اذ ان العدوان على حريتها وسيادتها ووحدتها يأتي من الخارج، ومن الخارج ايضاً يُقدَّم لها الحلّ «الثوري» الذي يدّعي انه يكفل لها استرداد سيادتها واستقلالها والتخلص مما ترزح تحته من استعمار اجنبي وتخلف واستغلال. اي انه لايحسب لارادتها حساب ولا لما تشترطه الثورة من تحريك عميق للقوى الذاتية.

وليس الأمر مقتصراً على هذا الحد، اذ ان هناك فرقاً أساسياً بين صورة الثورة واسلوبها واهدافها، والمعاني الكثيرة التي تحملها عندما تكون نابعة من الداخل ونتيجة معاناة وتجربة كاملة، وبين صورتها عندما تفرض من الخارج وتستقى من تجربة أخرى مختلفة.

ان فكرة البعث تحاول ان ترتفع فوق كل من المنطق القومي المتعصب والمنطق الاممي المتعسف، فأولهما يجعل مصلحة الامة هي الغاية ويكون اهتمامه بالمشاكل العالمية بمقدار ماتمس هذه المشاكل مصلحة الامة فحسب. والآخر يتخذ من تحقيق الثورة العالمية غاية ومن المصالح الخاصة بكل امة وسائل لهذه الغاية. اما منطق البعث فهو يربط بين القومية والانسانية حتى لتكاد تصبح احداهما مرادفة للأخرى، فالانسانية لديه ليست شيئاً اعلى من القومية، وبالتالي فهو لايعتبر القومية مرحلة مؤقتة.

ان مفهوما معينا للثورة العالمية يوحي بإهمال الحاجات الأساسية العميقة لكل امة بمفردها من أجل تلبية حاجات الثورة العالمية. واذا سمح بمعالجة مثل هذه الاحتياجات الضرورية والخاصة بكل أمة في حدود قوميتها وظروفها الاجتماعية والفكرية، فان هذه المعالجة تتم على مستوى سطحي ومفتعل. وينتج عن هذا، ليس فقط ان تظل هناك احتياجات أصيلة في داخل كل امة لم تلبّ، وانما ايضاً ان يتناقض هذا المنطق مع نفسه بمعنى انه لايحقق مايدّعي انه يرمي الى تحقيقه من حيث انه منطق ثوري. فالعلاج الصحيح للمجتمع العالمي انما يكون بتلبية

الحـاجـات الخـاصـة بكل امة وبمعالجة مشاكلها المعالجة المناسبة لها الناتجة عن ظروفهـا هي نفسهـا بكـل تعقيـداتها، وبهذا تغني كل امة بقية الامم نتيجة ممارستها لتجربتها الخاصة.

فالـذي نريـد ان نؤكـده دوماً هو ان حركة البعث حركة قومية بمعنى انها من داخل الامـة، ولهـذا فهي تتمتـع بحـرية كبيرة لانها تستوحي افكارها وخططها من حاجات الشعب العربي. فهذا الموقف يعطيها قوة خاصة لأنها واثقة من تجاوبها مع حاجات الأمة ومع ظروف البلاد، ولثقتها هذه تتكلم وتعمل بجرأة وصراحة أكثر من أية حركة أخرى، ولاتحتاج الى التناقض أو التحولات المفاجئة بين حين وآخر. فهي اذن لعدم تقييـد حريتهـا منـذ البداية بحركة أو نظرة خارجة عن ظروف وحاجات الأمة العربية، أقرب بكثير الى الانسجام مع نفسها دوماً وأكثر جرأة في الاعلان عن اهدافها الثورية وفي اتباع الأسلوب الثوري المنسجم مع هذه الاهداف، وبالتالي في تحريك القوى الثورية للمجتمع لأنها ليست مشبوهة في نظر الشعب أو غريبة عنه.

وهـذه القـوة تمكنهـا من زيـادة ثوريتهـا، وزيـادة صراحتهـا في العمـل الثوري وبـالاسلوب الثـوري. امـا الحـركـة التي لاتستطيـع ان تكسب ثقة الجماهير ويبقى جمهورها محدوداً، فهي مضطرة اذن الى ان تداور وتوارب وتبتعد عن النهج الثوري، اي الى الظهور على غير ما تدّعي أنه حقيقتها.

فحـركـة البعث تقـوم فعـلاً على الوعي الشعبي، الذي هو اكبر قوة تستند اليها، لأنها منطقية مع نفسها ومع الشعب، في حين ان حركات أخرى لاتستطيع ان تعتمد كثيـراً على الـوعي الا في نطـاق القلة الحزبية المنظمة والقادرة على ان تفسر اسباب البعـد عن الصـراحـة والتكتم في الأهـداف. امـا بالنسبة للجماهير الواسعة فيتعذر على هذه الحركات ان تشكل لها وعياً، نتيجة هذا البعد بين اهدافها البعيدة وأهدافها القريبة، بين ممارستها وبين نظريتها.

القاهرة، آذار ١٩٥٧

القومية حقيقة حية ذات مضمون ايجابي انساني

لقد انطلقت فكرتنا من خطوط اساسية كبرى[1]، تعتبر أولاً ان القومية حقيقة حية لايمكن تجاهلها ولايمكن افناؤها وليس من الخير ان تتجاهل او تفنى، اذا ما فهمت فهماً سليماً، واذا ما بنيت على اسس انسانية متينة ايجابية، لادخل للتعصب والانكماش ولعوامل التفرقة فيها. لم يُظهر لنا التاريخ الانساني بعد ان القومية شيء طارىء عابر سطحي يمكن ان يتلاشى تبعاً لتبدل الظروف السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية بل ان ما يرينا اياه التاريخ هو ان القومية تتغلب على شتى التبدلات السياسية والاجتماعية وغيرها، وتظل حية حتى في حالة ضعفها وتراخي روابطها وغموض وعيها لذاتها.

والنظرة المتعمقة ترينا ان القومية، وان كانت تتأثر وتتغذى بكثير من العوامل الاقتصادية والاجتماعية، الا انها تظل أعمق من هذه العوامل وأرسخ قدماً وأبعد غوراً في التاريخ، فهي من صنع اجيال وقرون وهي نتيجة تراكم طويل وتفاعل عميق أوصل الى خلق صفات مشتركة وروابط روحية ومادية بين مجموعة من البشر أصبحت هي الشخصية المعبرة عن هذه المجموعة وهي المجال الطبيعي والحياتي الذي

---

(١) حديث القي في نادي المغرب بالقاهرة في ٢٢ آذار ١٩٥٧.

تنطلق فيه هذه المجموعة في تحقيق انسانيتها.

والقومية ليست كما يمكن ان يوهم التفكير المنطقي السطحي درجة في سلم التطور والارتقاء، وان بينها وبين الانسانية فاصلاً اساسياً وتفاوتاً في الدرجة والقيمة، بل انها هي تربة الانسانية وهي المجال الحي لاخصابها، وان الانسانية ليست وضعاً اجتماعياً أو سياسياً يمكن ان يتحقق تحققاً مادياً في التاريخ، بل هي روح واتجاه ومثل تنبثّ في تكوين الشعوب والامم وتلون حضارتها وتوجه سلوكها واخلاقها، فالانسانية مرافقة للقومية وليست لاحقة لها.

واذا فهمنا القومية فهماً ايجابياً سليماً، فاننا لن نراها ولن نقيمها على صورة تعزل الامم بعضها عن بعض، وتوجد بينها الحواجز والاحقاد، بل نراها في سبيل التفاهم والتعاون الواقعي المجدي بين الامم، وسبيل التكامل والتنافس الايجابي لكي يكتمل المعنى الانساني بهذا التنوع، ولكي تكتمل الحضارة الانسانية بهذا التخصص. فبقاء القوميات لايعني تعذر قيام روابط انسانية أعلى وأوسع من الرابطة القومية، فقد توجد روابط روحية او مادية دائمة او عارضة بين مجموعة من الامم، تربط فيما بينها سواء رابطة الدين المشترك بين عدد من الامم، او الوضع الجغرافي في قارة من القارات، او النظام الاجتماعي المتماثل او المتقارب، او الضرورة الاقتصادية للتعامل والتبادل، كما يمكن ان توجد روابط تدفع عدداً من الامم الى التفاهم والتعاون لدفع خطر معين، ولتغذية اتجاه جديد فيه خير لمجموعها ولمجموع الانسانية، كما يحدث الآن في التكتل الاسيوي الافريقي بين أمم عانت تجربة واحدة او متقاربة في معاناة الاستعمار مدة من الزمن وفي مكافحته والتحرر منه والسعي للدفاع عن نفسها ضد احتمال عودته، والعمل على اشاعة روح السلم والتعاون بين جميع الشعوب لكي يتقلص الاستعمار وينحسر ويخف أذاه وينعدم بالنسبة لهذه الامم الاسيوية والافريقية، وبالنسبة لشعوب العالم كله.

اذن فالشيء الذي نقوله ونؤمن به هو ان وجود شخصية للأمة، واضحة متميزة، نامية وناضجة، هو الشيء الايجابي المثمر الخيّر الذي يساعد على التعاون بدلاً من ان يعوقه، ويفتح الامم بعضها على بعض، ويوجد بينها التجاوب، وان فقدان هذه

الشخصية او انطماسها وغموضها هو المعرقل للتعاون وهو المغلق لنفوس الشعوب اذ أن الذي لايعرف نفسه لايستطيع ان يعرف غيره، والشعب الذي لايحس بشخصيته وبالروابط التي تربط افراده بعضاً الى بعض، من العبث ان يشعر بروابط تتطلب جهداً أكبر وتعمقاً اكثر. هذا هو فهمنا الايجابي للقومية بأنها هي هذا المستوى الناضج الذي بلغته المجموعات البشرية نتيجة تفاعل قرون طويلة بين افرادها وبين الظروف الطبيعية والتاريخية التي مرّت بها والتي نسجت فيما بينها روابط مادية وروحية مشتركة، اهمها واعلاها هي رابطة الثقافة.

هذه هي النقطة الاولى التي انطلقنا منها عندما بدأنا عملنا من أجل تحقيق اهداف الامة العربية في هذه المرحلة، في التحرر والحرية وفي الوحدة القومية وفي تبديل النظام الاجتماعي الفاسد، وان نستبدل به نظاماً تقدمياً سليماً يضمن انطلاق مواهب المواطنين جميعاً، ويضمن الانسجام فيما بينهم، وزيادة الانتاج في وطننا وتكافؤ امتنا مع غيرها من الأمم، وتكافؤها مع مسئوليتها التاريخية. فلم نفكر طويلاً في البحث والتنقيب عن مقومات الامة العربية، وهل لها من المقومات والروابط المشتركة بين جميع اقطارها وأبنائها ما يبرر وحدتها ووحدة نضالها ووحدة اهدافها. فذلك واضح يفرض نفسه فرضاً، ولايجادل فيه الا المكابرون والا ذوو الاغراض من المستعمرين الذين ادخلوا التشكك في اذهان بعض ابناء شعبنا، واستغلوا حالة الجهل وحالة التفرقة، وحالة انخفاض مستوى الحيوّية ومستوى الحضارة والوعي في امتنا، فأطلقوا هذه الشكوك ليتركونا نجادل في البديهيات.

ولم نر ان من واجبنا البدء في تقديم البراهين على قوميتنا ومبررات وجودها، لاننا لم نتصور هذه القومية تصوراً سلبياً، لم نتصور انها وجدت لتخاصم غيرها، ولكي تثبت وجودها وحقها ازاء قوميات اخرى، أو لكي تدعي التفوق او حق السيطرة على غيرها او لتدفع التهمة عن نفسها. لم ننظر الى امتنا هذه النظرة المنفعلة السلبية، بل اعتبرنا هذا الوجود القومي يعلن عن نفسه بنفسه، وبمجرد استمراره وتغلبه على نواحي الضعف التي طرأت على الامة العربية طوال عدة قرون، والتغلب على المحن التي خلفها الاستعمار الخبيث الذي عمل جاهداً لتفكيك قوميتنا، فمجرد

استمرار هذا الشعب واستمرار شعوره برابطته وبتراحمه هو دليل على ان هذه القومية قائمة وباقية. . وانما التفتنا الى ما هو اجدى، التفتنا الى الناحية الايجابية، لالنخاصم أمماً أخرى، ولا لندفع عن أنفسنا التهم، بل لنصلح من شؤوننا، ونزيل عوامل الضعف، التفتنا الى محتوى القومية لنبني وعيها على أسس سليمة فعالة، وقلنا ان الشيء الذي يهم العرب في هذا الوقت هو ان يتحرروا من الاستعمار الاجنبي، وان يتحرروا من النظام الاجتماعي الفاسد الذي يخنق قواهم ويعطل طاقتهم، ويهدر امكانياتهم، ويتحرروا من التجزئة المصطنعة التي قطعت اوصال الجسم الواحد ويتحرروا من كل العوائق الرجعية التي تقيد العقل وتمنعه من التجدد والابداع، وتغل المجتمع بقيود العادات والتقاليد السقيمة التي لم تعد تتجاوب مع الحياة، هذا هو ما فهمناه من القومية. ان مشكلتها ليست في البرهان على وجودها وانما في تحقيق مضمون ايجابي حي لها.

٢٢ آذار ١٩٥٧

الباب الثاني
معركة التحرر

لماذا نحرص على الحرية
معركة الحرية معركة حياة او موت

كانت عقيدتنا[1] دوماً ان الحرية ليست شيئاً كمالياً في حياة الامة يمكن الاستغناء عنه، بل انها أساس هذه الحياة وجوهرها ومعناها. والحرية لاتتجزأ فلا يمكن أن نثور على الاستعمار الاجنبي ثم نسكت عن الاستبداد الوطني، لأن الدافع الذي كان يحركنا ضد الاستعمار هو نفسه الذي يمنعنا الآن من الرضا بالاستبداد. ونحن مقتنعون بأن الاستعمار هو خطر ماثل دوماً، ممكن الوقوع أبداً، فاذا عوّد الشعب على الاستهانة بالحرية والرضا بالخنوع، كان معرضاً في كل دقيقة لعودة الاستعمار الاجنبي من جديد. أما الذين لايستطيعون أن يحكموا الشعب الا اذا استعبدوه، فهذا الشعب الذي غلب الاستعمار سوف يريهم كيف يستطيع التخلص من حكمهم والتحرر من عبوديتهم.

ان الفئة المتحكمة اليوم بمصير البلاد مسوقة حتماً الى استغلال الحكم بكل الوسائل، لأنها مضطرة الى ارضاء الاسر الكبيرة التي انما جاءت هذه الفئة الى الحكم لتمثل مصالحها، والى ارضاء الانصار الذين تعتمد عليهم، وتيسير مصالح كبار التجار الذين يسندونها في الظروف الحرجة. ولكن هذا الاستغلال لثروة البلاد

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ٩ آب ١٩٤٦.

ووظائف الدولة ليس هو اكبر اخطار هذه الفئة، لأن البلاد قد تحملت من استغلال المستعمر وسرقاته ما هو أشد وادهى، واستطاعت بالرغم من ذلك ان تحتفظ بقواها النضالية وتظفر آخر الأمر باستقلالها، ولكن الخطر الحقيقي الجسيم هو في ان الفئة الحاكمة، لكي تصل الى ما تريد من استغلال لثروة البلاد ووظائف الدولة، لا تستطيع ان تلجأ، كما كان يفعل المستعمر، الى قوة الجيش، او أن تتذرع بحق الفتح، ولا بد لها لذلك من ان تحتال على دستور الدولة وقوانينها، لكي تحول دون مراقبة الشعب لها، واعتراضه على اعمالها، ومن هنا يأتي عداؤها للحرية وأعتداؤها عليها.

هكذا تبيح الفئة الحاكمة لنفسها ان تضحي بأهم مقومات حياة الامة واقدس قيمها، وهي الحرية، في سبيل ضمان الاستغلال المادي، فالحرية لاتعني غير تربية الشعب تربية اخلاقية قومية صحيحة. اما الشعب الذي يحال بينه وبين الاطلاع على الحقيقة ويرى الخطأ فلا يتمكن من اصلاحه، ويلمس الفساد الصارخ فلا يسمح له بأن يرفع صوته في وجهه، ويشاهد ارادته تشوه أمامه فيراض بالضغط والحيلة والرشوة على قبول هذا التشويه، والنظر الى مشوّهي ارادته، وخائني أمانته، على أنهم ممثلوه الشرعيون الحقيقيون، ان شعباً كهذا لا يقوده الحكام نحو الاستقلال والحكم الذاتي، بل يقتلون فيه الفضائل التي كسب بها استقلاله ويطفئون في قلبه الشعلة التي وعى على ضوئها ذاته، ويعرضون حرية وطنه للضياع، لأنهم أفسدوا عليه معنى الحرية.

وبعد، فلسنا في حرصنا على الحرية ودفاعنا عنها نتعلق بشيء نظري لا علاقة له بالواقع، فالحرية هي التي تسمح للشعب ان يعرف اين يذهب خبزه اليومي، وكيف تبذر ثروته وثمار عمله وانتاجه، ولماذا يتلاعب الحكام بالوظائف ويفسدون الضمائر ويعبثون بالكفاءة، ويستبعدون النزاهة، لكي يضمنوا نجاحهم في الانتخابات، ويبقوا البلاد في قبضتهم مانعين عنها كل تقدم، فارضين عليها الاستمرار في التدهور الاخلاقي والافلاس المادي. والحرية هي التي تتيح للشعب ان يعرف المدى الذي بلغه في تحقيق استقلاله وتوطيده، والنواقص التي تشوب هذا

الاستقلال والاخطار الاجنبية التي تهدده فيدرك السبب في هذا التقصير الملموس تجاه قضية حيوية كقضية فلسطين. ويعرف السر في هيمنة النفوذ الاجنبي على سياستنا العربية، وانحصارنا في نطاق هذا النفوذ وتقيدنا به. ويطلع اخيراً على تغلغل الشركات الاجنبية في بلادنا، وابتلاعها لنقدنا وثرواتنا واستبدادها بعمالنا، وتآمرها علينا بشكل يجعل من استقلالنا هيكلاً عظمياً لالحم فيه ولا دم.

فالدفاع عن الحرية اذن هو دفاع عن حياتنا، لذلك فمعركة الحرية ستكون معركة حياة أو موت، ولن تخدعنا تلك الحجج الواهية التي تتذرع بها الحكومة لتقول ان للحرية أضراراً ومحاذير. فنفع الحرية يربو على ضررها، وان اطمئناننا على سلامة أرضنا واخلاق أمتنا، ومستقبل أجيالنا، لأعز علينا وأغلى عندنا من الحرص على هيبة الحكم وراحة الحاكمين.

ليست الحرية مواد في الدستور، ونصوصاً في القوانين، وليست هي مجرد موضوع للخطابة والكتابة، ولكنها عمل قبل كلّ شيء، إنها لن تدخل حياتنا مالم نرخص الحياة في سبيلها، ولن نفرض على الحاكمين احترامها، ونشعر الشعب بقيمتها وقدسيتها، اذا لم يكن ايماننا بها جهاداً، ودفاعنا عنها استشهاداً.

٩ آب ١٩٤٦

للامة العربية عمل شعبي واحد

ايها الاخوان[1] :

في هذا الاجتماع الذي نعقده اليوم لتكريم وفد كريم لقطر عربي شقيق، يحلو لي ان ابدأ كلامي بشعور شخصي شعرت به دوماً في نفسي، وهو انني لا اتصور قوميتي العربية تصوراً واضحاً قوياً الا عندما اتصل بعرب بعيدين عن سورية، او اشارك في العمل لقضية قطر عربي بعيد. في مثل هذه الحالات تتجسم في نفسي هذه الصلة القومية العميقة التي تفوق الوصف، ويمتلىء طريق العمل امامي بالنور، وتبدو الأهداف واضحة جلية. هذا ما شعرت به قبل ست سنوات عندما اعلن العراق حربه الجريئة على بريطانيا، وقبل ثماني عشرة سنة عندما جمعتنا ايام الدراسة والنضال بأخواننا عرب المغرب في اوروبا، ومنذ عهد قريب عندما اخذ مناضلو المغرب العربي يفدون علينا في هذه البلاد، وفي هذه الأشهر الاخيرة عندما وردت الينا رسائل من احرار اليمن المضطهدين يؤيدون فيها حركة البعث العربي ويذكرون لصحيفة «البعث» اهتمامها بقضية الشعب العربي في اليمن، وفي هذه الأيام الأخيرة التي سنحت فيها لنا الفرصة بأن نلقى اخواننا الآتين من السودان، هذا القطر العربي

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ١١ آذار ١٩٤٧.

العزيز الذي كادت صلتنا به تنقطع مع الأيام، بالرغم من انه موطن شعب عربي اصيل وقبائل عربية معروفة.

انني في مثل هذه الحالات اتجه بفكري وقلبي الى الله احمده واشكره على ان خلقنا عرباً وجعل الوطن العربي في مثل هذا الاتساع، فجعل بذلك النفس العربية واسعة رحبة الأرجاء.

ايها الاخوان:

ان وفد السودان يأتي ليشرح لأخوانه العرب شكاة طالما عرفها العرب وشكوا منها ليس في السودان فحسب، بل في اكثر اقطارهم، وخاصة في سورية ولبنان الا وهي المهزلة الأزلية التي يصطنعها المستعمر اللئيم، انكليزياً كان ام افرنسياً أو ايطالياً؟ مهزلة التجزئة والانفصال فهل نحن غرباء عن هذه المآسي التي ظلت سورية الى الأمس القريب مسرحاً لها، وهل نحن حقاً بحاجة الى الاطلاع على اكاذيب الاستعمار واراجيفه، وهو الذي يختلق اقليات وهمية يدعي الغيرة عليها، ويصطنع اقاليم يتظاهر بالحرص على استقلالها ونمو شخصيتها؟

ان كلمتنا للاستعمار هي واحدة لم تتغير منذ اليوم الأول الذي دنّست فيه اقدامه ارضنا وعكرت اكاذيبه صفاء جوّنا: اننا لانعرف للاستعمار دافعاً غير دافع النهم والجشع، ولا نعرف لاحتلاله صفة غير صفة العدوان وإلاجرام. ولم نصدق في يوم من الأيام أن الاستعمار، وهو المدفوع بالشهوات الحقيرة، المشحون بأساليب المكر والعدوان، يمكن ان يكون اكثر منا غيرة على انفسنا، وحرصاً على حرية بعض اجزاء وطننا وبعض فئات شعبنا. انه مفضوح في عدوانه وروغانه، فلنكن صرحاء في جهاده ومحاربته.

تلك كلمتنا للاستعمار: أما كلمتنا لأنفسنا فهي: ان الحركة العربية الواعية لايمكن ان تتساهل في امر الوحدة القومية اوتسكت عن مزاعم الانفصال، سواء اكان ذلك في مصر والسودان، ام في سورية ولبنان. اما ما يتذرع به اعوان الأجنبي القلائل وبعض الأفراد والفئات المخدوعة بحججهم من دفاع عن الحرية، وخوف من طغيان قطر على آخر، وفئة على أخرى، فجوابنا عليه هو: ان للعرب حرية كبرى، هي

مصدر وضمان لجميع الحريات الجزئية: الحرية القومية التي تضمن لهم خلاصهم من الاستعباد، وانقاذ ثروات ارضهم من سلب الأجنبي، وانقاذ عقولهم ومواهبهم من الخنق والتشويه، الحرية التي تسمح لهم باستلام مصيرهم بأيديهم من جديد.

ولكن هذه الحرية القومية الكبرى لن تتحقق ما دام الشعب العربي بعيداً عن استلام مقدراته بيده، اذ الواقع ان الشعب بعيد عن قضيته حتى في الأجزاء التي استقلت وتخلصت كل التخلص او بعضه من نير الاستعمار. فالطبقة الحاكمة في البلاد العربية هي بحكم تركيبها وتربيتها ومصالحها عاجزة - ان لم نقل كارهة - عن تحقيق التحرر القومي التام، وتحقيق الوحدة بين اجزاء ارض العرب، لأنها عاجزة عن تحقيق الوحدة بين قلوب العرب.

ازاء هذا الواقع المؤسف المؤلم ليس امام الشعب العربي الا طريق واحد، انه لن ينتظر من الحكومات والفئات الحاكمة ان تفسح له مجال العمل، بل عليه ان يدخله، ومتى دخل الشعب خرجت الفئات الاستغلالية. ثم شيء واحد يقوي حق العرب في تدعيم اتجاههم الوحدوي، وفي محاربة كل ما يحول دونه: وهو ان يسيّروا نظام نضالهم في الطريق الشعبي الحر، فتكون هكذا كل خطوة من خطى هذا النضال، باضعافها لحكم الاستئثار والاستغلال مضعفة لحجج الناقمين وذرائع المنكمشين الانفصاليين، كما تكون مقوية لارتباط المواطنين العرب بقضيتهم. وكاشفة عن قوى الشعب العربي الحقيقية التي ما يزال اكثرها دفيناً مهدوراً والتي، هي وحدها قادرة على اكتساح قوى الاستعمار الأجنبي الغاشم، وتطهير الأرض العربية المقدسة من ادرانه وآثامه. هكذا تعود الأشياء الى طبيعتها وتظهر على حقيقتها ويقتنع العرب والعالم بأن في الكيان الحي السليم، الذي هو كيان الامة العربية، يتحقق ماعز تحقيقه على الكثيرين، الا وهو: ائتلاف حرية الفرد والجماعة مع وحدة الأمة، وانسجام حق المواطن مع قوة الدولة.

ان التعبير العملي عن هذه الفكرة هو تشكيل حزب عربي واحد في اتجاهه وقيادته وخططه في جميع الاقطار العربية، لأن الأمة العربية غدت في امس الحاجة اليه لكي تظهر قواها وامكانياتها كاملة.

وان هذه القوة والامكانيات كفيلة ليس بتحرير العرب من كل استعمار فحسب بل بأن تنشيء وتقدِّم للعالم حضارة عربية جديدة.

١١ آذار ١٩٤٧

مأساة فلسطين
وتعديل الدستور السوري

لم تقتصر(١) مصادفات القدر على انها جمعت في ظرف واحد بين حادثين خطيرين في حياة العرب هما مشروع تقسيم فلسطين ومشروع تعديل الدستور السوري، بل ان هذه المصادفات قد ذهبت الى ابعد من ذلك فجعلت امر وقوع هذين الخطرين على حرية فلسطين العربية وحرية الشعب العربي في سوريا معلقا على تصويت «اكثرية الثلثين» من اعضاء هيئة الامم المتحدة، ومن اعضاء المجلس النيابي السوري. والواقع ان بين المأساتين اللتين تهيئان للعرب اكثر من وجه للشبه. فالعرب قد نظروا بشيء من التفاؤل الى هيئة الامم المتحدة التي تأسست بعد الحرب للدفاع عن مبادىء الحق والعدل والسلام، فاذا بهذه الهيئة تتجاهل حقهم الصريح في ارضهم وارض اجدادهم وتزمع ان تهبها لشعب غريب ظالم باغ. والعرب في سوريا قد نظروا الى الاستقلال الذي انتزعوه من المستعمر بدمائهم وتضحياتهم العزيزة نظرة كلها الاستبشار والامل، متوقعين ان يكون الاستقلال محققا للحرية التي حرمهم الاجنبي منها، وللعدالة التي احتجب نورها عن سمائهم زمنا طويلا. ولكنهم فوجئوا غداة نيل الاستقلال بنوع من الضغط على الحرية والانحراف عن العدل لم يعهدوا جزءا منه ايام حكم المستعمر الاجنبي. وها هم اليوم يقلبون

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٧.

انظارهم بين هيئة الامم البعيدة وبين «الهيئة الوطنية» القريبة، مذكرين بالمبادىء والعهود، لعل في التذكير نفعا، ولكن اين المؤمنون!..

ان تاريخ الحركة الوطنية في سوريا لم يَخْلُ منذ بدئه من شوائب الاستغلال والاستئثار. ولكن ما آل اليه الامر في هذه السنوات الاخيرة، بل في هذه الايام الاخيرة، من طمع الاشخاص وجشعهم، ومن اشتداد وطأة الانانية وتعريها من كل حجاب او نقاب، كل ذلك يدفع الشعب الى الاسف على ايام الحركة الوطنية الخوالي، بما حوته من هنات وسوءآت، والى ذكر اشخاصها وزعمائها بالخير الكثير، لانهم بالرغم من كل شيء لم يعدموا حسن التقدير والتقديس للقضية التي رفعوا لواءها، وللامة التي ارادوا تمثيلها، وللدستور الذي جاهدوا للحصول عليه حتى وفقوا الى وضعه كأمتن اساس لبلادهم، وأعلى نبراس لجهادهم.

ان هذا الشعب الذي لن نمل من وصفه بأنه شعب عربي، لنذكر الحاكمين بطباعه واخلاقه وتقاليده، قد يغتفر لرجال الحكم كثيرا من المساوىء، وقد يغضي عن السرقات والمحسوبيات والتصرفات النفعية ولو الى حين، ولكن شيئا واحدا لا يستطيع شعبنا ان يطيقه او يسكت عنه، خاصة وانه قريب العهد بالجهاد الوطني وما يوحيه الجهاد والوطنية من كرامة ووقار، وترفع عن الصغار، هو ان يرى الشخص ساعياً الى المجد - وأي مجد زائف! - بغير الاساليب المشروعة واللائقة، بدلا من ان يسعى المجد اليه من محض اختيار الناس وطوعهم، ان الشيء الذي لا يطيقه الشعب هو ان يرى في مطلع عهد الاستقلال والحرية ان الشخص اذا أؤتمن على سلطة عامة، لم يكن اهلا للائتمان فسخرها لنفسه وحصرها في شخصه. ومما يزيد في استغراب الشعب واستنكاره انه لايجد اي مبرر لتعديل للدستور هو بمثابة القضاء عليه، وان كل المبررات التي تحتج بها فئة التعديل باطلة. فالاضرار التي لحقت بالبلاد من جراء التصميم على تعديل الدستور، ابتداء من الانتخابات النيابية وما جرى فيها من تزوير فاضح شامل، حتى المضبطة[1] في جلسة المجلس النيابي

(١) وهي المضبطة التي أريد بها الاحتيال على الدستور لتجديد انتخاب رئيس الجمهورية.

الاخيرة، انما هي مهزلة لها في حياتنا القومية اضرار بعيدة المدى، عميقة الاثر، لاتقل عن كارثة الغزو الاجنبي، لانها في حقيقة الامر تلغم الاستقلال وتصم الجمهورية وتهيء لضياعهما معا.

ولو ان أعلى المزايا اجتمعت في شخص من الاشخاص لما عادلت جزءا يسيرا من هذه الاضرار الاخلاقية والقومية التي جرها على البلاد حبه للتحكم وشهوته في السيطرة والاستئثار. فكيف بنا والحكم الذي يريدون تجديده وتخليده لم يكن سوى سلسلة من الفضائح والمظالم واعمال العسف والغش والفساد والافقار!.

اننا اذ نتطلع في هذا الظرف بأنظارنا وقلوبنا الى فلسطين المجاهدة المهددة. ونصمم على الاستماتة في سبيل تثبيت حقنا الخالد فيها. ورد باطل المعتدين. لا ننسى ان قضية الحق واحدة. وان حرية العرب لاتقبل التجزئة، فالشعب مصمم بنفس القوة على تثبيت حقه في الحرية والعيش الكريم، وتقديم البرهان للامم المستخفة بحقوقنا، المتشككة في اخلاقنا ومثلنا على اننا ندفع العدوان من اية جهة اتى ولن يكون الدفاع عن دستور سوريا وانقاذها من خطر الدكتاتورية اقل قدرا ونفعا وسمواً، في نظر المصلحة العربية العليا، من الدفاع عن عروبة فلسطين.

١٦ تشرين الثاني ١٩٤٧

سياستنا الخارجية

لعل وضع الأمة العربية[1] في مرحلة التحرر التي تجتازها وضع فريد في التاريخ السياسي، وما ذلك الا نتيجة لوقوع الأمة بين عدوين في الداخل والخارج. لاتدري ايهما تناضل وبأي منهما تبدأ.

ففي الوقت الذي تتآمر فيه قوى الاستعمار والصهيونية على مستقبل العرب في فلسطين والبلاد العربية جمعاء. نرى الحكومات العربية تتسابق الى عقد المعاهدات السياسية وتثبيت الاتفاقيات الاقتصادية مع هذه الدول نفسها التي تعتدي على حقوق العرب وسيادتهم والتي كانت المسبب الحقيقي والعامل الرئيسي في محنتهم الحاضرة في فلسطين، مع ان ابسط قواعد السياسة وأقل واجبات الاخلاص للمصلحة القومية كانت تقضي بأن تتجه سياسة الحكومات العربية. في هذا الوقت اكثر من أي وقت آخر. الى الابتعاد عن نفوذ الدول المستعمرة لبلادها.

في العالم كتلتان كبيرتان تقتسمان السيطرة والنفوذ فيه. والامر الراهن ان كل الدول التي تقف عثرة في طريق تحرر العرب ونهضتهم سواء بسيطرتها السياسية واستثمارها الاقتصادي كما هو الحال مع بريطانيا واميركا بالشرق العربي اوباحتلالها الثقيل واستعمارها الغاشم كما هو الحال مع فرنسا في المغرب العربي. كل هذه دون استثناء متجمعة في احدى الكتلتين العالميتين. ومن البديهي ان توثيق الروابط مع

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ٢١ كانون الثاني ١٩٤٨.

هذه الدول وتسخير البلاد العربية بمواقعها الحربية وثروتها الاقتصادية الهائلة، ومجرد السكوت والتغاضي عن استعمار البعض الآخر، كل هذا لن يكون من شأنه ان يدعم مركز هذه الكتلة ويرجح وزنها في الصراع العالمي فحسب، بل يؤدي كنتيجة لهذا الدعم والترجيح، الى تمكينها من بلاد العرب اكثر من ذي قبل واستئثارها بمقدراتهم والقضاء على ما يناضلون من اجل تحقيقه من حرية ووحدة وتقدم.

لو ان العرب كانوا اليوم في وضع خال من شوائب الاستعمار والاحتلال والتجزئة وارادوا ان يقفوا من الصراع العالمي موقفاً حراً هو اقرب ما يكون الى مثلهم ومصلحتهم القومية. فلربما كان هذا الموقف اميل الى جانب الامم الديمقراطية منه الى جانب الدول الدكتاتورية، بالرغم من النواقص الفاضحة التي يتبينونها في ديمقراطية الغرب وبالرغم من إمكانيات التحرر والتقدم التي يرونها كامنة في ديكتاتورية المعسكر الاوروبي الشرقي ذلك لأنهم يعرفون حق المعرفة ان الحرية هي جوهر حياتهم وانها كانت الاساس المتين لنهضتهم الماضية وستظل كذلك في المستقبل. ولكن الوضع الراهن الذي يعيش فيه العرب والذي يتصف بفقدان السيادة والوحدة، وبضياع ثرواتهم القومية وحرياتهم السياسية بين المستعمرين الاجانب والاقطاعيين من اهل البلاد يحرم عليهم وقوف ذلك الموقف المثالي، ويضطرهم اضطراراً الى التنكر لهذه الديمقراطية الغربية التي لاتعني بالنسبة اليهم غير الاستعمار الاجنبي، وتشجيع الطبقة الرجعية المستغلة في داخل بلادهم.

ان في السياسة التقليدية التي تتمشى عليها بريطانيا واميركا وفرنسا في علاقاتها مع العرب. كما في سياسة الاتحاد السوفياتي نفسه الذي اقدم مؤخراً على طعن العرب في قرار التقسيم، لجهلاً بيّنا وخطأ فادحاً، فكلا الطرفين الغربي والسوفياتي لايمتد نظرهما الى ابعد من حدود الحكومات العربية، ويتجاهلان انها شيء عارض بالنسبة الى تلك الحقيقة الثابتة الراسخة التي هي الشعب العربي. فلو حسب السوفييت، وهم حملة لواء الاتجاه الشعبي حساباً لهذا الشعب، لما كانوا اقدموا في اقرار التقسيم على عمل لم يمله عليهم غير استيائهم من سياسة الحكومات العربية الخاضعة لنفوذ اعدائهم، ولو تبصرت الكتلة الانكلوساكسونية في الامر جيداً لعرفت

ان الصـداقـة التي يجدر بها ان تنشدها في الوطن العربي لايمكن ان تقوم اسسها الا على اشلاء جيوش الاحتلال والاستعمار وتمزيق الاتفاقيات الاقتصادية الظالمة، والا على انقاض هذا الحكم الرجعي الاقطاعي القائم في البلاد العربية والذي تؤيده حراب هذه الدول ودسائسها.

ذلك ما يجدر بساسة الغرب ان يذكروه. اما ما يجب ان يذكره السياسيون العرب فهو:

١ ـ ان البلاد العربية وحدة لاتتجزأ وان مصلحتها هي كذلك.

٢ ـ ان اعداء البلاد العربية في الوقت الحاضرهم ايضاً يشكلون وحدة لاتتجزأ، فبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا تتقاسم العالم العربي استعماراً واحتلالاً واستثماراً اقتصادياً، وهي في الوقت ذاته تجتمع في كتلة عالمية واحدة: الكتلة الغربية.

اذن فكل ما يتستر باسم محالفة او اتفاق او صداقة مع هذه الدول بعضها او كلها، هو دعم للاستعمار المفروض على بلاد العرب. وفي الوقت نفسه، فكل اضعاف لهذه الدول، كلها او بعضها، يخفف من وطأة الاستعمار المفروض على البلاد العربية ان لم يقض عليه.

فمصلحة البلاد العربية لايمكن ان تكون بشكل من الاشكال في جانب الكتلة الغربية او في جانب اي عضو من اعضائها، وبالتالي فسياسة الحكومات العربية يجب ان تكون سياسة حياد في النزاع القائم بين الكتلتين العالميتين. لا ان ترتبط مع اعداء العرب بمعاهدات جديدة في الوقت الذي يجب ان تتخلص فيه من كل رابطة تربطها بهم.

ولئن اتخذ النزاع القائم بين الكتلتين شكل نزاع بين الديمقراطية والدكتاتورية فإنه بالنسبة الى العرب بعيد كل البعد من هذا المعنى، لأن دول الغرب الديمقراطية هي عدوة حريتهم واستقلالهم ووحدتهم وهي ايضاً حامية الحكم الديكتاتوري الوطني الذي يشقى به العرب فوق شقائهم بالاستعمار.

٢١ كانون الثاني ١٩٤٨

انقاذ فلسطين

ليس يجدر بنا[1] في هذا الظرف العصيب الذي تجتازه معركة فلسطين ان نعود الى الماضي ونذكر اخطاءه الفاحشة. بل الاجدر بنا ان نحصر تفكيرنا وعملنا في كيفية انقاذ الموقف وانقاذ سمعة الامة العربية ومستقبلها.

ان الدروس القاسية التي ألقتها الحوادث علينا في الاسبوعين الاخيرين لجديرة بأن تقنع رجال الحكومات العربية بأن سياستهم معكوسة فاشلة وان افضل سياسة يتبعونها في هذا الوقت هي أن يكفوّا عن كل سياسة ويضعوا قضية فلسطين بين ايدي المقاتلين بعد أن يجهزوهم بكل ما تقتضيه حرب حديثة جدية قاسية.

لقد كان مفروضاً ان تكون معركة فلسطين منذ البدء معركة العرب جميعاً. لان مصيرهم مرتبط بمصيرها. ولكن السياسة المعكوسة عملت على خنق وتبديد امكانيات الشعب العربي بشتى السبل. وأدت الى ان عرب فلسطين أنفسهم ظلوا بأكثريتهم الساحقة بعيدين عن المعركة وعبئاً عليها. لايجدون الى اداء واجبهم سبيلا.

والآن، يهمنا أن نحسن الاستفادة من هذه التجارب الاليمة لنحول مجرى المعركة تحويلا أساسياً لمصلحتنا ونضمن النصر لقضيتنا فالحرب التي تدور رحاها

---

(١) كتب الاستاذ ميشيل عفلق هذا المقال خلال وجوده في جنين (فلسطين) لقيادة مجموعات المتطوعين البعثيين مع زميله البيطار، وقد نشر في جريدة «البعث» في ٨ آيار ١٩٤٨.

بيننا وبين الصهيونيين لاتشبه معارك الاستقلال التي خضناها ومازلنا نخوضها ضد قوى الاستعمار.

اذ اننا في هذه الحرب نعمل لأول مرة كعرب متحدين متضامنين من سائر الاقطار. ونكافح عدوّاً مهما قيل في قوة استعداده وكثرة وسائله، فهو أقل من أن يقاس بجزء من القوى الاستعمارية التي نكافحها. لذلك لم يكن جائزاً أن تبقى المعركة بيننا وبين الصهيونيين طوال هذه الاشهر معركة دفاعية وان نقنع بالتكافؤ مع عدونا. لأن العدو لم يكن يطمع في أكثر من الصمود لقوتنا. ولأن مجرد التكافؤ مع هذا العدو يصيب معنوياتنا في الصميم. اذ يجوز كل شيء الا ان تتعادل الامة العربية مع عصابات الصهاينة. اذن فأول ما ينبغي عمله هو ان تصبح القوات العربية المحاربة. في عددها ومعداتها. أصدق ما يكون تعبيراً عن امكانيات الاقطار العربية. وأن تشجع بصورة خاصة امكانيات عرب فلسطين ويستفاد منها الى أبعد حد ممكن. لأن الغاية من اشتراك الاقطار العربية لم تكن تعطيل هذه القوى بل دعمها وتأييدها.

ومما لايقل عن ذلك أهمية هو أن تصبح معركة فلسطين أصدق ما يكون تعبيراً عن روح النهضة العربية الحديثة فالمجال واسع أمامنا لكي نجعل من هذه المعركة المرتجلة حرباً نظامية تتحقق فيها عناصر الوعي والتنظيم المتفتحة في افراد شعبنا. ويمسك زمام التوجيه الشامل فيها جميع الذين يمثلون الايمان بوحدة الامة العربية وبمؤهلاتها العظيمة للتحرر والابداع ما دامت معركة فلسطين معركة العروبة الفتية الناهضة.

ان جيل الشباب المثقف المؤمن هو وحده قادر على توجيه الافكار الحائرة وابتعاث القوى الكامنة. وتنظيم الجهود المشتتة. سواء في الجبهة الداخلية أو في خطوط القتال. وهو وحده قادر على الارتفاع بمجهود العرب الى مستوى المهمة الشاقة التي تنتظرهم.

ان النواقص والاخطاء التي تيسر لنا مشاهدتها في الجبهة الداخلية كثيرة وخطيرة. وهي بحاجة الى اصلاح جدي وتدارك سريع. ولكننا لم نكن في يوم من

الايام أكثر تفاؤلاً بالنصر مثلنا الآن بعد ان لمسنا لمس اليد بطولة جنودنا وأفراد شعبنا وتصميمهم على تخطي المصاعب والعقبات مهما كلفهم ذلك من تضحيات .

٨ أيار ١٩٤٨

نزيد اهدافاً ايجابيــة

لم يعد احد[1] ، بعد نكبة فلسطين، يخدع بالمظاهر التي لاترتكز على الحقائق، ولم يعد العدد وكثرته، بعد انهزام الدول العربية السبع امام عصابات اليهود، ليغني عن الكيفية والنوع. فكل اتحاد يزمع العرب تحقيقه، بعد التجارب والمحن القــاسيــة التي مروا بهـا، يجب ان تتـوافـر فيـه عنـاصـر الحيـاة، ان تراعى فيه الكيفية لا العدد والشكل والمساحة. وبكلمة موجزة. يجب ان يقوم على اتحاد قوى الشعب في سبيل زيادة الانتاج وزيادة قوى الدفاع، ورفع مستوى الوعي السياسي والقومي الذي هو بمثابة الانتاج الروحي والدفاع الروحي، الى جانب الانتاج المادي والدفاع العسكري.

وكما ان الاتحاد يكون وهماً خداعاً اذا اقتصر على الاشكال والمظاهر ولم يحمل في جوهره معنى ايجابياً خلاقاً يصهر النفوس ويطلق القوى الكامنة، ويجدد النظم والاساليب البالية، فكذلك «الجمهورية» التي تريد بعض الفئات ان تظهرها اليوم كنقيض للاتحاد، والتي هي في الواقع متممِّة له ومساعدة عليه، يجب ان تحوي ايضاً هذا المعنى الايجابي.

قد يكون النظام الجمهوري بالنسبة الى الكثرة من السياسيين شيئاً يسير القيمة والاهمية تسهل التضحية به في سبيل اي نظام آخر ولكن هذه الكثرة غير الواعية هي

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ٤ كانون الثاني ١٩٥٠.

التي لاقيمة لرأيها في نظرنا، اذ المعول على الطليعة القومية التي تمثل النضال الشعبي الصاعد في بلاد العرب، والجمهورية في نظر هذه الطليعة تمثل اكثر من نظام للحكم، ففيها معنى التقدم، وضمان الحرية، والتمهيد لحكم الشعب، وللمجتمع الاشتراكي ولا عبرة للمغالطات التي تدعي بأن النظام الملكي اذا كان دستورياً مقيداً يستطيع ان يؤدي هذه الاغراض كلها. فبلادنا ليست شبيهة ببلاد الانكليز الذين توصلوا خلال قرون الى التوفيق بين تحرر الشعب وبقاء الملكية والعرب اليوم في مفترق الطرق، فاما تحرر جذري عميق حاسم، واما رجعة وفناء.

فالنظام الجمهوري الذي انشىء في سوريا مصادفة واتفاقاً، قد جاء تلبية صادقة لحاجة عميقة عند الشعب العربي، وشرطاً ضرورياً من شروط النهضة الحديثة، لذلك كان بقاؤه في سوريا شيئاً ضرورياً وحيوياً للعرب جميعاً.

الا ان الوقوف عند الاشكال والمظاهر، وتجاهل المعاني الايجابية التي ينطوي عليها هذا النظام، والتنكر لها، ذلك هو الخطر الحقيقي الذي يهدد الجمهورية اكثر مما تهددها مؤامرات الملكيين والاستعماريين.

ولئن كان اليوم في البلاد عدد غير قليل يقف وقفة اللامبالاة من الصراع القائم بين فكرة الجمهورية وفكرة الملكية، فجريرة ذلك تقع على اولئك الذين شوهوا الجمهورية ومسخوها طوال السنوات السبع الاخيرة. واذا تعرضت الجمهورية في غد للخطر، فالمسؤولية تقع على «ابطالها» الجدد الزائفين الذين قبلوا اليوم ان يقرنوها بالاقطاعية والرجعية والخيانة، فتركوا الشعب، القوة الايجابية الحقيقية، ولجأوا الى الدول الاستعمارية وعملائها، ليجعلوا من هذا النظام الذي أوجد لتحرير الشعب وضمان رخائه، ستاراً لاستعباد الشعب وضعفه، بما سيدفعونه لتلك الدول من امتيازات وتأمين مصالح وارجاع نفوذ بائد!

٤ كانون الثاني ١٩٥٠

الى المناضلين الواعين
احفظوا وحدة النضال
واحذروا المغامرين

اذا اردنا[١] ان نخطو بنضال الشعب العربي خطوة جديدة الى الامام فالواجب يدعونا الى توضيح امور لها اكبر الاثر في مستقبل هذا النضال، اي في مستقبل الامة العربية.

من الامور البديهية ان النضال الصحيح الذي يكتب له النجاح هو الذي يعتمد على قوى الامة، والذي يستطيع ان ينقذ هذه القوى ويجمعها وينظمها. ولا حاجة الى القول ان النضال الذي نعنيه، والذي هو وحده جدير بأن يندفع اليه العرب وينتظموا فيه، هو نضال الشعب العربي في سبيل بلوغ الاهداف القومية الكبرى: الحرية والاشتراكية والوحدة. فاذا كانت هذه المهمة في غاية الصعوبة لانها تصطدم بقوى هائلة من الرجعية الخارجية والداخلية، واذا كان الضامن الوحيد لنجاحها هو اعتمادها على القوى الحية التحررية في الامة، فلابد اذاً من ان تنهض بهذه المهمة حركة واحدة، تتوصل الى توجيه هذه القوى باسلوب واحد ونحو غاية واحدة. فكما ان فكرة هذا النضال هي شيء اساسي خطير، وبمثابة الروح للنهضة العربية الحديثة، نعني بها فكرة: الحرية والاشتراكية والوحدة، فكذلك طريق هذا النضال،

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ٥ كانون الثاني ١٩٥٠.

الطريق الذي يسمح للفكرة بأن تتحقق، هو ايضاً شيء اساسي خطير في حياة العرب، وبمثابة الجسم لنهضته. هكذا يظهر الخطر الكبير على مستقبل النضال وبالتالي على حياة الامة من اولئك المغامرين المرتجلين الذين يدعّون ان للفكرة الواحدة اكثر من طريق، واكثر من اسلوب واحد للتحقيق، وهم في الواقع يريدون ان يستغلوا روعة الفكرة الشعبية وقدسيتها لنجاحهم الشخصي، دون ان يكون لديهم اي استعداد جدي، واي عزم صادق على خدمتها. وكيف يستطيع هؤلاء الافراد المغامرون ان يحملوا اعباء فكرة لاتقوى على النهوض بها إلآقوى الامة بكاملها، وكيف يستطيعون ان يصمدوا لمؤامرات اعدائها الكثر، وما هي الضمانة لصمودهم امام اغراءات هؤلاء الاعداء ووسائل افسادهم، ما داموا - بحكم اتباعهم اساليب المغامرة والارتجال - يرفضون السير في اي طريق واضحة منظمة، ويتهربون من كل مراقبة على اعمالهم؟

والفرق واضح بين المناضلين والمغامرين، فالمناضلون يخلقون النضال ويظلون مع ذلك ادوات خاضعة لقانون الحركة التي خلقوها ويحيلون كل قوى يكسبها النضال لاشخاصهم الى قوى تغذي الحركة نفسها وتعينها على المزيد من الصبر والمقاومة، وعلى السير القويم المتفق مع منطق الفكرة، اما المغامرون فهم اولئك الذين يستهويهم النضال في مراحله الحماسية السهلة، اويندسون في صفوفه دون ايمان، حتى اذا نالوا قسطاً من الشهرة والنفوذ تبين لهم ان الانفلات من قيود النضال ومنطقه القاسي، وطريقه الطويل، يسمح لهم بالقفز في مضمار النجاح الشخصي. وهذا ما يقودهم بسرعة مفاجئة الى التآمر والخيانة، اذ ليس لهؤلاء من طريق وسط.

ان شعار البعث العربي ركز سمات النهضة الحديثة في حقيقتين: وحدة الامة العربية وخلود رسالتها، وان لهذا الشعار ترجمة عملية تجعل قانون النضال العربي قائماً على الشرطين التاليين: وحدة الحركة وثبات فكرتها.

٥ كانون الثاني ١٩٥٠

طبيعة الحكم في مصر

أو: بين التقدمية والانقلابية

الموضوع اليوم الذي طلب الاخوان أن اعالجه: عن موقفنا من حكومة مصر الحالية، وسأخصص قسماً من الوقت لعرض مجمل، وأنتظر أسئلة منكم.

أول ملاحظة ترد في هذا الموضوع هي وجوب التفريق بين الحكم العسكري الذي قام في مصر، وبين الحكم العسكري الذي عرفناه في سورية. ففي مصر كانت ثمة دواع وعوامل جدية تبرر الانقلاب العسكري إذ لا أحد يجهل ما كانت عليه مصر في زمن فاروق ـ زمن الملكية ـ من الفساد.. من الاستهانة بحقوق الشعب وكرامة المواطنين، وكان العرش في أكثر الأحيان آلة بيد الاستعمار يتلاعب بالدستور والحريات العامة وهكذا.. وكانت في مصر، كما هو معروف، أحزاب أهمها وأكثرها جدية وأقربها إلى نفوس الشعب وإلى حاجات الشعب هو حزب الوفد؛ ولكن حزب الوفد بقي متجمداً على ناحيتين من النضال لم يستطع أن يتجاوزهما: ١) مكافحة الاستعمار على أسلوبه، ٢) والدفاع عن الدستور والحريات أمام تعدي الملك عليها. لقد مثل الوفد لعشرات السنين هاتين الناحيتين ـ وهما أساسيتان بلا شك ـ ولكن لم يستطع أن يتطوروان يلبي حاجات جديدة هي الحاجات الشعبية.. حاجة العدالة الاجتماعية.. الاتجاه نحو الاشتراكية وانصاف الكثرة الساحقة من أبناء الشعب، ذلك أن تكوين حزب الوفد لم يكن يسمح له بأن يخوض مثل ذلك

النضال؛ فالوفد ككل الأحزاب التي تحصر همها في ناحية سلبية، ولا يكون لها وجه إيجابي، تجمع تجميعاً الأفراد والأنصار، وترضى من أنصارها وأتباعها بشيء واحد هو مكافحة الاستعمار الأجنبي ومقابل ذلك تترك لهم الحبل على غاربه إذا لم نقل بأنها تعرض عليهم مقابل هذا الشيء الجزئي بأن تؤمّن لهم المنافع الخاصة. فكان تكوين حزب الوفد من طبقة بورجوازية واقطاعية، من الطبقة المتوسطة ومن عدد من الاقطاعيين.. كانوا من جهة، بدافع وطني ـ والوطنية شعور عام ـ يريدون التخلص من الاستعمار؛ وبدافع مصلحي يريدون أن يحلوّا محل الاستعمار ـ أي أن يستأثروا بالمنافع التي يستأثر بها الاستعمار أو يشاركهم فيها. لذلك ظهر عجز الوفد مع الزمن: بأنه غير قادر على تخليص مصر من الاستعمار الأجنبي ومن طغيان الملك وفساد الحكم.

والسبب هو هذه السلبية التي هي أساس تكوينه: فحزب الوفد لم يقم على نظرية واضحة وكاملة، ولم ينهج النهج النضالي الصحيح الذي يقضي أن يعتمد على طبقة الشعب فقط لأنها الوحيدة التي تصمد إلى آخر الطريق في النضال إذ ليس لها مصالح تساوم عليها الاستعمار. كذلك كان فهم حزب الوفد للديمقراطية والحريات العامة فهما سطحياً يتناسب وعقلية الطبقة البرجوازية ويلائم مصلحتها. وديمقراطية الوفد لها لون شعبي وطني.. ضد الاستعمار. ولكن لها أيضاً ألواناً من الاستغلالية... لونها الوطني الشعبي هو الدفاع عن الدستور والحريات العامة وهو في الوقت نفسه حيلولة دون تآمر الاستعمار على الشعب أو تآمر الأسرة المالكة مع الاستعمار على الشعب. فعندما كان ملوك مصر يضربون بالدستور عرض الحائط ويقيلون الحكومات ويشكلونها كما يريدون كان ذلك ـ في أغلب الأحيان ـ لأن تلك الحكومات كانت تتمسك بحقوق البلاد ضد المحتل الأجنبي. فالدفاع عن الدستور اذن له هذه الناحية الايجابية لأنه ضربة موجهة ضد الاستعمار وضد الأسرة الحاكمة التي هي إلى حد كبير مسخّرة للاستعمار.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نرى أن حزب الوفد عندما كان يصل إلى الحكم فانه يبدأ بالبطش بخصومه ويقنن الحريات التي كان يطالب بها واسعة كاملة عندما يكون هو مضطهداً ومبعداً عن الحكم. ويجيز لنفسه التلاعب بالدستور أيضاً إلى حد ما ليستر مساوماته مع الاستعمار، فالوفد أيضاً ليس نضالياً بالمعنى الصحيح. كان يتدرج بانتزاع بعض حقوق البلاد تدرجاً، والشعب كان يريد أكثر مما كان يحصل عليه الوفد. الشعب كان يريد تنفيذ الوعود التي كان يقطعها الوفد على نفسه: الاستقلال الصحيح وتخليص البلاد من الاستعمار الأجنبي. وهذا ما كان يضطر الوفد لأن يضغط على الحريات: حرية الصحافة والاجتماع.. الخ، لكي لاينفضح أمام الشعب، كما أنه كان مضطراً لأن يساير الملك بعض المسايرة.

وأخيراً هناك جانب معروف من أسلوب الوفد في الحكم وهو الاستغلال البشع، الاستغلال الوقح للحكم في سبيل ارضاء الأتباع والأنصار، طالما ان تشكيل الوفد لم يكن قائماً على عقيدة ولا على نظرية واضحة، وكان يقوم على تجميع أنصار أكثرهم طلاب منفعة، فكان ملزماً بأن يرضيهم ـ عندما يصل إلى الحكم ـ على حساب مصلحة المجموع. لذلك كان مضطراً لأن يتلاعب بالدستور، ويسخّر القوانين لمصلحة فئة معينة على حساب المصلحة العامة.

وهناك نقص آخر في حزب الوفد، تشاركه فيه كل الاحزاب الأخرى في مصر، وتزيد عليه الأحزاب الأخرى في تمثيل وتجسيد هذا النقص، وهو أن حزب الوفد كان يعمل على أساس مصري قطري، ولم يكن يفهم الرابطة القائمة بين الاقطار العربية، ووحدة المصير، ووحدة المصلحة، وان كان من الناحية العاطفية يتظاهر بين الحين والآخر ببعض المظاهر العربية، ولكن عملياً ـ واقعياً ـ كان حزباً قطريّاً.

إذا أخذنا في نفس الوقت، الوضع في سورية ـ قبيل حدوث الانقلابات العسكرية ـ لنرى لماذا تميز الانقلاب في مصر بنواح إيجابية، بينما بقيت الانقلابات العسكرية في سورية سلبية كلها، فماذا نجد؟.

في سورية، كان يوجد ما يماثل حزب الوفد وهو حزب الكتلة الوطنية، التي بدلت اسمها مع الزمن إلى الحزب الوطني. مثلت نفس الدور تقريباً، وكانت قائمة على نفس التركيب. . نفس العناصر الاجتماعية: بورجوازية واقطاعية، وان كانت ثمة فروق بين الكتلة الوطنية والوفد، فالفروق كانت ترجع دائماً إلى الزعماء. . إلى شخصية بعض الزعماء، وإلى امكانيات القطر. فالقطر المصري ذو امكانيات واسعة، ولذلك يمكن أن يظهر فيه رجال ذوو كفاءات أكثر مما يظهر في سورية. هذا هو الفارق الوحيد. وهو جزئي. ولكن الفارق بين مصر وبين سورية هو، أنه في سورية ظهرت حركة شعبية نضالية على أسس جديدة إيجابية، وفي مصر لم يظهر ذلك. فبينما أوجد انهيار الملكية في مصر واحتجاب الأحزاب القديمة وخاصة حزب الوفد. . فراغاً في الساحة، استطاع العسكريون ان يملؤوه بالعمل الايجابي، فإن هذا الفراغ لم يكن موجوداً في سورية، أو كان مملوأً قبل الانقلابات العسكرية بحركتنا نحن، فظهرت الانقلابات العسكرية في سورية بأنها لامبرر لها، لأنها لم تستطع ان تعطي لا أكثر مما أعطاه حزبنا، وحتى لاشيء مما اعطاه الحزب، وكانت مهمتها ان تقلد الحزب بالشعارات دون المضمون، أقوال بلا أعمال. . أن تنادي بشيء من الاشتراكية. . بالتقدمية. . بتوزيع الأراضي. . بالاستقلال. . بالوحدة العربية. . دون مضمون، وحتى يكون لشعاراتها مضمون يجب أن يكون معها جمهور يؤيدها عن قناعة وارتباط متين، وهذا كان مفقوداً. أما في مصر فلأنه لم يكن هناك حركة شعبية انقلابية كونت رأياً عاماً، ونظمت جمهور الشعب إلى حد ما، كانت الساحة فارغة فعلاً أمام الضباط التقدميين الذين ظهروا في الجيش. وهكذا استطاعت حركة الجيش في مصر ان تحقق بعض الأشياء الايجابية.

الآن، بعد ان قارنا بين الحركة العسكرية في مصر والحركات العسكرية في سورية. ولمسنا الفارق الرئيسي بين النوعين، علينا ان نعرّف الحركة العسكرية في مصر:

هي حتماً ليست مثل الانقلابات في سورية، والتي كانت بدون مبرر: مغامرات

طائشة . . مغامرات مشبوهة ، يدخل فيها الاستعمار من طرف ، وتدخل فيها المصالح الرجعية من طرف آخر . . مصالح الاقطاعيين والرأسماليين عدا عن الطموح الشخصي عند بعض الأفراد من العسكريين .

ولكن ، هل يعني هذا التحليل ان الحركة العسكرية في مصر تشبه حركتنا هنا . . تشبه حركة حزبنا؟ . .

هنا يجب التمييز بكل دقة ووضوح . قلنا انها حركة فيها نواح ايجابية ، وليست مغامرة طائشة كالانقلابات العسكرية في سورية ، وليست مشبوهة بالتدخل الاستعماري والنفوذ الاقطاعي والرأسمالي بالحد الذي كانت فيه الانقلابات العسكرية في سورية . ولكن هذا لايعني مطلقاً أن الحركة في مصر حركة ثورية . . حركة انقلابية كحركة حزبنا . وهنا لا بأس أن نستعمل بعض الألفاظ التي تساعد على التمييز ، فيمكن أن نسمي الحركة العسكرية في مصر حركة تقدمية ، بينما حركتنا هي حركة انقلابية .

والحركة التقدمية . إذا أردنا ان نعرّفها تعريفاً موجزاً بسيطاً ، هي التي تحقق تقدماً ملموساً في ناحية أو أكثر من نواحي الحياة السياسية والاجتماعية دون ان تبدل الأسس العميقة التي يقوم عليها المجتمع . في حين أن الحركة الانقلابية تتناول هذه الأسس مباشرة . ولأنها تتناول الأسس فالحركة الانقلابية حركة شاملة ليست جزئية ، لأنها طالما تنفذ إلى الأسس لذلك لاتكون جزئية ، وانما تنظر إلى كل النواحي الأساسية دفعة واحدة ، ويكون عملها مستوحى من هذه النظرة الكلية . فحركة مصر العسكرية هي إلى حد كبير حركة قطرية ، ولا يمكن أن تسمى حركة قومية عربية . وحركة مصر أيضاً لايمكن أن تسمى حركة اشتراكية بالمعنى الصحيح ، وانما حركة تقدم نحو الاشتراكية .

ولا اظن اننا بحاجة إلى تفصيل في هذه الأشياء ـ المفروض انها واضحة لديكم . فحركة الضباط في مصر اقتصرت اذن على معالجة أوضاع مصر كقطر . . ككل قائم بذاته . . لا كجزء من الوطن العربي وانما ككل قائم بذاته . الا ان هؤلاء

الضباط الشبان بحكم سنهم وثقافتهم الجديدة، وجوهم النضالي أيضاً، وبحكم تطور الظروف كانوا أكثر انفتاحاً من السياسيين القدماء في مصر على تقدير أهمية الرابطة العربية . . ليس من بدء حركتهم، وانما مع الزمن ـ فيما بعد ـ أخذوا يتأثرون بالفكرة العربية، ويحاولون تطبيق شيء منها في سياستهم؛ لكن أكثر الأشياء بقيت عندهم في مستوى الدعاية.

وهذا مفيد بلا شك وبصورة خاصة لمصر، للرأي العام في مصر لكي يرتفع فوق انغزاليته واقليميته، ولكنه لايجوز ان يخدعنا كثيراً وان يطمئننا كثيراً، وان نظن ان هذه الكلمات والشعارات التي تطلق بين الحين والآخر تنم عن حقائق واقعية. فما زالت حكومة مصر ـ في كثير من تصرفاتها ـ تعمل كأن مصر كلّ قائم بذاته، وان البلاد العربية مجال لنفوذها: تتدخل في البلاد العربية لتكوّن حولها دولاً صديقة ورأياً عاماً ودياً، ويكون لها نفود تستطيع أن تهدد به الدول الأجنبية أو تساوم عليه عند الضرورة.

على كل حال، يجب أن نبقى متفائلين ومرتاحين لهذا الاتجاه الذي ظهر عند الحكومة العسكرية في مصر، لأنه يمثل خطوة إلى الأمام بلا شك. ويمكن مع التأثير والتوجيه والتجارب المقبلة أن يتحول شيئاً فشيئاً إلى قناعة صادقة تؤثر في السياسة العملية، ولاتكون محصورة في الدعاية فقط. ولكني أشرت إلى هذا الفارق لكي نضع حكومة مصر في موضعها الطبيعي، ولانظن بأنها حكومة انقلابية. وفي رأينا لا انقلابية الا على أساس عربي وحدوي. وكل محاولة لتبديل الأوضاع وتجديدها يجب أن تنطلق من هذه النقطة الأساسية: أمة واحدة . . وطن واحد . . له مصلحة واحدة، ومصير واحد، وبالتالي كان ما يجب ان يتحقق في قطر هو ما يلزم للقضية العامة لكي تتقدم وتتحقق، لا أن يكون هناك تقارب بين مصلحة قطر ومصلحة القضية العربية كلها.

حكومة مصر تقوم باصلاحات في الناحية الزراعية والاقتصادية عامة لاتنكر فائدتها. ولكن هذه الفائدة ليست دوماً الفائدة المرجوة ما دامت حكومة مصر تعتبر أن مصر في اقتصادها تكوّن وحدة كاملة تكفي نفسها بنفسها؛ وهذا شيء واضح وبسيط

إذ أنه عندما نأخذ الوطن العربي كوحدة: ننظر إلى مختلف امكانياته الاقتصادية، ونرى أن هذه الامكانيات يكمل بعضها البعض الآخر. وعندما نريد أن نحقق شيئاً من هذه الامكانيات، وان نحدث تقدماً: علينا أن نضع في حسابنا هذا الترابط بين اجزاء الوطن الواحد، فلا نقيم عشرين مرفأ في قطر ونهمل الاقطار الأخرى، ولا نقيم صناعة في قطر لايملك المواد اللازمة لهذه الصناعة وبالتالي نتكلف أشياء باهظة جداً بينما نستطيع بتوحيد اقتصادنا مع الاقطار الأخرى أومع بعض هذه الأقطار. ان ننشيء صناعة لنا كعرب دون أن نحتاج إلى الرساميل الأجنبية أو المواد الأجنبية.

حتى الآن لم تظهر أي خطوة جدية تنبيء عن استعداد حكومة مصر لتوحيد الاقتصاد. كذلك من الناحية العسكرية، وان ظهرت الآن خطوة لا بأس بها، نرجو ان تتطور وتتكامل في المستقبل، وذلك في هذه الاتفاقات بين مصر وسورية ومصر والسعودية.

على كل حال المقارنة بين الحكم القائم في مصر وبين حركة انقلابية عربية كحركتنا تدل على أن هذا الحكم يمكن أن يعتبر خطوة نحو انقلابيتنا نحن، شريطة أن نقف منه الموقف الواضح الصريح لكي نوجهه وجهتنا ونضغط عليه لئلا يتناقض مع اتجاهنا الانقلابي العربي، ولئلا ينتكس بمساومات استعمارية أورجعية: لأن التقدمية هي حل خطر. التقدمية تقف في الوسط بين الرجعية وبين الانقلابية.. يمكن أن تُستغل من الرجعية، كما يمكن أن تستغل من الانقلابية.. إذا أهملنا توجيهها يمكن أن تكون طلاء وتخديراً تتبناه الرجعية لكي تخمد النزوع الثوري. لأن الرجعية والاستعمار معها عندما تتطور الظروف وتشتد الحاجات الشعبية نحو التقدم والتحرر تسلم الرجعية بما لابد منه.. بأن يحدث شيء من التقدم لكي يغني عن المطالب الأخرى، تسلم بالعشرة لكي تتفادى التسعين، أو تسلم بالعشرين لكي تتفادى الثمانين.. وهذا ما يحدث في أوروبا وبلدان عديدة من العالم. اذ ان الاقطاع.. الرجعية القديمة.. لم تعد قادرة على الصمود في هذا العصر.. الاستغلال الجشع أصبح منافياً لطبيعة العصر، لذلك فإننا نجد الرأسماليين أنفسهم

يشجعون حركات تقدمية ويقفون وراءها لكي تغني عن الحركات الانقلابية التي تطالب بنسف الأوضاع.

الخوف من الحكومات التقدمية اذن هو هذا: أن تكون لعبة رجعية واستعمارية. هذا ماظهر بشكل فاضح في سورية، ولكن اللعبة كانت مبتذلة جداً، لذلك لم تصمد للتجربة. أي ان الانقلابات العسكرية التي ظهرت من سنة ١٩٤٩ إلى آخر سنة ١٩٥١ كانت ترمي إلى هذا الغرض في سورية: ان تطمئن جمهور الشعب والفئة الواعية في البلاد.. الفئة المثقفة الظامئة إلى التقدم والتحرر. تطمئنها ان شيئاً من التحرر سيتحقق، فلا حاجة اذن إلى النضال الطويل والانقلابية. ورأينا فعلاً قسماً من الشعب ينخدع ويصدق ان الأراضي ستوزع، والعدل سيقام، والدولة سترعى حقوق المواطنين جميعاً.

كما أن قسماً من الفئة المتنورة ـ سواء عن انخداع أو عن وصولية ـ انجرفت مع الحكم العسكري وأيدته، ورضيت أن تكون آلة بيده مساعدة له.

اذن دائماً توجد هذه الحاجة: حاجة اختصار الزمن.. الاستعجال الذي يحقق أشياء عاجلة.. أما الحركة الانقلابية فلا تستطيع أن تؤمن حاجات الشعب بوقت قصير لأنها بتعريفها تريد ان تؤمن الحاجات الحقيقية.. تريد أن تضمن للشعب أوضاعاً تقيم العدالة نهائياً والمساواة والتحرر والوحدة.

هذه المطالب الصعبة لاتتحقق في يوم واحد ونضال سهل، بل تحتاج إلى جمهور متكاثر ووعي ونضال طويل حتى يستطيع هذا الجمهور الضخم أن يرفع مثل هذا العبء الضخم.. ان يزيح الاستعمار والحكومات المعرقلة لوحدة الوطن والمستغلة للشعب، وان يقيم الأوضاع السليمة.

وبما ان الوعي لاينتشر بسهولة في الشعب، ولا ينتشر بسهولة بمستوى واحد، بل بدرجات متفاوتة، فتأتي الحركات التقدمية لتستغل سطحية الوعي ولتلبي عند البعض حاجة الاستعجال، وهذه حاجة بشرية، وتقول: ان ما يعدونك به انه سيتم بعد سنين طويلة، وبعد جهود مضنية، وبعد بذل الدم والعرق، نستطيع أن نحققه

اليوم في شهر أو سنة. لذلك لانستغرب أن ينخدع البعض بالخدعة التقدمية.

ولكن للحكم التقدمي نواح إيجابية.. ليس كله خداعاً.. وهذا ينطبق على الحكم في مصر: الحكم التقدمي فيها له اذن نواح ايجابية، لم تتوافر في سورية. فهو يحقق في الداخل بعض الاصلاحات: من توزيع الأراضي، والقيام بمشاريع اقتصادية تنمي ثروة البلاد وبالتالي تؤمن شيئاً من الرفاه وترفع مستوى العيش.

وفي المجال العربي.. الحكم التقدمي في مصر سار خطوة لابأس بها نحو التضامن العربي والتحسس بوحدة المصير وبالفكرة القومية؛ وبصورة خاصة في المجال الخارجي كان موقف حكومة مصر موقفاً جيداً ويدل على وعي وجرأة.. أي ارادة التحرر من الاستعمار.. والانتباه لألاعيبه.. ومقاومة مشاريعه واحلافه.. والاعتماد على قوى عربية وعالمية تسند هذا الاتجاه التحرري.. الاعتماد على الشعوب التي تكره الاستعمار لأنها ذاقته وعانته وتكره الحرب وتنشد السلام والتعاون بين الأمم. فسياسة حكومة مصر الخارجية في مقاومة الاستعمار والحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية سياسة حكيمة صائبة وبالتالي تقدمية صادقة.

الناحية التي تشكل بقعة سوداء في هذه الصورة هي سياسة الضغط والأرهاب في الداخل، وهذا شيء واقع لا مجال لانكاره أو تجاهله.

ولقد قلنا في بدء الحديث بأن الشيء الذي جعل مبرراً لقيام الحكم العسكري في مصر هو انعدام وجود حركة شعبية انقلابية في داخل مصر، وهذا ما ساعد حكومة مصر على التخلص من الأحزاب القديمة وخاصة حزب الوفد الذي له قوة كبيرة. ولكن بما ان حزب الوفد كان سلبياً لايمثل الحاجات الايجابية للشعب، واقتصر على الناحية السلبية التي هي مقاومة الاستعمار وطغيان الملكية فحسب فإن حكومة مصر استطاعت أن تبدد القوة الشعبية لحزب الوفد واخذت تسعى لتشكيل قوة شعبية لها، نتيجة لهذه الاصلاحات التي اخذت تقوم بها؛ وهذا أمر مشكوك فيه، إذ لاتتشكل القوة الشعبية بالضغط، ولا تتشكل في الحكم.. القوة الشعبية الحقيقية تتشكل في النضال ضد الحكم وليس في الحكم. وسائل الحكم معروفة.. عدا الاصلاحات

يلجأ إلى الرشوة، إلى التنفيع، يؤيد مصالح أشخاص لكي يؤيدوا الحكومة، يجد انصاراً بين الموظفين، وفي النقابات، . . .

وهذا شيء مصطنع لايمكن أن يشكل قوة شعبية بالمعنى الصحيح. واعتقد ان الحكم العسكري في مصر ما زال يشعر بالفراغ . . ليس له قاعدة صلبة يعتمد عليها.

والآن تعرفون بأنهم مقدمون على تحول وعدوا به من قبل وهو تطوير الحكم العسكري الديكتاتوري إلى حكم فيه شيء من الديمقراطية وهم يعلنون دوماً بان الديمقراطية التي يريدونها تختلف عن الديمقراطية التي كانت ممارسة من قبل. . والتي كانت زائفة. . مستغلة. . وهذا صحيح: الديمقراطية القديمة كانت زائفة، كما هي الحال الآن في سورية ولبنان حيث توجد ديمقراطية زائفة.

فإذن هم ينوون أن يظل لهم توجيه. . ان يطوروا الحكم نحو أوضاع استشارية فيها مجال لأخذ رأي مجموعات من الشعب، والتشاور معها: من نقابات العمال، وجمعيات الفلاحين، إلى نقابات المعلمين والموظفين وغير ذلك.

على كل حال، لانستطيع ان نحكم على المستقبل ولانعرف ماذا سيحققون بالفعل، ولكن علينا منذ الآن ان نوضح بعض النقاط: من جهة، صحيح ان الديمقراطية ـ الديمقراطية الحقوقية ـ التي لا تقترن بنظم اشتراكية هي فارغة تتحول إلى اداة بيد الأغنياء والمالكين ليستمروا في استغلالهم للشعب. . هذا شيء محقق في تجربة الشعوب.

وصحيح في نفس الوقت بأن الديكتاتورية ـ ولو كانت كلها لمصلحة الشعب. . كل عمل من اعمالها لمصلحة الشعب ـ هي نظام مزعزع وغير ثابت. . غير صالح. . ومتناقض لأنه يعرّض الاصلاحات التي تقوم بها الديكتاتورية للزوال والضياع والفقدان في يوم ما، إذ أنها لاتسمح لوعي الشعب أن ينمو وان يحيط هذه الاصلاحات بسياج من قناعته ووعيه ونضاله.

ويبقى دوماً في الديمقراطية. . وفي أسوأ أشكالها. . في أشكالها الفارغة المتحجرة. . يبقى فيها عنصر أساسي يفيد الشعب. . يفيد المحكومين

والمستغلَين. وهذا ما نحياه نحن في تجربة حزبنا في سورية. إذ أن هذه الديمقراطية الزائفة فيها نواح تسمح لحزبنا مثلاً أن يعيش ويناضل ويعلن عن أفكاره، ويطالب بمزيد من الحريات والحقوق للشعب.

اذن إذا كانت هناك ظروف موقتة تقتضي، من أجل التغلب على أوضاع فاسدة طاغية، حرمان الشعب من الحرية لفترة موقتة.. هذا يجب أن يكون مشروطاً من جهة بالاصلاحات اي بمستوى الاصلاحات التي تقوم بها هذه الديكتاتورية من جهة، ومن جهة أخرى باتجاه هذه الديكتاتورية: هل تسير نحو التمادي في التسلط والحكم الفردي، أو انها تسير من التسلط نحو الحرية.

فإذا كانت اصلاحات الديكتاتورية بسيطة، كان يمكن قيامها بدون ديكتاتورية، اذن لامبرر لهذه الديكتاتورية. وإذا كانت هذه الديكتاتورية رغم اصلاحاتها الجوهرية تمشي نحو تمكين نفسها، فلا خير يرجى منها. وإذا طبقنا هاتين الملاحظتين على الوضع في مصر نكاد نخرج بنتيجة ايجابية لمصلحة الحكم في مصر.

من جهة الاصلاحات التي تمت لانقول بأنها جبارة تاريخية، ولكنها ليست بسيطة ولا فارغة.

ومن جهة أخرى هناك بادرة تشير إلى أن الحكم سيتوجه إلى تخفيف التسلط والارهاب، وإلى شيء من الديمقراطية.

ولكن، هذا لاينفي مطلقاً ضرورة الحذر الدائم، وضرورة المطالبة الدائمة بحقوق الشعب.. بحرية الشعب من جهة، والمطالبة أيضاً بأن تكون سياسة الحكومة العسكرية في مصر منسجمة إلى أبعد حد ممكن مع الاتجاه الانقلابي أو قريبة منه. فنحن مع اعترافنا بإيجابية بعض الأعمال التي قامت في مصر مثل الغاء النظام الملكي وتوزيع قسم من الأراضي، وتخطيط مشروعات انشائية، وتقوية الجيش، وانتهاج سياسة تحررية وذات اتجاه عربي.. مع اعترافنا بهذا كله لابد ان نذكر بأن الرأسمالية ما زالت في مصر، والرأسمال الاجنبي ما زال يلعب دوراً كبيراً..

ولم يحدّ مطلقاً من دخول الرأسمال الأجنبي، والعكس قد يكون أقرب إلى الواقع. وتوزيع الأراضي كان بنسبة محدودة، وهو ليس اشتراكياً بل تقدمياً. التوزيع الاشتراكي يكون بدون مقابل لأن حق المواطنين في الأرض ثابت ومكفول. أما حكومة مصر فقد اعترفت للمغتصبين بحقوق، واعطت للفلاحين الأراضي مقابل ثمن، وسهلت لهم دفع الثمن على أقساط، ولكنها لم تعطها لهم بدون مقابل.

وما زالت هناك نقاط حيرة واضطراب في السياسة العربية والسياسة الخارجية، إذ لم تنفض حكومة مصر يدها نفضاً تاماً من الدول الاستعمارية. بين الحين والآخر هناك تعامل.. وتفاوض.. واقتراض.. ومساومة الخ..

وفي السياسة العربية تعطي كلاماً أكثر مما تعطي عملاً. صحيح انها في مقاومتها للأحلاف الاستعمارية: هذا عمل وليس كلاماً، ولكن في الأمور الايجابية: الخطوات نحو الوحدة.. التوحيد الاقتصادي والثقافي ما زالت حكومة مصر مترددة.. ناقصة الجرأة.. بطيئة التنفيذ.. وما زالت تستخدم اساليب الحكومات الأجنبية في بعض الأمور: لها عملاء في بعض الاقطار العربية بدلاً من أن تكون جزءاً أصيلاً من الأمة العربية.. من الوطن العربي.. ما زالت سياستها تتأرجح بين هذين المستويين: المستوى القومي، والمستوى القطري.

الخلاصة: خير تعريف للحكومة المصرية انها حكومة تقدمية.. متوسطة بين الرجعية والانقلابية، وإذا نظرنا اليها نظرة فيها تحبيذ من بعض النواحي فليس ذلك لأننا نعتبرها مثلنا ومثل حركتنا، بل لأننا نأمل أن تكون خطوة مقربة ومساعدة لنضالنا. هذا الحكم التقدمي لايمكن أن يغني عن العمل الانقلابي العربي. ونخشى أن يتحول هذا الحكم التقدمي إلى لعبة بيد الرجعية والاستعمار ليضرب الانقلابية ويخدع الشعب بأنه هو الانقلابية مع أن بينه وبينها فرقاً أساسياً.

* * *

سؤال: هل كان بإمكان الحكم في مصر ان يوزع الأراضي بدون مقابل؟

طبيعي حينما نشير إلى هذا النقص. . لانريد أن نقول أنه كان بإمكان حكومة الثورة ان تعطي الأراضي بلا مقابل. . هذه الحكومة ليست انقلابية، والحكومة الانقلابية وحدها تستطيع أن تنظم المجتمع على أسس جديدة. . الحكومة المصرية تنظم المجتمع على الأسس القديمة. أعطاء الأراضي بلا مقابل يمكن أن يحدث ثورة على الحكومة: يتآمر الاقطاعيون مع الاستعمار. . الخ. . فهي حكومة لم تمهد لحكمها بنضال شعبي. . ليس لها نظرية واضحة. . لم تربط قضيتها بالقضية العربية عامة. . ولاتستطيع ان تقتحم صعوبات أكثر من استعدادها. . واستعدادها يقف عند هذا الحد.

سؤال: الا يشكل موقف الحكومات العربية الرجعية عاملاً معرقلاً أمام سياسة مصر العربية؟.

لم أشر إلى العراقيل من طرف الحكومات العربية الأخرى التي هي رجعية. . اقطاعية. . متآمرة مع الاستعمار إلى حد ما. . لأن هذا شيء مفروض ومفروغ منه.

نحن بصدد البحث عن حكومة مصر. حكومة مصر متحررة من كل الملابسات التي تحيط بالحكم الرجعي في سورية ولبنان وغيره. المفروض ان تكون أكثر تحمساً. هي تعرض. . الآخرون يعرقلون. . يجب أن لاتقف عند عرقلتهم. . يجب ان تكون هناك مثابرة ومحاولة أكثر جدية. هذا ما قصدته. وهو ناتج عن ضعف وعيها العربي. . هي رغم هذه البوادر الحسنة فوعيها ليس وعياً انقلابياً. . لو كان وعياً انقلابياً لضحت بمشاريع كثيرة من أجل مصر في سبيل خطوة توحيدية عربية، لأنها تعود عليها وعلى الشعب العربي بأضعاف الفوائد التي يحققها مشروع كالسد العالي مثلاً.

سؤال: هل هناك امكانية لتوحيد مصر مع سورية أو مع السعودية؟ وما هو موقفنا؟.

ـ السعودية: تعرفون حالها. . الشيء الجدّي مع سورية، وهذا لاشك شيء

ايجابي، ولكن يبقى معرضاً لشتى الأخطار والاحتمالات، لأنه لم ينفذ الميثاق المقترح الذي طوي، والذي نأمل ان يعود: توحيد في السياسة والاقتصاد والجيوش. نفذ توحيد في القيادة العسكرية.. معنى هذا: اذا غيرت مصر سياستها يبطل التوحيد العسكري؛ كما ان أرجاء التوحيد الاقتصادي يضعف كثيراً إمكانيات التوحيد.

مصر ستبقى دوماً سائرة في سياسة مقاومة الاستعمار، وفي السياسة العربية التحررية.. هذا لم يُنص عليه، ولكن الأمل ان يوجد هذا. وهنا الخطر: خطر ١٠ من مصر و٥٠ من سورية، لأن السياسة المناوئة للاستعمار وأحلافه قد تتغير.

الاستبشار الزائد بتوحيد القيادة العسكرية ليس مفيداً كثيراً. لاتبالغوا بأهميته.. كل شيء أحسن من العدم ولكن لايجوز الاطمئنان ولا الاكتفاء ولا القناعة. الواجب القومي الملقى على الجيوش العربية واجب كبير شاق: خطر اسرائيل معروف، واسرائيل معناها الاستعمار: الاستعمار يدفعها للتوسع لسحق النهضة العربية، لكي يبقى الاستعمار مستثمراً لبلادنا، أي ثروتها وموقعها. هذا لايتم بأن يجتمع أركان سورية ومصر.. هذا أحسن من العدم.. صحيح، ولكن المهمة كبيرة وشاقة. فالمهمة التي أمامنا الآن هي تزويد الجيش بالاسلحة.. والتحصينات.. والعدد المتزايد.. هذا لايكون إلّا بتنمية ثروات البلاد..

فالتوحيد الاقتصادي أساسي، إذا ضمنا عدم تغير السياسة في مصر وبقاء سياستها متحررة.

لايجوز ان نضع هذه الحكومة في مستوى الحكومات الرجعية: هي حكومة تقدمية. ونحن كحركة ثورية.. طريقنا طويل.. يجب ان تكون لنا نظرة للحكومات، للعراقيل التي في طريقنا.. هذه أخف من غيرها.. هذه مفيدة.. هذه أنسب من غيرها، ولكن ليس أمامنا حكومة انقلابية.. حكومة انقلابية لاتعترف بتقسيم فلسطين ولا تسكت عن فرنسا بعد شهر من الحملات الاذاعية عليها. ولكنها أحسن من حكومة نوري السعيد وأحسن من حكومات سورية المتعاقبة.

عملياً: الشعب متحمس لحكومة مصر، ونحن يجب ان نُفهم الشعب حقيقة وضع حكومة مصر، وما هي حقيقتها.

الحكومات في سورية هي دون حكومة مصر بكثير: من حيث الاخلاص.. الوعي.. التحرر من المصالح.. وبالتالي التحرر من الاستعمار.

ولكن اقدام هذه الحكومات على أعمال الخيانة، هذا شيء آخر فالحزب يغير لها حساباتها..

سؤال: ماهي الضمانة، اذن، لتحقيق السياسة العربية التحررية؟

- الضمانة في طليعة الحكم النضالية الجماهيرية. الاستعمار يشجع أحياناً حكومات تقدمية.. والاستعمار كثيراً ما يصير «تقدمياً» يسلم ١٠ لكي لايضيع ٩٠.

لو بقي فاروق وزادت النقمة.. ربما هب الشعب وأحرق الاخضر واليابس.. أميركا أيّدت الانقلاب في مصر لتوجد متنفساً لنقمة الشعب، لكي لاتنصبّ النقمة على الغرب فتطيح بكل ما له من مصالح.

اميركا لم تكتب صكاً مع رجال الثورة في مصر، ولا الشيشكلي ولا حسني الزعيم، وانما كدولة خبيرة وقادرة.. تعرف ما يمكن ان يخرج من هذا الحكم.. الى أي حد يصل هذا الحكم.. حكم من ضباط عسكريين ليس لهم حزب وليس لهم سند.. يحكمون بالسلاح.. يكسبون عداء الاقطاعيين.. يكسبون مودة الفلاحين، ولكن مودة الفلاحين على جهلهم ليست عنصراً فعالاً.. وأرض الفلاح لاتعطي سريعاً، فأميركا تضمن ان حكومة من هذا النوع لن تكسب شعبية كبيرة، ولكن حسابات اميركا لم تكن مضبوطة.. لم تكن تعرف ماذا ستفعل حكومة مصر. حكومة مصر تمخضت عن الكثير، ولكن لانستطيع ان نبتعد كثيراً: فحكام مصر لا يغلقون أبواب مصر في وجه الرساميل الاجنبية.. أخرجوا الانجليز باتفاق وليس بالسلاح.. لايذهبون في قضية فلسطين الى أبعد من مقررات الأمم المتحدة.. الرأسمالية باقية في البلاد.

أي ان حكومة مصر لها حدود معينة لاتستطيع تجاوزها.

سؤال: هل تأثرت حكومة مصر بمواقف الحزب؟.

ـ حكومة مصر تأثرت بالحزب دون اتصال مباشر، ثم طلبوا الاتصال، وحصل. وطلبوا كتابات.. وأعطينا رأينا في أعمالهم الداخلية: أصدرنا بياناً بمناسبة اعدام الاخوان المسلمين ـ رغم رأينا فيهم ـ وبيّنّا أننا لانوافق على القمع والارهاب، وأرسلوا يطمئنون على أثر بياننا، وأنهم سائرون نحو الديمقراطية.

الشيء نفسه حصل بالنسبة للحياد: قلنا بالحياد منذ ٨ سنوات أو أكثر.

هناك براعة في سياسة مصر، ولكن واجبنا نحن أن نلتزم الخط القومي الواضح، ونضغط على الآخرين.. نحن لانفهم المساومة.

واجب الحزب مزدوج: أهم شيء عليه تكوين رأي عام عربي انقلابي.. هذا الواجب أساسي.

واجب آخر بالدرجة الثانوية: توجيه الحكومات حينما تكون هناك بادرة إخلاص.. هذا التوجيه يكون بضغط الشعب.. الشعب بضغطه يسمح بأن يكون لرأيك وزنٌ إذا ما قدمته للحكومة مثلاً.

يجب ان يكون اتصالنا بالشعب واسعاً: جرائد ـ بيانات ـ لقاءات.. ونتصل بالحكومة إذا ما ظهر إخلاصها.

آذار ١٩٥٦

النضال في المغرب واسلوب المفاوضة

ابتدأ الحديث بسؤال عن نظرتنا إلى السياسيين في تونس، الذين ساروا في الحل المعروف.. حل المفاوضة.. التفاوض والتفاهم مع الاستعمار الفرنسي، وهل نعتبرهم خونة أم مجرد مخالفين لنا في الرأي...

* * *

لقد سأل الأخ عن مفهومنا للخيانة، وهل تنطبق هذه الصفة على أولئك السياسيين في تونس؟.. وبالتالي هل عرفنا وجهة نظرهم كما عرفنا وجهة نظر المعارضة؟..

لا أوافق على استعمال لفظة الخيانة، ولست أرى كبير نفع من التطرف في هذه التسميات والالفاظ. ولكن الواجب ان نعين بالضبط، بالدقة، ودون اللجوء إلى كلمات إنفعالية ماهي حقيقة السياسة التي انتهجها السياسيون المعروفون في تونس.

انني أعتبر بأن في المغرب العربي إمكانيات نضالية هائلة، وهي موجودة في الشعب العربي عامة، ولكن قد تكون متفوقة في الشعب العربي المغربي. ومن جهة أخرى نعرف بأن الدولة الافرنسية في طريق الانهيار والانحطاط، وان الاستعمار عامة في طريق الانهيار.

ونعرف من جهة ثالثة بأن أقطار الشرق العربي خطت رغم تلكؤ حكامها، رغم كل المآخذ التي نأخذها على الأوضاع فيها. . ورغم كل شيء. . خطت خطوات كبيرة في سبيل التحرر وخاصة في طريق الوحدة. . التحسس بالوحدة وفائدتها وأصالتها، وبأنها واقعية وليست خيالاً ووهماً.

بالاستناد إلى هذه العناصر الثلاثة كان من واجب قادة النضال في تونس ان يتفاءلوا بالشعب اكثر مما فعلوا. . ان يتفاءلوا بالشعب العربي عامة، وبالشعب العربي في تونس بصورة خاصة. . بأنه سيتحمل نضالاً أطول وأقسى لأنه في كل خطوة يزداد خبرة وعزيمة ويزداد وعي الشعب في النضال، ويزداد شعوره بحقه في الحياة، وليس هنالك خوف على الشعب أن يتخاذل أمام القوة الغاشمة. اذن حُكمْنا عليهم أنهم ضعيفو التجاوب مع روح الشعب. لانقول انهم يعرفون إمكانيات الشعب في النضال وتآمروا عليها، ولكننا نقول: لايعرفون حقيقة الامكانيات الشعبية، ولذلك وقفوا في نصف الطريق، وهذا يعني الحكم بعدم جدارتهم بالقيادة.

فموضوع الخيانة في نظري موضوع ثانوي. وكما قلت: لا أستسيغ أنا شخصياً إلقاء هذه الألفاظ جزافاً، ولكنني أتوخى التحليل العلمي الواضح. فهل برهن هؤلاء القادة على ثقة بالشعب حقيقية، وبأنه قادر على الاستمرار في النضال؟. . وماذا وجدوا من الشعب ما ينبىء عن ضعفه وتَعبه مادام الشعب في الجزائر قاسى أضعاف ما قاساه الشعب في تونس، ولزمن أطول بكثير؟. . ولكنه اليوم متفوق من حيث القوة والاستعداد للمقاومة، وفرض احترامه على الآخرين. . فكيف نصدق ان الشعب في تونس أضعف منه في الجزائر. . ! اذن ألا يكون من حق الشعب العربي وهو الذي عانى تجارب كثيرة حتى اليوم أن يتساءل: هل وراء ذلك مصالح خاصة، ليس بالضرورة عند بورقيبة وأشخاص معدودين من مساعديه، ولكن عند طبقة معينة يستند إليها هؤلاء الزعماء وهي الطبقة التي تحرص على مصالحها الاقتصادية، ولا تستطيع أن تفرط بهذه المصالح من أجل قضية وطنية؟.

المأخذ على هؤلاء القادة أنهم اعتمدوا على طبقة ليست هي طبقة الشعب، ولا

تمثل حقيقة مصالحه. والملاحظ ان هذا النوع من السياسيين ضعيف الثقة بالتضامن العربي.. بالتعاون العربي.. ضعيف الثقة بالمساعدات الجدية التي يمكن ان تأتي من الأقطار المستقلة، لأنهم حاولوا وطلبوا ولم يجدوا تلبية؛ ولكن هم أنفسهم هؤلاء من نفس نوع الحكومات التي منعت عنهم المساعدة، لأنهم لو كانوا من طبقة الشعب لما يئسوا، ولما حكموا على الأمة العربية من خلال طبقة متخلفة شائخة. الأمة العربية ليست هي نوري السعيد وحكومات سورية ولبنان.. انها أعمق بكثير وأغنى بكثير، ولكنها لم تمثل بعد التمثيل الصادق. أبناء الشعب الذين لايعتمدون في نضالهم إلّا على الشعب لاييأسون من الأمة عندما تتخاذل الحكومات. والشعب لايكذّب هذه الثقة وهذا التفاؤل، لأن كل يوم يأتي بجديد ومفاجأة لمصلحتنا، ويفصح عن إمكانيات لم نكن نتوقعها. وكأنهم - في الواقع - كانوا ينتظرون عذراً لكي يقطعوا هذه الصلة ليس بين تونس والشرق العربي فقط بل بين تونس والجزائر ومراكش، لأنهم رضوا أن يفصلوا أنفسهم عن الشعب.

ونحن لم نكن بحاجة إلى وجهة نظر المعارضة التونسية ما دمنا جربنا هذه الاشياء هنا. صحيح اننا سمعنا رأي المعارضة، ولكننا كنا نعرفه قبل أن نسمعه لأنه هو رأينا.

على كل حال، اني أعتقد بأن هذه الخطوة لن تكون هي الخطوة النهائية، وانها تجربة خاطئة سيصححها الشعب نفسه. لا أستطيع التنبؤ هل سيكون ذلك الآن أو بعد سنة أو أكثر، ولكني متيقن أن هذه السياسة - سياسة المساومة والاعتدال - قد فشلت دوماً وكانت من مصلحة المستعمر لامن مصلحة شعبنا.. ولقد أصبح عند الشعب العربي من الوعي والتجارب ما يكفل بأن يصححها باستئناف النضال وتوحيد النضال في المغرب وبين المغرب وبلاد الشرق العربي.

- القول بأنه في حالة وصول الجزائر ومراكش الى الوضع الذي وصلت إليه تونس، في هذه الحالة ماذا تكون الخطوات العملية لمتابعة النضال؟..

اني رغم ثقتي التامة بأن النضال في الجزائر لن يهدأ، وفي تونس أيضاً ومراكش، ولكن لنفرض جدلاً بأنه وجدت هناك فئات دخلت في مفاوضة مع

الافرنسيين على وضع يكون أكثر قبولاً نسبياً من الوضع السابق، ولكنه لايحقق أماني الشعب ومطالبه، واستطاعت هذه الفئات بالتعاون مع الافرنسيين ان تفرض هذا الحل فرضاً مؤقتاً. أعتقد بأن كل نظرة ايجابية إلى هذا النوع من التسوية ستسيء اساءة بالغة إلى القضية الوطنية. أي إذا سلمنا بجواز التعاون الحكومي بين الاقطار المغربية الثلاثة وبموافقة الشعب على هذا التعاون، ليس لنا حيلة في أن تتعاون الحكومات، ولكن الخوف والخطر هو ان ينظر الشعب انه لمصلحته مع انه لمصلحة الاستعمار. لم يعد أحد يجهل اليوم ما هي المصالح الافرنسية الكبيرة التي وجدت في المغرب.. وإلى أي حد تستعمل طبقة معينة من الافرنسيين هذه المصالح للاحتفاظ بمركزها وسلطتها. وليس لذلك إلّا معنى واحداً هو الاستغلال الاقتصادي.. لم يعد هناك مكان في فرنسا للوطنية أو النفوذ الشعبي الفرنسي، كل ذلك أصبح تدجيلاً.. الحقيقة أن هناك طبقة تستثمر أرض المغرب العربي وثرواته، وطبقة أخرى من الموظفين يعيشون أسياداً في المغرب العربي، هؤلاء فقط يحرصون على بقاء سلطة فرنسا في المغرب، هؤلاء يشترون الصحف والنواب والوزراء وقادة الجيش الفرنسي. فإذن كل تعاون مع فرنسا يفترض حتماً التسليم لهذه الطبقة المعينة الفرنسية بالاستمرار في إستغلال ثروات المغرب؛ فأية نهضة يمكن أن ننتظر. أي مستقبل؟؟ إستقلالات شكلية تكون قد أفرغت سلفاً من محتواها الايجابي الذي هو ثروة البلاد. وما دمنا نسمح للفرنسيين باستغلال هذه الثروات فليس هناك إستقلال حقيقي. وعلى كل حال ومهما تكن الاجتهادات فإن بقاء الشعب معارضاً لهذه الحلول وحذراً منها، ومستعداً دوماً لمقاومتها هو الحل الصالح والسليم، لأنه في أسوأ الاحتمالات يكون ضغطاً على الحكومات المحلية من جهة وعلى الاستعمار من جهة أخرى لكي يعتدلوا في إستثمارهم وجشعهم، لكي يقفوا عند حد. لذلك لا أفهم خاصة من الشباب، الشباب الواعي، أن يستنكر وجود معارضة، مع العلم بأن المعارضة في أسوأ الاحتمالات هي ضمانة لتخفيف الشر. ونحن نرجو أن تكون المعارضة وسيلة لاستئناف النضال وطرد الاستعمار، وهي في أقل الدرجات ضمان لكي لايرجع الاستعمار إلى راحته الأولى ويسترسل في جشعه

واستغلاله، لأنه يخشى دوماً من عودة النضال المسلح، ويحسب حساباً للشعب ولمصالح الشعب.

آذار ١٩٥٦

العلاقة بين الحكومات والشعب العربي

إذا رجعنا بأذهاننا إلى ما قبل عشر سنوات لنلقي نظرة على الوضع الحكومي في الوطن العربي نجد أنه كان ثمة ما يقرب من التناقض بين الشعب والحكومات. فالشعب كان ينظر إلى هذه الحكومات كأنها حكومات أجنبية، وكان يعتبرها بحق مندوبة عن الاستعمار وسياسته ومصالحه، وكان يرتاب في كل عمل تقوم به، ويناصبها العداء.

ولا حاجة أن استعرض الآن مراحل النضال العربي خلال السنوات العشر الأخيرة، وكيف أن الشعب في أكثر الأقطار العربية استطاع أن يسقط الحكومات، ويفضح تآمرها، ويزيل الهالة التي كانت تحيط بها نفسها. هذا النضال كان يدور حول السياسة الداخلية والعربية والخارجية في آن واحد، فكان الشعب يناضل ضد كبت الحريات في الداخل، وضد تزوير الانتخابات، وضد استغلال الحكم لمصلحة أفراد وطبقة معينة وإهمال مصلحة العدد الأكبر من المواطنين. كما كان الشعب يناضل ضد سياسة التجزئة والتناحر بين الحكام العرب، وانحصارهم في افق مصالحهم الشخصية، ونظرتهم الاقليمية، وتضحيتهم بمصلحة القضية القومية الكبرى في سبيل منافسات وزعامات ليست في مستوى تلك القضية.

كذلك كان الشعب في مختلف اقطارنا يناضل ضد السياسة المستسلمة

للمستعمر. . الضعيفة. . المتآمرة في كثير من الأحيان مع المستعمر نفسه ضد مصلحة الوطن. ومن الطبيعي - بل من البديهي - في شعب كشعبنا أصبح من الواضح جداً أنه يجتاز مرحلة إنبعاث أن تكون معارك نضاله فعالة مؤثرة، وان تأتي بثمار جدية، وهذا ما بدأ الشعب يلمسه في هذا الوقت الأخير. . وقد حصل تطور كبير في حياة العرب في هذه السنين، وان كنا اليوم نلاحظ أن الهوة بين الشعب وبين بعض الحكومات - لا كلها - قد ضاقت، ووجد أخيراً شيء من التقارب أو التجاوب بين الشعب وحكوماته، فما ذلك إلا نتيجة ذلك النضال: النضال الواعي الذي رسمت خطوطه القيادات الشعبية الانقلابية والتقدمية في الوطن العربي.

وليس من مواطن واع يخطر بباله أن هذا التغيير في الوضع العربي وفي السياسة العربية الرسمية ناتج عن رغبة الحكام ووطنيتهم وبعد نظرهم، وعن كونهم قادة بالمعنى الصحيح، وأنهم يرسمون الطريق لشعبهم وأمتهم، لأن الواقع يكذب ذلك. كل ما جرى في هذه السنين العشر الأخيرة إذ لم نشأ أن نرجع إلى أبعد من ذلك كان نتيجة ضغط الشعب على الحكومات، وفرض الشعب لارادته على تلك الحكومات، لانتيجة وعي الحكومات وإخلاصها وتجاوبها الصادق مع الأماني القومية.

وفي شعب حي يجتاز مرحلة انبعاث - كما قلنا - لاتظل الأمور جامدة ساكنة، بل كل شيء يتغير ويتبدل ويتطور نتيجة حيوية الشعب، واندفاعه وتحسسه بحقوقه وبكيانه وبشخصيته الانسانية وبدوره في التاريخ. لذلك فالحكومات أيضاً تتغير. . تتغير بأشخاصها. . . وتتغير بعقليتها. . . ويتغير افقها. . وتتغير علاقاتها مع الشعب.

وقد جرت في هذه السنوات هزات كثيرة وحوادث داخلية وخارجية خطيرة، وتبدل نوع الحكم في بعض الأقطار وقام حكم عسكري في سورية وتغير ثم تجدد وتعاقب ثم تغير، وقام حكم عسكري في مصر. وأهم هذه الهزات القومية - بلا ريب - هي معركة فلسطين، وتآمر الدول الأجنبية على القضية العربية عندما أقروا إقامة

دولة للصهيونية في فلسطين.

وهذا الحادث، كما شعر بذلك المناضلون الواعون من أبناء أمتنا عند حدوثه ـ أي منذ ثماني سنوات ـ وبدأ الشعب والكثرة الساحقة تلمس ذلك تدريجياً. . . هذا الحادث هو حادث تاريخي كان له وما يزال النصيب الأكبر في تحريك الكيان العربي، وفي كشف زيف الأوضاع التي كان عليها العرب، وفي تبديل أساسي عميق في نفوس العرب وعقليتهم، خطا بهم عشرات السنين إلى الأمام. وبكلمة مختصرة، ان كارثة فلسطين أدخلت العرب في العصر الحديث.

فماذا يمكن أن نستنتج من هذه النظرة في التبدل الذي حصل خلال هذه السنوات؟ هل نخرج بنتيجة متفائلة أو على العكس؟. . وإذا خرجنا بنتيجة متفائلة كيف يجب أن نفهم هذا التفاؤل. . مادمنا قررنا أن تطوراً كبيراً قد حدث. . قد تم. . وان تكوين الحكومات في بعض الأقطار العربية قد تبدل، وان عقلية الحكومات قد تغيرت، واقتربت نسبياً من حاجات الشعب وأمانيه. . فمن الطبيعي ان نتفاءل. . ولكن كيف يجب أن نتفاءل؟. . هل نسلم قيادنا بعد اليوم للحكومات، ونطمئن أطمئناناً أعمى، ونسير في ركابها مؤيدين مصفقين؟ أم نستمر كما كنا في النضال، والضغط، ورسم الأهداف القومية الصحيحة، البعيدة، لكي تستمر هذه الحكومات في الاستجابة لمطالب الشعب، وتحسب حساباً لارادته، وتزداد اقتراباً منه، ولكي نصل إلى اليوم الذي تصبح فيه الحكومات شعبية. . من صميم الشعب. . وثورية انقلابية تضع الأهداف القومية موضع التنفيذ؟. .

لاشك أن التفاؤل الذي يجوز لنا هو هذا الأخير مشروطاً باستمرار النضال، وباستمرار الضغط، وبرفع مستوى النضال. إذ أن نضالنا في السنين السابقة كان يراعي الامكانيات الراهنة. وقد ازدادت هذه الامكانيات زيادة كبرى، فمن الواجب ان تزداد مطالبنا علواً وبعداً وان يرتفع مستواها بنسبة ازدياد امكانياتنا القومية الشعبية.

والضغط الشعبي لايضير الحكومات عندما تكون مخلصة، إذ انه قوتها الوحيدة. . وقوتها الكبرى. وكل حكومة تبقى مذعورة من الضغط، مرتابة فيه،

تفصح في ذعرها وفي ارتيابها عن بعدها عن الشعب وعن نقص الصدق في سياستها وفي مماشاتها للشعب.

فكلنا يدرك بأن مجال الحكام هو أضيق من مجال المناضلين. الحكام هم في ميدان التنفيذ يراعون اعتبارات عدة لذلك لابد في هذه المرحلة أن يقصّروا عن المطالب الشعبية الكاملة، فإذا سكت الشعب عن المطالبة، فإن الحكومات تعجز حتى عن تحقيق مهمات هذه المرحلة التي ليست هي كل شيء، وليست إلا جزءاً من مراحلنا وأهدافنا القومية.

هذا ماكنا نقوله منذ سنين طويلة، ولم يكن الرسميون قادرين أن يستوعبوا ذلك أو يعترفوا بصحة هذا المنطق وهذا السير. كنا نقول دوماً منذ نشأة هذا الحزب قبل خمسة عشر عاماً ـ ومنذ المعارك النضالية الأولى، بأن الأمة العربية في هذا العصر ما زالت في حالة الامكان، لم تتحقق بعد إلا تحققاً جزئياً، وكل قواها أو أكثر قواها وإمكانياتها ما زالت خبيئة مخزونة، ومن الواجب ان نراهن على هذه الأمكانيات الخبيئة، وان نناضل من أجل تفجيرها والكشف عنها وتحقيقها، وبالتالي أن تكون سياستنا سياسة المستقبل، وان ترمي دوماً إلى المستقبل، وان نعتبر الحاضر وسيلة ومرحلة يجب أن تسخر لهذا المستقبل الغني بالقوى والامكانيات وينتج من ذلك ان الفرق بين الشعب الذي هو مستودع هذه الامكانيات وبين الحكومات التي تعالج الظرف الحاضر الراهن يجب أن يبقى بينهما فرق كبير، وان تتحاشى الحكومات ـ إذا كان فيها ذرة من الاخلاص ـ اعتبار نفسها صورة صادقة عن الشعب لأنها بذلك تفقر الشعب إلى أبعد حدود الأفقار. لأن إمكانيات الحكومات ضئيلة وإمكانيات الشعب وفيرة.

واليوم ـ أيها الاخوان ـ ما زلنا نصطدم ببقايا تلك العقلية القديمة. ولئن تبدلت عقلية الحكام بعض الشيء فأنها لم تتبدل تبدلاً كلياً تاماً. وما زالت هناك رغبة عند الحكام في أن يعتبروا انفسهم قادة للشعب، وان يعتبروا انفسهم ممثلين لحقيقة الامكانيات الشعبية، وان يجيزوا لأنفسهم بالتالي منع الضغط الشعبي ـ إذ لامبرر

للضغط الشعبي عندما تكون الحكومات المعبّر الصادق عن حاجات الشعب وإمكانياته. ولعلكم لاحظتم في البيان الذي صدر في القاهرة عن اجتماع الرؤساء الثلاثة روحاً تتأرجح بين الماضي والمستقبل، فبينما يعترف هؤلاء الرؤساء بفضل الضغط الشعبي ـ لم يقولوا الضغط الشعبي وإنما قالوا الوعي. . الوعي العربي. . وعي الرأي العام العربي ـ في نفس الوقت الذي اعترفوا فيه بفضل هذا الوعي حاولوا أن يظهروا بأنهم هم الذين خلقوه وأوجدوه، والصحيح أنه إنما خلُق اثناء محاربة الشعب لهم ومقاومته لسياستهم ولعقليتهم الجامدة، ولنفسيتهم ولمكابرتهم، وفي بعض الأحيان وجد هذا الوعي في معزل عنهم تماماً ولم يكن لهم في خلقه أثر سلبي أو إيجابي.

ولا بد من التفريق أيضاً بين هذا النوع من الحكومات الذي بدأ يساير الاتجاه الشعبي ـ فليست كل الحكومات السائرة اليوم في الاتجاه التحرري. . ليست كلها سواء. .

وهنا نتعرض لسؤال طرح عن سياسة مصر وجمال عبدالناصر. فأعتقد أنه من الواضح أن سياسة العسكريين في مصر وخاصة زعيم هذه الفئة الرئيس جمال عبد الناصر سياسة لم تأت فقط من الضغط الشعبي وإنما فيها عنصر عفوي وصادق، وفيها تجاوب ذاتي مع حاجات الشعب وأماني الشعب، وبذلك نفرقها عن الحكومات الأخرى التي تسير في ركاب سياسة مصر، والتي إنما تسير مرغمة، وإن هذه السياسة لاتنبع من نفسها، من أعماق نفسها، وإنما بضغط الظروف وجدت من المناسب أن تساير هذه السياسة. اذن من الانصاف ومن مصلحة القضية القومية أن نتبين ونميز هذه الفروق. وهنا سأتوقف عند موضوع حكومة مصر لأعود إلى إكمال الجواب على السؤال الأول ـ إذ أن الموضوعات متشابكة ـ لأبين لكم كيف أن سياسة الحاكمين في مصر اليوم ان لم يجز ان تسمى سياسة انقلابية كما نفهمها ويفهمها الشعب العربي فلا يجوز أيضاً أن نساويها بسياسة الحكومات الأخرى فهي أرقى وأصدق من سياسة الحكومات الأخرى وان كانت لم تبلغ مستوى

السياسة الانقلابية.

قلت لكم ان اضخم حدث في حياة العرب في العصر الحديث هو كارثة فلسطين، وتآمر الدول الأجنبية على قضيتنا. . على حريتنا ووحدتنا بصورة خاصة. . لقد كانت إقامة اسرائل في قلب وطننا كارثة هزت بعنف وعمق بنياننا السياسي والاجتماعي والنفسي في آن واحد. وأصابت هذه الهزة قطراً عربياً كبيراً كانت السياسة الاستعمارية والسياسة الرجعية تعزلانه عن بقية الأقطار العربية، ولكن عنف الصدمة تخطىّ تلك الحواجز المصطنعة التي أقامها المستعمر وأقامها السياسيون الرجعيون في مصر. وبدأ الشعب العربي في مصر يشعر بوحدة قضيته مع أبناء العروبة كلهم، ونتج عن ذلك، الانقلاب العسكري في مصر، على أثر الانقلابات العسكرية في سورية، وبما أنه لم يكن في مصر حركة شعبية انقلابية تقوم على أساس عربي واضح كحركتنا، ولها نظرة شاملة تتناول القضية العربية من مختلف نواحيها الاقتصادية والتحررية والتوحيدية فكان ذلك مساعداً على أن يظهر في الجيش المصري شباب حاربوا، في فلسطين وعانوا بالتجربة الحية معركة العروبة في فلسطين، وعانوا في تلك المعركة بالتجربة المباشرة القاسية فساد الحكم وتآمر الحكام مع الاستعمار على قضية الشعب، فساعد ذلك على أن يحمل هؤلاء الرجال رسالة إلى الشعب العربي في مصر أولاً وإلى بقية أقطاره ثانياً. فكانوا استجابة لرغبات الشعب ولآلامه، وهم لايشبهون بحال من الأحوال الحركات العسكرية التي ظهرت في سورية، لأنها كانت مشبوهة منذ البدء، ولم يكن لوجودها مبرر، مادامت الحركة الانقلابية الحية قد وجدت في هذا القطر والشعب سائر وراءها، ويتعاظم عدده ونضاله في طريقها. . كانت الحركات العسكرية في سوريا متهمة بأنها أتت لتقاوم الحركة الشعبية الانقلابية وتقطع الطريق عليها لا لتحقق حكم الشعب. أما في مصر فلم يكن ثمة مثل هذه الحركة وكانت عناصر الاخلاص والسلامة متوافرة أمام تلك المجموعة من ضباط الجيش لكي يحسنوا الاصغاء إلى أماني الشعب ويستجيبوا لها بأمانة، وهكذا رأيناهم يبدأون أعمالاً فذة، وينقذون مصر من حكم

الملك ومن الملكية وفسادها، وينقّون الجو، ويبادرون إلى تلبية أمسّ الحاجات الشعبية.. إلى العناية بمستوى العدد الأكبر من أبناء الشعب فوزعّوا الأراضي وشقّوا طريقاً إلى الاصلاح الاجتماعي، ثم بعد تردد مدة من الزمن ادركوا صلتهم بالحركة العربية العامة، وادركوا موضعهم الخطير من هذه الحركة، فتجرؤوا وساروا في اتجاه عربي وحدوي تحرري ـ لانقول انه غاية الغايات، ولانقول انه الاتجاه الانقلابي الذي نسعى إليه، ولكنه بلا شك خطوة كبيرة على طريق اتجاهنا. . .

١٢ نيسان ١٩٥٦

العرب والاتحاد السوفييتي

(على هامش زيارة شبيلوف)

عندما أفكر في السياسة الخارجية[1] التي بدأت تنتهجها مصر وسورية منذ عام أجد لها أسساً وخطوطاً رسم حزبنا بعضها منذ حوالي عشر سنوات ـ كسياسة الحياد الايجابي ـ ورسم بعضها الأخر قبل ذلك بسنوات ـ واعني بها موقف العرب من الاتحاد السوفياتي.

ففي أحاديث حزبية طبعت عام ١٩٤٤ تحت عنوان «القومية العربية وموقفها من الشيوعية» فرقنا تفريقاً واضحاً بين الشيوعية كنظرية وكحزب قائم في بلادنا ينطلق من نظرة ومقاييس غير نظرة هذه البلاد ومقاييسها القومية، وبين الاتحاد السوفياتي كدولة تقدمية كبرى يمكن أن يكون لها وزن خطير في دعم قضايا الشعوب المظلومة المستعمرة وفي تعديل طغيان الدول الاستعمارية. فقد كتبنا في نهاية تلك النشرة المطبوعة قبل أثني عشر عاماً ما يلي: «فنحن نفرق بين هذه الدولة (الاتحاد السوفياتي) وبين الحزب الشيوعي كل التفريق، ونعلم أن العرب لا يرون أي موجب لمعاداة دولة عظيمة كروسيا السوفياتية ما تزال منذ نشوء نظامها الجديد تظهر العطف على الشعوب المناضلة في سبيل حريتها واستقلالها. بل أن العرب ليأملون أن تنتج نوايا الدولة السوفياتية أثراً عملياً طيباً في السياسة الدولية، فتتوثق صداقتهم بها بقدر ما يلمسون من صدق هذه النوايا ومن اتفاقها مع مصلحتهم القومية».

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ٢٩ حزيران ١٩٥٦.

وكتبنا عام ١٩٤٦ في مقال نشر في جريدة «البعث» العدد (٦) الصادر في ١٠ تموز تحت عنوان «علة الضعف في سياستنا الخارجية» ما يلي: «والسياسة التي لها وزنها الثقيل في الضغط على مقدرات العرب هي بصورة خاصة سياسة الدولتين الانكلوسكسونيتين، بريطانيا والولايات المتحدة. وليس لهذه السياسة ما يتكافأ معها في القوة والتأثير ويشكل معدلاً لخطرها الا سياسة دولة كبرى تقف للاستعمار البريطاني والأميركي بالمرصاد، هي دولة الاتحاد السوفيتي، وان من أبسط القواعد السياسية ومن أولى الواجبات القومية التي تترتب على حكومات واعية لمصلحة بلادها، حرة في تقرير موقفها السياسي الدولي هي أن تستعين على أعدائها، بأعداء أعدائها أو على الأقل أن تهدد بهم وان تهتم بمكافحة العدو الجاثم على قسم كبير من أراضيها والعدو المعتدي على صميم قوميتها».

هذا ما كنا نراه منذ سنين عديدة، فلننظر الى ما يجب أن يكون عليه موقفنا القومي على ضوء التطورات والتجارب التي تمت منذ ذلك الحين سواء في العالم أو في داخل بلادنا العربية. أما في العالم، فقد قويت وتعاظمت جبهة الشعوب المتحررة من نير الاستعمار والمتمسكة باستقلال سياستها عن سياسة المعسكرات العالمية. كما تطور الاتحاد السوفييتي نفسه في الاتجاه الذي كنا نتوقعه، وهو التعاون الحر الذي يحترم خصائص الشعوب وظروفها الخاصة ومشروعية أقامتها أو وصولها الى الاشتراكية بطرقها الخاصة بها. وهذه كلها عوامل مطمئنة ومشجعة للشعب العربي وحكوماته التقدمية لكي يمضوا دون حرج وبمزيد من الثقة والجرأة في سياسة الحياد الايجابي والتعاون مع الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي. فلقد غدا اليوم واضحاً أن مصلحة الأمة العربية ومصلحة الاتحاد السوفياتي تلتقيان، ولزمن غير قصير، في أكثر من نقطة حيوية. فالأمة العربية تناضل في سبيل التحرر السياسي والاقتصادي من الاستعمار الغربي. والاتحاد السوفياتي يرى في بقاء احتلال دول الغرب العسكري والاقتصادي للبلاد العربية خطراً مباشراً يهدد وجوده. وهو لذلك، اذ يدعم قضايا العرب ويمدهم بالسلاح والعون الاقتصادي لا يطمح الى أكثر من اغلاق البلاد العربية في وجه الاستعمار الغربي ومنعه من استخدامها مسرحاً

لعملياته الحربية ومورداً اقتصادياً لتغذية نفوذه وسيطرته. ولئن كان من واجب العرب أن يكونوا واقعيين فيعرفوا ما هي المصالح التي غيرت سياسة الاتحاد السوفياتي نحوهم وقربته من طريقهم وصداقتهم، فإن من الواقعية أيضاً أن يدركوا الفارق الأساسي الذي يقوم بين الدول الاشتراكية من جهة، والدول الرأسمالية من جهة أخرى، وان من ضمن مصالح الدول الاشتراكية أن تخلص لمبادىء مجتمعاتها القائمة على الحرية والعدالة والسلام والمتنافية مع الاستعمار والاستثمار.

٢٩ حزيران ١٩٥٦

تهليل القوى الاستعمارية يدل على وجهة الخطوة الاخيرة

ما أحوجنا[1] بين الحين والآخر الى تنقية الجو السياسي من الارتجال والمهاترة والاتهام، فنعالج أمورنا الخطيرة بمنطق العقل وروح الأخوة القومية. والواقع أنه ما كان لفرد أو جماعة أن يضطلعوا بمهمة الاصلاح والانقاذ لو لم تكن نقطة انطلاقهم هذا الايمان العميق الراسخ بأن سلامة النوايا الشعبية ورجحان الامكانيات الايجابية عند الجماهير هما الضمانة الأساسية لتفتح القوى المؤيدة للتقدم وتعاظمها حتى تتغلب على الفساد والمرض آخر الأمر.

والواقع أيضاً أن كل خطوة يخطوها الشعب في طريق تحرره من قيود الاستعمار وتغلبه على أوضاعه المتخلفة يجب أن يرافقها ارتفاع مقابل في المقاييس القومية التي يهتدي بها في هذه الطريق الطويلة الوعرة، فمستوى الوطنية والاخلاص في زمن الانتداب، والاحتلال الاجنبي، قبل عشرين عاماً، يوم كان الوصول الى عقد معاهدة مع فرنسا يمثل اقصى المطالب الوطنية، لايصح أن يكون مستوى الوطنية والاخلاص الآن عندما يكون همنا تعزيز الاستقلال من الداخل بتقوية جيشنا وتصنيع بلادنا واستثمار ثروات أرضنا وتوحيد أجزاء وطننا العربي على أسس سليمة

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ١٣ تموز ١٩٥٦

تكفل لنا إمكانية الدفاع عن وجودنا وقوميتنا أمام خطر إسرائيل والقوى الاستعمارية الداعمة لها.

فليس بديهياً إذن ولا ضرورياً أن يكون الذين كانوا يُعتبرون وطنيين قبل عشرين عاماً مثلاً، متلائمين مع شرائط الوطنية كما تقتضيها ظروف المرحلة الحاضرة. وليس من أحد يجهل أن الذين يتزعمون اليوم حملة التشكيك في قدرتنا على التحرر من سيطرة الغرب السياسية والاقتصادية وفي جدوى التعامل مع المعسكر الشرقي لتسليح البلاد وتصنيعها، ويثيرون الشكوك ويضعون العقبات في طريق الاتحاد مع مصر، ويقترحون إدخال العراق بوضعه الحالي المعروف في هذا الأتحاد، كانوا من زعماء الوطنية بمفهومها القديم.

فلو سلمنا بحسن النيات لما أغنانا ذلك شيئاً. والمقاييس القومية الجدية تفرض علينا معرفة الترابط الوثيق بين هذه القضايا كلها. فالتلكؤ في أخذ السلاح ووسائل التصنيع من الدول الشرقية هو إبقاء لسيطرة الغرب وبالتالي تقوية لاسرائيل وخطرها. والتلكؤ في تحقيق الاتحاد بين سورية ومصر هو إضعاف للبلدين ولكل السياسة القومية العربية التي يجسدان بها أهداف الأمة العربية، وبالتالي عودة للأحلاف الاستعمارية وتسهيل لقبولها.

وما يصح على «الوطنيين» من أعداء السياسة التحررية يصح أيضاً على الذين تبنوا منهم هذه السياسة تبنياً سطحياً دون أن يرجعوا عن تصرفاتهم وأساليبهم العتيقة التي تعرّض هذه السياسة للنكسة والتراجع في مثل هذا الظرف الدقيق الذي يقف فيه الاستعمار المهزوم الحاقد واسرائيل الباغية بالمرصاد لاستغلال أقل خلخلة واضطراب في صفوفنا.

وما النفع من أن يتعهد هؤلاء للشعب العربي بمقاومة الأحلاف الأجنبية ومؤازرة حركات التحرر والايمان بالوحدة العربية، ومن أن يتبنّوا بحماسة ظاهرة خطوة الاتحاد مع مصر، إذا كان دأبهم داخل سورية محاربة القوى الشعبية التي تقاوم الاحلاف وتناضل في سبيل التحرر وتعمل من أجل الاتحاد، وهل يجدي هذا الحماس شيئاً في منع الدول الاستعمارية واسرائيل واعداء الاتحاد الداخليين في سورية وغيرها من

استغلال كل ذلك لتعطيل خطوة الاتحاد مع مصر؟.

ان اخلاص الشخص لا يعرف بالنية والاعلان فحسب، بل أيضاً وعلى الأخص بالقوى التي يعتمد عليها لتحقيق سياسته، وبالأسلوب الذي يتبعه في تحقيق هذه السياسة. والمخلص هو الذي يعرف دوماً في كل تصرف يقوم به أي القوى تستفيد من تصرفه؟ حتى لو لم يكن بينه وبينها علاقة أو صلة.

ولقد أصابت بعض الصحف كبد الحقيقة عندما استشهدت بما كتبته صحيفة انكليزية استعمارية عن الحدث الأخير[1] واستبشار الاستعمار به كواسطة لارجاع سورية الى نير الغرب، وكبدء للتآمر على نهضة مصر ووضعها المتحرر.

واذن فكل تجاهل لأثر بعض التصرفات الداخلية في انعاش قوى الاستعمار وآماله هو غفلة لا يقبل فيها عذر، وكل تصرف مثير للاضطراب والانقسام في الوقت الذي تباشر فيه البلاد تحقيق الخطوة الاتحادية هو غفلة تشبه الغدر.

ولا نريد لبلادنا أن تضيع قضيتها بين حسن نيات البعض وتآمر البعض الآخر. ان إيماننا بشعبنا وبإمكانيات الخير في كل فرد من أفراده لايعني أن نستسلم للثقة العمياء والتفاؤل الرخيص ونقبل بالتصرفات المرتجلة والأساليب العتيقة الخطرة، بل أن هذا الايمان هو الذي يدفعنا الى التنبيه والتحذير، والى دعوة الشعب للدفاع عن الخطوات التي بذل في سبيل تحقيقها التضحيات الغالية.

ولنقل مرة أخرى ما كررناه ألف مرة في الماضي: أنه لا ضمانة لما حققه العرب من تحرر وتقدم جزئيين نسبيين، ولا قدرة لهم على دفع الأخطار الخارجية المتجمعة حولهم إلا بشق طريق الوحدة العربية بخطوة الاتحاد بين سورية ومصر، وان هذه الخطوة ـ على بساطتها تلقى المقاومة العنيدة من الاستعمار واسرائيل ومن المصالح والمطامع التي خلقتها التجزئة في بلاد العرب، وانه في سبيل تحقيق هذه الخطوة قبلنا بقناعة عميقة أن نلتقي على صعيد قومي مشترك مع جميع الذين يخلصون لها

---

(١) تنحية رئيس اركان الجيش الذي رافقه حشود اسرائيلية على حدود سورية ونشاط عملاء حكومة العراق وحلف بغداد.

ولو اختلفنا معهم في كثير من الأمور. وقد سجل الميثاق القومي الحد الأدنى الذي لابد منه لكي تكون السياسة الخارجية والداخلية منسجمة مع مشروع الاتحاد ومساعدة على تحقيقه. وسنتابع عملنا لنساهم مع غيرنا في تحقيق ما تعهدنا به أمام الشعب، مسلحين بقوة هذا الشعب نفسه.

١٣ تموز ١٩٥٦

معركتنا مع الاستعمار محتومة

يفرض علينا الاستعمار(1) اليوم معركة جدية قاسية يعد لها كل ما يملك من وسائل العدوان ويبيتها من قبل أزمة القناة، منذ أن تأكد من اختمار الوعي العربي الثوري وبلوغ الامكانيات الشعبية في بعض الأقطار العربية مستوى التنظيم الفعال. وهذا يعني أن المعركة هي معركة العرب قبل أن تكون معركة الاستعمار، وان اندفاع العرب الطبيعي المشروع في طريق التحرر والتقدم يشكل بحد ذاته خطراً كبيراً على مصالح الاستعمار ووجوده ليس بالبلاد العربية فحسب بل في العالم أيضاً.

ولا سبيل بالتالي الى تفادي المعركة إلا بأحد شيئين وكلاهما مستحيل: أما أن يوقف العرب اندفاعهم نحو الحياة الحرة الكريمة وليس هذا في مقدور أحد. وأما أن يتنازل الاستعمار عن مصالحه بوعي وطواعية وهذا مخالف لطبيعة الاستعمار كنظام يقوم على التناقض ويستند الى العدوان.

فواجب العرب أن يدركوا هذه الحقيقة بوضوح وأن يوطنوا أنفسهم على قبول المعركة والتهيؤ لها بكل ما يملكون من قوى وكفاءات وأن يحذروا من كل تخدير أو

---

(1) نشر في جريدة «البعث» في ٢٤ آب ١٩٥٦.

تمويه يقصد منه إضعاف مقاومتهم واستعدادهم. ان كونهم مدافعين يوجه اليهم الظلم والعدوان من غيرهم لا يعفيهم من واجب الاعداد الكامل لدفع العدوان الأجنبي ومن دخول المعركة كأنهم هم الذين اختاروها. وأول ما يجب أن يحذروه هو الاعتقاد أنهم يستطيعون بلوغ التحرر النهائي من الاستعمار بكل أشكاله دون أن يدفعوا الثمن. فحرية الشعوب تقاس بما يقدم في سبيلها من تضحيات، وهم مطالبون في أضعف الاحتمالات بأن لا يكونوا أقل قبولاً للتضحيات وتحملاً للمصاعب من شعوب الدول الاستعمارية نفسها. لقد حاولت الفئات الاقطاعية الحاكمة طوال سنين بسلوكها وتوجيهها أن تطمس هذه الحقيقة وتشوه في نظر الشعب طبيعة المرحلة التي نحياها، فهوّنت من خطر الاستعمار وبالغت في قيمة الاستقلالات القطرية متجاهلة وحدة المصير العربي ووحدة المصالح الاستعمارية، وضربت على نغمة الاستقرار والرخاء في حين أن المرحلة مرحلة ثورة ونضال، وأن حياتنا كلها يجب أن تطبع بهذا الطابع وتتمشى مع ما يتطلبه النضال من حرمان ومشقة وتعبئة جماعية.

وأول ما تتطلبه المعركة التي نقبل عليها هو ان تنسجم القيادات ومراكز التوجيه مع طبيعة مرحلتنا القومية، أي أن تصبح القيادات ثورية.

قبل خوض المعركة يجب أن نحسب قوانا وقوى العدو، فالشعب العربي لم يستغل بعد غير جزء يسير من إمكانياته الواسعة. وأعظم قوة في يده هي وحدة نضاله التي لم يكد العرب ينتبهون اليها ويضعون أيديهم عليها في هذين العامين الأخيرين حتى ذعر الاستعمار وتزعزعت أركانه. وهذه الطريق ما تزال بكراً تخبىء أعظم الامكانيات وتفجر القوى الهائلة كلما أمعن الشعب في النضال. وقوتنا تكمن أيضاً في اتجاه نضالنا، إذ أنه لأول مرة يتخذ نضال العرب التحرري ملامحه وشعاراته الواضحة، فالشعب العربي يطلب الحرية بكل ما فيها لنفسه ولغيره من الشعوب. أنه يطلب التحرر من الاستعمار والاستثمار، ومعركته معركة شعب لا معركة طبقة. معركة جماهير لا معركة زعماء، جماهير تناضل في سبيل حياة حرة كريمة مبدعة، وشعبنا في هذا يلتقي مع اتجاه العصر، أي مع اتجاه الشعوب ومع التقدم البشري العام،

لذلك يجد في طريق نضاله قوى عديدة بين شعوب العالم تدعمه وتشد ازره.

أما الاستعمار فيرتكز على قوتين، قوة إيجابية مستمدة من حركته العلمية التكنيكية ولا يمكننا أن نجابه هذه القوة إلا باقتباسها ومجاراتها واغتنام مناسبة هذه المعركة الفاصلة للقفز الى مستوى العلم والتنظيم الحديثين، والتخلص نهائياً من بقايا العقلية الرجعية والارتجال. أما قوة الاستعمار السلبية فمستمدة من النواقص والثغرات التي لاتزال قائمة في مجتمعنا وأوضاعه، هذه الثغرات التي تجعل للاستعمار أعواناً من بعض أبناء وطننا الذين استعبدتهم المصالح الخاصة وأعماهم الجهل والغرض.

وفي يدنا اليوم أن ننتزع من الاستعمار هذا السلاح بتصفية جبهتنا الداخلية وعزل الفئات المتآمرة والمعالجة السريعة الحاسمة لأسباب التآمر والانحراف.

يفرض علينا الاستعمار اليوم حرباً عدوانية لا هوادة فيها ليوقف انطلاقنا ويسترد ما حققناه بدمائنا. وواجبنا أن نجيب على الاستعمار بالحرب والثورة معاً فالحرب هي تعبئة وتنظيم لقوى موجودة وقوانا الموجودة لم تصبح بعد في مستوى القوى الاستعمارية، لذلك يجب ان ندعم حربنا بالثورة لتفجير إمكانيات شعبنا الكامنة وتغذية الحرب باستمرار بهذا المعين الذي لا ينضب الذي هو نضال ثمانين مليوناً من العرب يعيشون على أرض غنية بالثروات، ولها من المزايا الحربية والاستراتيجية ما يندر توافره لأي بلد آخر.

لقد أعطى العرب في العامين الآخيرين مقياساً رائعاً لكفاءتهم في مجالي الحرب والثورة فالشعب العربي في الجزائر استطاع بعد قرن من أقسى أنواع الاستعمار أن ينظم مقاومته المسلحة على مستوى جيوش حلف الأطلسي. والشعب العربي في مصر استطاع بعد عزلة طويلة فرضها عليه الاستعمار والطبقة الرجعية لتناسي شخصيته العربية أن يسترد وعيه لقوميته ولمصيره العربي فحرك بهذه اليقظة أعمق القوى الثورية في أرجاء الوطن العربي كله.

بالاستناد الى هاتين الظاهرتين نستطيع أن نرسم طريق نضالنا وان نسير فيه بوعي وثقة وإيمان بالنصر.

٢٤ آب ١٩٥٦

مستقبلنا
من خلال الازمة الحاضرة

يعد الاستعماريون الانكليز والافرنسيون كل الوسائل والاسلحة المادية والمعنوية للاعتداء على الوطن العربي ومحاولة ضرب النهضة العربية وتأخير سيرها. ومن هذه الاسلحة العتيقة الصدئة التي راحوا ينبشونها من مستودعات دعايتهم المسمومة، هي تهمة الطائفية والعنصرية والاقليمية يلصقونها بحركة التحرر العربي، فهم يصورون انطلاقة مصر في طريق الحرية والكرامة، ورفع مستوى الطبقة الشعبية، والتجاوب مع حركة الوحدة العربية، كما كانوا قبل عام وما زالوا يصورون ثورة الشعب العربي في الجزائر على الذل والظلم وابشع انواع الاستعمار، بأن هذه وتلك حركات رجعية يدفعها التعصب الديني تارة، والتعصب العنصري تارة اخرى. وتغذيها الروح الفاشية وأطماع السيطرة والتوسع. ولعل التاريخ لم يعرف حتى الآن مغالطة وتجنياً مفضوحاً على الحقيقة واستهتاراً بالعقل والمنطق بلغ الشأو الذي بلغته دعاية البريطانيين والافرنسيين عندما يسمون نضال العرب للتحرر من الاستعمار عدواناً واستعماراً.

ان العرب يجتازون مرحلة تاريخية يرافقهم فيها الحق والحرية كأنهما قدر محتوم. وهذا ما يفسر انتصار جميع الشعوب الحرة وجميع احرار العالم لقضية العرب العادلة في ازمة القناة، وانتصار جميع هذه الشعوب وهؤلاء الاحرار لثورة العرب البطولية المشرفة في الجزائر، دونما حاجة الى اية دعاية من جانب العرب لقضيتهم.

وفي هذه الظاهرة وحدها ما يكفي لدحض الدعاية الاستعمارية المتهافتة.

نقول إن هذا وحده كاف، لو لم يكن لنا الا موقف واحد هو موقفنا من الاستعمار. ولكن لنا موقفاً آخر اكثر اهمية واصالة، هو موقفنا من انفسنا ومستقبلنا.

اننا لا نرضى لامتنا العربية ان يكون اتصالها بالحرية والحق رهناً بمرحلة زمنية هي هذه المرحلة الخطيرة التي نعاني فيها ظلم الاستعمار والاستعباد والعدوان علينا من قبل الطامعين الجشعين، بل ان نظرتنا العميقة الى هذه المرحلة بالذات هي انها تجربة جدية وامتحان لقدرتنا ليس على التحرر من الاستعمار فحسب، بل على إعادة النظر في اوضاعنا ومقاييسنا الفكرية والخلقية قبل ابتلائنا بالاستعمار وعلى التبصر الطويل بمستقبلنا ليأتي سليماً من شوائب الماضي وتوفير الشروط اللازمة والقواعد المتينة والارض الصالحة في نضالنا الحاضر لكي يولد فيه وينمو المستقبل الذي نريده.

ان موقفنا من انفسنا كأمة عربية ذات رسالة لا يعني بوجه من الوجوه ان نقلل من شأن موقفنا من الاستعمار، وألا نعد لمجابهة الاستعمار كل ما ينبغي، انما هو يعني أن نحاذر ما يمكن ان يتركه الاستعمار في نفوسنا وعقليتنا من اثر وعدوى، وان نعطي لآلامنا المعنى الايجابي الذي يزيدنا رسوخاً في الحق وايماناً بالحرية وانفتاحاً للمحبة.

يهمنا ان نربح المعركة في نضالنا ضد الاستعمار دون ان نفرط بشيء من اتجاهنا القومي الانساني. بل يهمنا ان نربح المعركة ضد الاستعمار بفضل حرصنا ومحافظتنا على اتجاهنا هذا.

قلنا ان الشروط الموضوعية لمرحلة نضالنا وتحررنا من ظلم الآخرين تجعل مقدراً علينا ان نسير في صف الحرية والحق. ولكننا لن نكتفي بهذا القدر الموضوعي الخارجي الموقت. اننا نطمع في أن يكون التقاؤنا بالحرية والحق قدراً ذاتياً ارادياً لكل مواطن في الوطن العربي، وبالتالي قدراً دائماً لأمتنا، وان نعالج امراضنا الداخلية والنواقص التي ما تزال تشوب نهضتنا، لا بدافع الخوف من دعايات الاستعمار ودسائس المغرضين، بل بدافع الأمانة لأنفسنا والايمان بمثلنا التي هي

مثل الانسانية الحرة.

٧ أيلول ١٩٥٦

لا رجوع ولا تراجع

من الواضح ان الاستعماريين الانكليز والفرنسيين مصممون على العدوان على البلاد العربية واختلاق أية ذريعة لتبرير عدوانهم هذا. ومن الواضح ايضاً ان أزمة القتال لم تكن سوى مناسبة لانكشاف مقاصدهم ومخاوفهم من يقظة العرب الحديثة وتصميمهم على ضربها قبل اكتمال نموها، فالمعركة اذن واقعة لا محالة بيننا وبين الاستعمار، وزمن المعركة مفروض من قبل الاستعمار نفسه، أي في هذه الفترة الحاضرة التي يرى فيها الاستعمار انها وقت مؤات له لأن تهيئة العرب لم تكتمل بعد، ولأن الظرف الدولي يجعل من غير المحتمل ان تتوسع حربه مع العرب الى حرب عالمية. وهذا يعني ان تأميم مصر لشركة القناة لم يعجل في مجيء المعركة تعجيلاً جوهرياً، بل على العكس عجل في فضح الخطة الاستعمارية أمام العرب وأمام شعوب العالم فضحاً أوقع المستعمرين في الاحراج والتخبط.

ولقد دأبت الدعاية الاستعمارية على محاولة تضليل الرأي العام العربي والعالمي وعرض الامور بشكل معكوس وإلقاء التبعة على تطرف جمال عبد الناصر، فأظهرته بمظهر المعتدي والطامع في السيطرة والتوسع. وبالرغم من فشل هذه الدعاية الواهية في التأثير على الشعوب الحرة، وعلى الكثرة الساحقة من افراد الشعب العربي، نرى من واجبنا ان نوضح هذه الناحية، للعدد القليل المخدوع من غير عملاء الاجنبي، وغير ذوي المصالح الضخمة الحليفة لمصالح الاستعمار ومنطقه.

ان الاعتداء هو دوما وابدا من جانب الاستعمار، والعرب كانوا دوما حتى الان مدافعين، وحسبنا ان ننظر الى هذه السنوات الاخيرة والى الحكم الرجعي الذي أقامه

نوري السعيد في العراق بدعم الاجانب، الى حلف بغداد ومحاولة جر الاقطار العربية اليه، لندرك ان ما يسمونه تطرفاً في سياسة جمال عبدالناصر لم يكن إلا جواباً على ذلك الهجوم الاستعماري ودفاعاً عن حرية الاقطار العربية واستقلالها. وليس عبد الناصر في هذا الا معبراً عن إرادة الشعب العربي بأسره. وليست سياسته الاستقلالية الواضحة الجريئة إلا تعويضاً عن خسارة بعض المناطق والاقطار التي توصل فيها الاستعمار بمساعدة الرجعية العربية الى تمكين نفوذه ليهدد بذلك سلامة الاقطار المتحررة من هذا النفوذ. فلولا حدة الهجوم الاستعماري في العراق لما ظهر الدفاع الاستقلالي في مصر بتلك الحدة، ولولا تآمر نوري السعيد لما كان في سياسة عبد الناصر ما يسمونه باطلاً بالتطرف. وبإمكاننا ان نعدد الامثلة فنبين كيف ان تعنت الاستعمار ومكابرته وبطشه الوحشي في بلد كالجزائر وكيف أن تآمر الاستعمار على الأمة العربية باقامة دولة اسرائيل وتسليحها وتشجيعها على العدوان، كل هذا فرض على العرب كيما يدافعوا عن بقائهم، ان يقفوا من الدول الغربية ذلك الموقف النضالي الحاسم. هذا فضلاً عن تدخل الاستعمار وشركائه لعرقلة نهضتنا الداخلية ووحدتنا القومية بدعم الطبقات والاسر الحاكمة الرجعية حتى يظل وطننا العربي خليطاً متنافراً عجيباً يحتفظ بالمجتمعات البدائية الى جانب مجتمع القرن العشرين، وتبدد في بعض اماراته الهزيلة ثروات كانت تكفي للنهوض بمستوى عشرات الملايين من افراد شعبنا.

نذكر كل هذا لنخلص الى القول: ان القضية العربية بكل مآسيها وتناقضاتها، وفي صراعها التاريخي مع الاستعمار والرجعية، هي التي تطرح نفسها من خلال ازمة القناة على بساط البحث العربي والعالمي، وفي الوقت المناسب.

فلئن كان الاستعمار مصمماً ـ دفاعاً عن مصالحه الجشعة الاثيمة ـ على ارجاع نهضة العرب عشرات السنين الى الوراء، فإن تصميمه ليس بكاف لكي يتحقق له ما يريد. لقد وصل انبعاثنا أو كاد يصل الى منتصف طريقه. وما تباطؤ هذا الانبعاث وتعثره إلا نتيجة لتباطؤ تفتح الوعي في قسم غير قليل من ابناء وطننا ولضياع قسم من امكانات شعبنا وأرضنا لم يستغل بعد أو لا يستغل في الطريق الصحيح، ولأن قضيتنا

كلها لم تطرح بعد طرحاً عميقاً شاملاً واضحاً، وبالشكل الجدي الحاسم. فللاستعمار ان يحلم ما شاءت له الاحلام بارجاع العرب الى الوراء، اما نحن فمؤمنون بأن الوقت قد حان لاجتياز النصف الآخر من طريق انبعاثنا، ولم يكن معقولاً ولا ممكناً أن تتخذ أزمة تأميم شركة للملاحة هذا الاتساع وهذه الخطورة العالمية لو لم يكن وراءها تاريخ أمة بأسرها في حالة التكوين والانضاج، ولو لم يكن ذلك مترابطاً ومتوافقاً مع حالة تكوين وإنضاج في تاريخ العالم كله، ولو لم يكن وراء ذلك قضية كبرى، تريد ان تعلن عن نفسها، هي في نفس الوقت قضية العرب وقضية الانسان.

لا رجوع الى الوراء اذن، فهذه المعركة التي يفرضها علينا الاستعمار ظلماً وعدواناً كفيلة بأن تفتح الوعي وتفجر ما بقي من قوى شعبنا في حالة الركود والكمون، وان تحرج العناصر السطحية والنفعية وتضطرها الى الاختيار، وتضطر الأمة كلها ان تقف الموقف الجدي اللائق بها، كما انها كفيلة بتحريك الضمير العالمي واضطراره الى ان يختار.

واذا كنا مؤمنين بأن دخولنا المعركة لن يعرض نهضتنا لخطر الرجوع الى الوراء، ما دامت امكاناتنا وامكانات الشعوب الحرة في نمو وصعود، وما دامت امكانات الاستعمار تسير كل ساعة الى الهبوط والزوال، فحري بنا ان نرفض كل تراجع عن دخول المعركة، اذ ان التراجع هو وحده الذي يحقق للاستعمار مآربه فبنا اذ نتخلى عن قضيتنا ونقتل امكانات المستقبل في اجيالنا. ومهما تكن النتائج المادية لهذه المعركة وخسائرها واضرارها فان مجرد دخولها يحمل في طياته بذور الحياة والحرية وامكانية النصر العاجل او الآجل. اما التراجع فيعني، عدا الخسارة المحققة لكل ما يطمع الاستعمار في انتزاعه منا، ضياعاً للروح ومعنى الحياة.

١٤ أيلول ١٩٥٦

ثورتنا في طريق النضج

احدثت ازمة القناة في المحيط العربي والمحيط الدولي من الاثر والنتائج أكثر مما كان يمكن احداً ان يتوقع . ويمكن القول ان هذه هي المرة الاولى التي تبدأ فيها القضية العربية باحتلال مكانها المشروع ضمن قضايا العالم وما فيه من مصالح ومثل . والشيء الجديد على الاخص هو ان القضية العربية بدأت تبرز بشكل ايجابي فاعل ، فلم تعد مجرد تعبير عن منطقة من الاراضي فيها ثروات ولها مزايا استراتيجية وعليها كتلة من البشر يمكن تسخيرها او تعطيل مقاومتها ، ولم تعد مجرد موقع لتنافس الدول الكبرى ومساومتها . بل غدت قضية شعب مستيقظ مناضل ، شاعر بوحدته القومية وصلاته الانسانية ، وواع لاثر نضاله في تقرير مصير الانسانية وصنع مستقبلها .

ان مصالح عديدة ضخمة تحبس انفاسها وهي ترقب اليوم نضالنا : مصالح الاستعمار والاستغلال والاوضاع القديمة التي تطمع في الاستمرار وتحاول تثبيت مراكزها واسترداد ما فقدت منها ، ومصالح المجتمعات الجديدة والشعوب الآسيوية الأفريقية المتحررة حديثاً التي يهمها ، لكي تتابع نموها في سلام وطمأنينة ، أن يقوى صف الحرية في العالم ، وان يبتعد شبح الاستعمار والحرب عنها وعن جوارها . وفوق المصالح او وراءها مثل وقيم انسانية ترقب وترتعش . .

ان أزمة القناة وموقف الحكومة البريطانية العدواني من العرب قد مس اكثرية

الشعب الانكليزي وهددها في خبزها وأمنها فوقفت في وجه سياسة العدوان. كما مست ثورة الجزائر من قبل مصالح الطبقة الشعبية في فرنسا وحركت ضمير الاحرار فيها.

وهذا كله قد أدى ايضاً الى وقوف اميركا موقف (المتميز) عن الاستعمار ـ كما جاء في تصريح وزير خارجيتها مؤخراً، وفي حدود ضيقة متحفظة لا يجوز ان نبالغ فيها ـ.

فهذا التفاعل المتزايد العميق بين نضالنا القومي التحرري وبين مصير الشعوب وحريتها خليق بأن يفتح أمام نضالنا وفكرته واسلوبه آفاقاً جديدة خصبة المعنى. ان حريتنا تبدو لنا اليوم وقد أثقلت بتبعات حرية الشعوب الاخرى، فغدت اكثر نضجاً وعمقاً وواقعية. ولئن كانت هذه الاثقال والتبعات ستضطرنا بعد اليوم ان نراعي في ثورتنا التحررية العوامل التي توسع الفرقة والانقسام بين الدول الاستعمارية وتؤلب عليها شعوبها بالذات، فانها ستضطرنا ايضاً ان نوجه هذه الثورة وجهة العمق في الداخل وان نبني تحررنا الخارجي على تحررنا الفكري والاجتماعي والوحدوي، فنفتح في شعبنا العربي من الامكانيات والقوى الكامنة ما يشكل رصيداً جدياً لاضطلاعنا بالمهمة التي يهيئنا لها تراثنا الحضاري وتجربتنا القاسية في حاضرنا للتخلّف والاستعمار، لكي نتخلص من الاستعمار في بلادنا وفي كل مكان، ونسهم في اقامة التعاون والسلام العالميين.

٥ تشرين الاول ١٩٥٦

مستوى جديد لنضالنا

لقد عملت الدول الاستعمارية عشرات السنين على تأخير انبعاث الامة العربية بافقارها وتجزئتها وتكبيلها بالقيود العديدة. ثم اوجدت اسرائيل كوسيلة اخيرة بالغة المفعول والنجوع في هذا السبيل لاشغال العرب واهدار جهودهم وقواهم وقطع الطريق على تحررهم ووحدتهم.

ولكن هذه الدول فوجئت في الآونة الاخيرة بتزايد امكانيات الشعب العربي وتفجر طاقته الثورية رغم جميع العراقيل، فتراجعت موقتاً لتضع من خطط الضغط والعدوان واساليب التفرقة والافساد ما تستطيع معه التفوق على الطاقة العربية الجديدة.

والاستعمار لم يتراجع الا في جبهة واحدة من الجبهات العديدة للمعركة الدائرة بيننا وبينه، اي في جبهة القناة التي فتحها دون حساب وتروّ، ولكنه ما زال يعمل في الجبهات الاخرى بمزيد من الاستعداد والقوة والدهاء. وهذا كله يوصلنا الى نتيجة منطقية وهي ان على الشعب العربي وقيادته الثورية ان يضعا بدورهما خطة جديدة ترفع مستوى النضال وتحكم اسلوبه وتفجر قوى جديدة في الشعب، حتى يتحول الاستعمار مرة أخرى من الهجوم الى الدفاع.

إن بعض الأفكار التي كانت جديدة قبل خمسة عشر عاماً عن مقومات القومية العربية والوحدة العربية، اضحت اليوم في حكم المسلمات والبديهيات، ودخلت في وعي الجماهير من اقصى الوطن العربي الى اقصاه. **ولكن هذه الافكار ليست الا**

جوانب واجزاء من الفكرة العربية الحديثة لا يجوز فصلها عن الكل الذي ترتبط به هذه الاجزاء ارتباطا عضوياً. ولئن كان من المسلم به ان تحقيق الفكرة العربية يحتاج الى زمن والى مراحل، فان من غير الجائز ألّا نسبق ذلك بوضع التصميم الكلي، وان نخطو في تطبيق المراحل دون ان نستبين الطريق بوضوح، ونعرف انها طريق واحدة يرتبط آخرها باولها.

والذي تهم معرفته اليوم هو هل ستبقى قوميتنا العربية بهذا الشكل العام المجرد الذي يحوي من العاطفة اكثر مما يحوي من الفكر، وتختلط فيه العوامل الايجابية بالعوامل السلبية، ام ان خطورة المعركة التي نخوضها تتطلب ان ننظم عملنا ونفتح وعي شعبنا على مفهوم لقوميتنا عميق ايجابي مكتمل الجوانب، هو وحده الكفيل بأن يخلق في شعبنا من القوى ما يتكافأ مع متطلبات معركة التحرر والبناء، وأن يوجه هذا الشعب ضمن المبادىء والاساليب التي تقيه الانحراف والانتكاس، وتضمن له تزايد الانسجام مع نفسه ومع المجموعة الانسانية؟

كان منطق السياسيين القدامى يتخذ دوماً من معركة التحرر ذريعة لارجاء طرح المشاكل الاساسية التي تصطدم بها نهضة العرب الحديثة، اما منطق الوعي الجديد فيفرض ويحتم ان نعتبر معركتنا مع الاستعمار حافزاً لطرح هذه المشاكل وايجاد الحلول لها بدلاً من اعتبارها عائقاً.

ان هذا التحرك القومي المطبوع بطابع مقاومة الاستعمار والعمل على التحرر منه، ما زال فيه فراغ ونقص، ولا بد من إغنائه وإخصابه بالثورة الاجتماعية والثورة الفكرية. ان قسماً غير قليل من شعبنا العربي ما زال خارج المعركة، وان جوانب عديدة في نفس كل عربي مشترك في النضال ما زالت جامدة صماء لم تحركها المعركة ولم تضرب على أوتارها العميقة.

فلا بد من من قفزة الى اعماق الجماهير العربية، والى اعماق النفس العربية. ففي المجتمع العربي من انواع الظلم والعسف والاذلال، ومن التفاوت الاقتصادي الفاضح، ومن الكفر بكل قيمة للمواطن، ما يتعارض السكوت عنه والتباطؤ في معالجته مع ما نظهره من استنكار للظلم الاستعماري. وفي حياة الفرد العربي من

المآسي والتناقضات التي تمس حريته وكرامته الانسانية ما يعيق تجاوبه الكامل مع انطلاقة أمته، وما يصم هذه الانطلاقة بفقر الروح وسطحية المعنى. واذا بقينا نقيس انفسنا على الاستعمار والمستعمرين، ونسجن نظرتنا في نطاق المقارنة والمفاضلة بيننا وبين المعتدين علينا، فسوف يبقى حقنا رخيصاً وحقيقتنا زائفة ومعركتنا غير اصيلة ولا حاسمة. لقد آن لنا، بعد ان بلغ نضالنا الحد الذي اعاد الينا الثقة بانفسنا وبالمستقبل، ان نقيس انفسنا بالمقاييس الانسانية الايجابية، وان نعطي لثورتنا ثقلها الاقتصادي الواقعي وعمقها الروحي وابعادها التاريخية.

هذا هو المستوى الذي ينقذ معظم جهودنا وامكانياتنا من الضياع. ويسجم سيرنا مع سير الشعوب الحرة المبدعة.

واذا حاول المنطق القديم ان يعترض ويتذرع كعادته بحراجة الظرف ليقول أن هذه الاشياء سابقة لأوانها، نجيب بأننا لانقصد أن نحمل مرحلتنا الحاضرة أكثر مما تحتمل، ولا ان نشتت الافكار ونبعثر الجهود، ولكننا مع حرصنا على توفية المعركة الحاضرة حقها، نريد أن تتفاعل بذور المستقبل مع الحاضر، وأن ينبىء الحاضر عن ملامح المستقبل ويوصل اليه.

١٢ تشرين الاول ١٩٥٦

النضال العربي بوجه الاستعمار واسرائيل

ايها الأخوان

لقد عرف الاستعمار أن الأمة العربية تعيش حالة تخمر وتهيئة لانبعاث قوميتها، وان في ذلك خطراً عليه. وقد كانت هذه المعرفة من أهم العوامل التي دعت إلى تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين والذي أصبح فيما بعد دولة إسرائيل.

ولم يكن وجود الصهيونية كافياً لكي ينجح الصهيونيون في استملاك فلسطين وإقامة دولة فيها. والحركة الصهيونية في البدء لم يكن هدفها فلسطين. كانت تفتش عن أية أرض في العالم تقيم عليها وطناً قومياً يهودياً. ولكن الحركة الصهيونية من جهة ومصلحة الاستعمار من جهة. . تلاقي المصلحتين هو الذي ساعد على خلق هذه الدولة. والمفهوم بداهة بأن مساعدة الدول الاستعمارية للحركة الصهيونية على تحقيق اغراضها في فلسطين يقصد منه الحيلولة دون الوحدة العربية والحيلولة دون قوة الأمة العربية، أي بلوغ هذه القوة القدر الذي يشكل خطراً على وجود الاستعمار. فعندما يمكن لليهود من إقامة دولة في قلب البلاد العربية تساعدها الدول الاستعمارية باستمرار ينشغل العرب بهذا العدو ويبذلون قسماً كبيراً من جهودهم في دفع خطر هذا العدو وفي الاستعداد لمواجهة خطره، كما أن نفسيتهم وتفكيرهم يمكن أن يشغل عن الاستعمار بهذا العدو الظاهر المقيم. وتعرفون كيف أن بريطانيا

نفسها كانت، وأحسب أنها مازالت إلى اليوم وإلى الغد، تحاول أن تظهر بوجهين وان تلعب على الحبلين، فهي التي أوجدت اسرائيل وتدعو إلى مقاومة اسرائيل وتتكلم كأنها عربية قحطانية تغار على العروبة، وتتحالف مع بعض الدول العربية بحجة الدفاع ضد الخطر الاسرائيلي أو بحجة التخلص من اسرائيل. فلم نكن مخطئين إذن عندما وضعنا دوماً العدو الأول هو الاستعمار واعتبرنا إسرائيل نتيجة للاستعمار وحليفة له وربيبة له، وان مصيرها مرتبط بمصيره. ولكن لا حاجة الى تنبيهكم بأن هذا لا يجوز أن يؤخذ بالشكل الحرفي وان تظنوا ان اسرائيل تأتمر بالاستعمار بكل شيء، هي حليفة للاستعمار ولكنها ليست أداة بالمعنى العادي. لها كيانها، ولها خططها ولها مصالحها ولها قوتها وذكاؤها وسياستها وتعتمد على قوة ونفوذ الصهيونية العالمية. اذن هي أحياناً تورط الدول الاستعمارية وأحياناً الدول الاستعمارية تدفعها.

أشرت إلى هذا لكي ابين لكم تضليل الدعايات الاستعمارية، ودعايات عملاء الاستعمار والفئات الرجعية التي تتبنى منطق الاستعمار، لأنها أصبحت تعي صلتها بالاستعمار وان مصلحتها رهن ببقاء الاستعمار. ففي هذه الاشهر الأخيرة فقط. إذا اكتفينا بها، نرى صحفاً كثيرة في هذا البلد وفي بلدان عربية أخرى مسيرة مباشرة أو بصورة غير مباشرة من الاستعمار، ومن الانكليز بصورة خاصة، كلما قامت حركة شعبية، كلما قام نضال في بلاد العرب في وجه الاستعمار الغربي، قامت هذه الدعايات وهذه الفئات والأوساط تصرخ بأنكم نسيتم العدو الأول للعرب، اسرائيل، وان كل الانتباه يجب أن يركز عليها، وان كل الجهود يجب أن تصرف لمقاومتها. وتعرفون أيضاً بأنهم حاولوا كثيراً أن يظهروا حلف بغداد بأن مبرره الأول والأكبر أنه وجد ليساعد على محو اسرائيل وعلى التخلص منها، وان بواسطته سيحصل العراق على الأسلحة، وتقوى الجيوش العربية. وكان هذا تناقضاً مفضوحاً، واستمروا إلى الأيام الأخيرة في هذه الدعاية حتى ان الأوساط الانهزامية والانعزالية في لبنان، وهي معروفة بجفائها لكل ماهو عربي وبعقليتها الطائفية المتعصبة، وبصلاتها المشبوهة مع دول الغرب، قد شاركت فيها.

عنـدمـا نشأت أزمـة قنـاة السـويس سمعنا أصوات هذه الفئات تذوب غيرة على فلسطين وتتـوعـد اسرائيل وتكثر من الكلام والكتابة عن اسرائيل وخطرها على العرب والعروبة، لكي تلهي الناس عن الخطر الحقيقي وعن موضوع الساعة.

قلت لكم بأن القـوّة العـربيـة قد تضـاعفت أضعـافاً في السنوات الأخيرة. ومن المعلوم والواضح بأن خلق دولة اسرائيل كان باعثاً كبيراً وكبيراً جداً لتنمية هذه القوى ولحفز الأمة العربية ولرفع مستواها النضالي. فالاستعمار اذن هو شيء مصطنع كاذب يعيش بالحيلة ومن يوم إلى يوم بالأكـاذيب، بالبطش والقـوة، والشيء الطبيعي هو ان تكـون الشعـوب مستقلة حرة، وان لايكون هناك مستعمِر ومستعمر مستغِل ومستغَل. والـدليـل على أصطنـاع الاستعمـار وعلى بطـلانه وعلى أنه شيء موقوت لايمكن أن يستمـر وأن يكـون له أسـاس قوي، أن العمل. . نفس العمل الذي يأتيه الاستعمار - بضـرب الأمـة الـتـي يريـد أن يسـتـعـمـرهـا ويـسـتـغـلهـا ويـخـنـق حيـويتهـا - نفس العمـل هذا يكـون له نتـائـج متناقضة. فالدول الاستعمارية أقامت اسرائيل لكي تحول دون نهضة العرب، ودون وحدة العرب، ولكن هذا الفعل نفسه كان عامـلًا كبيـراً جداً في إيقـاظ قوميتنـا ورفـع مستـوى وعينا ونضالنا لكي نصل في النتيجـة إلى القضـاء على اسرائيل والاستعمار معاً. ويكفي أن نأتي بمثال مصر، ولو أن الأمثلة كثيـرة، ولكنـه أبـرز مثـال هذا الـذي فعلتـه معركة فلسطين في نفسية مصر وشعبها، فكانت معركة فلسطين بالنسبة لمصر بصورة خاصة حدثاً تاريخياً في تاريخ الأمـة العـربيـة. لأنها قضت على تلك العزلة التي عمل الأجنبي مئة سنة ليقيمها بين مصر وبين بقية الأقطار العربية، وتحطمت هذه الأسوار العازلة لمصر. وأكثر من ذلك بانهيـار أسـوار العـزلـة انقشعت الغشاوة عن الشعب في مصر وانتفض من حياة كانت مطبـوعـة بطـابـع الفسـاد والـذل والميوعة واتجه في طريق صاعدة نحو البناء القومي السليم والاصـلاح الاجتماعي والتفكير السياسي المتصل بصميم مصلحة الشعب. ولم يحـدث هذا في يوم واحـد كمـا تعلمـون. وكل شيء في الحياة لا بد له من وقت ليأخذ حده وينضج ولا بد أن تعترض الطريق عثرات وان يحصل تردد وتلمس، ولكن عندما تكون الدفقة قوية وعميقة وأصيلة لا بد لها أن تصل إلى نتائجها المقدورة لها

وهكذا وصلنا منذ سنة من الزمن أو سنة ونصف السنة إلى شيء قريب من المعجزة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما كانت عليه مصر من قبل إذ نجد الاتجاه العربي في الفئة الموجهة في مصر يصل إلى حد من السلامة يفوق كل قطر عربي آخر؛ وأقصد الحكومات . . لا أقصد الحركة الشعبية ، لأن هؤلاء تتلمذوا على الحركة الشعبية التي نشأت هنا في سورية وفي العراق وفي الأردن ولكنهم تمثلوها بسرعة فائقة . واليوم نستطيع القول بأن هذا الاتجاه لم يعد محصوراً في نطاق الحاكمين بل أخذ يتفاعل مع الشعب .

قد تتساءلون كيف تنقلب الأمور أحياناً في تاريخ الأمم إنقلاباً مفاجئاً . . ما كان ليقدر أو ليحسب . . وهل هذا من صنع الأشخاص؟ وجواب سريع على ذلك هو ان الأصل نمو تفكير الشعب ووعي الشعب فإذا تحقق هذا النمو إلى حد كاف في الشعب فإنه يخلق الجو المناسب لظهور أشخاص أفذاذ ، وعندها يأتي دور الأشخاص ، ولاينكر دور الأشخاص الأفذاذ في صنع التاريخ . ولكن من الخطأ أن نحسب أنهم وجدوا من الصدفة . انهم نتيجة امتهم واختمار أمتهم ، ثم تتمثل أمتهم فيهم ، وهم بدورهم يدفعونها خطوات إلى الأمام . ولا أحسب أن أحداً يستطيع أن يتصور أن حركة مصر الأخيرة أو ما يسمونه الثورة كان ممكناً أن تقوم وأن تعيش وتستمر لولم يكن الجو العربي في مصر ، وخاصة فيما حول مصر من أقطار عربية ، قد بلغ ذلك النضج من النضال الشعبي . . من النضال القومي . . من التفكير القومي المقرون بالتفكير الاجتماعي التقدمي . كل هذا انعكس على مصر . . وتفاعل مع مصر . . مع أفراد كلهم دخلوا معركة فلسطين . . دخلوا هذه التجربة . . وعانوا تجربة فلسطين بتفكير جديد وبتصميم جديد .

هذا كما قلت شيء قريب من المعجزة ؛ ولكن ما هو مخبأ في صدر الأمة العربية من إمكانيات يفوق ما رأيناه حتى الآن بكثير . ولسنا الا في أول الطريق .

وثورة الجزائر ، يصح أن تسمى بدون تحفظ معجزة ، ليست قريبة من المعجزة . . ولكنها معجزة بالمعنى الكامل . إذ لا يمكن أن نتصور إمكان القيام

بالثورة لولا أن الجزائر قطر عربي . . لولا أنه متصل ولو من بعيد بأواصر روحية وتاريخية بالعروبة. وبالتالي لم يندفع شعبنا هناك بذلك العزم والتصميم والكفاءة العجيبة على التنظيم الحديث لو لم يكن مطمئناً الى ان أمة بكاملها، وفي حالة النهوض والانبعاث تدعمه وتسنده، لأنهم شاهدوا هذا الانبعاث ووصلهم خبره. وفعلاً كانت المساعدات المعنوية والمادية ذات أثر في استمرار ونجاح الثورة في الجزائر.

وانظروا بعد ذلك إلى الاستعمار . . إلى بريطانيا وفرنسا . . الدولتين اللتين مازالتا تعيشان على الاستعمار بشكله القديم المتخلف أي الاحتلال والاستغلال لموارد بلاد أخرى والافساد والضغط والتخريب وعرقلة النهضة وعرقلة الوحدة وكل ذلك . . هذا النوع من الاستعمار لم تحتفظ به إلا بريطانيا وفرنسا. انظروا إليهما، وقد شاهدنا اجزاء الوطن العربي تتحرك الواحد تلو الأخر، وكل حركة تأتي بمفاجآت أضخم من التي سبقتها . . مع أن لهم مصالح حيوية، فالاستعمار لفظة مجردة ولكن وراءها واقعاً حياً يجب أن تتبينوه، والاستعمار يعني أن هناك في الدولة المستعمرة طبقة من الشعب أقامت كل حياتها على وجود المستعمرات . . كل مصالحها ورساميلها وصناعتها وتجارتها . . كل ذلك . . وان هذه الطبقة بطبيعة الحال هي الحاكمة في الدولة المستعمرة، وأنها بالتالي تؤثر في مجموع الشعب لأنها حاكمة، تؤثر في الرأي العام والثقافة والصحافة والتشريع وكل شيء، وتطبع إلى حد قليل أو كثير مجموع الشعب بالطابع الاستعماري، بالعقلية الاستعمارية، بالمفاهيم الاستعمارية . . حتى العمال في الدولة المستعمرة لا ينجون من التأثير الاستعماري، من العقلية المستعمرة ولكن بصورة أخف بكثير من غيرهم.

ذلك لأن العامل الانجليزي هو مستعمر يعيش بشروط من الرفاه المادي، ولو فقدت بريطانيا مستعمراتها لهبطت نسبة الرفاه كثيراً. ولكن تبقى فروق بين طبقات الشعب. فالعامل مهما أفاد من الاستعمار ينظر إلى الظلم الذي يقع عليه من مستثمريه المباشرين، ويتألم من هذا الظلم، ويستطيع إذا نضج فكره ـ تفكيره ووعيه ـ أن يكون في صف الحرية وضد الاستعمار.

هذه الـدول الاستعمـارية التي تنهال عليها الضربات، ليس من العرب فحسب بل من جميـع الشعـوب التي كانت مستعمَـرة واخـذت في التحـرر في هذا العصـر، تتمسك ببقايا استعمارها ومصالحها استمساك الغريق المشرف على الغرق، ولذلك تتكـالب وتلجأ إلى هذه التصـرفـات التي نراها ونعانيها اليوم معاناة مباشرة. ذلك لأن الطبقـة المستفيـدة من الاستعمـار - في الدول الاستعمارية - إذا فقدت المستعمرات فستفقـد زعـامتهـا ومصالحها في أوطانها، وستكون معرضة لثورة داخلية. والواقع أن ثورة الشعـوب المضطهَـدة هي بصـورة غيـر مباشرة مقدمة لثورة الشعوب المضطهِدة المستعمِـرة لتصحيـح أوضـاعهـا. لأن انتزاع هذه الثروات غير المشروعة المصطنعة التي كانت الدول الاستعمارية تعتمد عليها. . ضياعها منها يحدث إنقلاباً في نظام الـدول الاستعمـاريـة وتضطـر إلى اعـادة تنظيم شؤونهـا وتوزيع ثروتها، ووضع نظام اقتصـادي جديـد لكي تستطيـع أن تعيش دون أن تتكيء على مستعمراتها. لذلك لا نستغرب هذه الوقاحة التي تبدو من الدول الاستعمارية في موقفها معنا.

وعنـدمـا يكـون نضـال الشعب السائر في طريق التحرر. . .عندما يكون نضاله واعيـاً وعميقـاً وجريئاً فإنه يفرض على مستعمريه أن يخرقوا كل ستر. . وان يفتضحوا تمـام الافتضـاح. النضـال الـرخـو يبقي عليهم الخـرافـات الكثيرة ولا يظهرهم على حقيقتهم. ولكن. . عندما يبلغ نضال العرب هذا المستوى الذي ظهر في الجزائر، وفي مصـر في المـدة الأخيـرة، لا يعـود ثمـة مجال للخداع والمواربة ولأي شكل من أشكـال التضليـل. فتـرونهم منـذ أزمـة القنـاة إلى اليـوم يتصـرفـون كالحمقى. . كالمجانين. . ولم يعودوا يخشون نتائج هذه التصرفات لأنها في نظرهم مسألة حياة أو موت. . هذه التصـرفـات حتى في القـرن التـاسع عشر. . قرن الاستعمار، حيث لا رأي عام عالمي يضغط، متى كانوا يلجؤون إلى مثل هذه الوقاحة؟. . وطبيعي أنهم كانوا يفضلون الأساليب الأكثر مراوغة، والأكثر خداعاً، ولكننا اضطررناهم إلى أن لا يبقى أمامهم الا الوقاحة والصفاقة. وهذا كسب كبير لمعركتنا لأننا لسنا وحدنا في العالم.

بالنسبـة لشعبنـا كسب كبيـر أن يشعـر بكـل حواسـه وكـل شعـوره ووعيـه ماهـو

الاستعمـــار. هذا كسب بالـغ القيمـة والفـائـدة، لأن الشعـوب ليست دومـاً في هذا المستـوى من الـوعي، وليس الجميـع في مستوى واحد. قد تكون قلة واعية، ولكن ينـدر أن توجـد ظروف يعـرف فيهـا كل الشعب ماهي حقيقـة الاستعمـار. وبنضـالنا الجـريء الصـادق اضطـررنـا الـدول الاستعمـارية أن تتصرف هكذا ولا ندع مجالا للالتبـاس. هذا بالنسبـة لنـا، ولكن هناك رأي عام عالمي وشعوب أخرى قاست من الاستعمار ما قاسيناه وتحررت حديثاً، أومازالت في طريق التحرر، وشعوب ليس لها مصلحة في الاستعمار، وشعوب لها مصلحة ضد الاستعمار.

ومـوقفنـا يكسبنـا هذا الـراي العـام العـالمي المشـارك بعضـه لنـا في التجـربة والعاطفة، والمشارك بعضه لنا في المصلحة.

وأخيراً بلغ من نمو النضال العربي أن وقفنا اليوم كما لم نقف في أي وقت مضى منذ مئات السنين.

العـالم كله يشهـد الان بأن في العـالم شيئـاً أسمـه الأمة العربية. . والعالم كله يشهـد بأن هنـاك عدوانـاً صريحاً عليها، وان لها قضية عادلة سواء في فلسطين وسواء في مجمـوع أجـزاء وطننـا ـ حيث يوجد استعمار ـ حيث يوجد احتلال وقيود وأحلاف ومعاهدات وشركات.

والشيء الجديد والمفيد في آن واحد هو ان هذه المعركة تتمثل بالدرجة الأولى في مصـر. . مصـر كمـا وصفتهـا، وكما يعرفها الجميع، كيف كانت وكيف أصبحت اليـوم ممثلة للعـروبـة، ممثلة للأمـة العـربيـة. . وليس هذا كلاماً عاطفياً، وإنما هو الـواقـع بعينـه. فمصـر في السنتين الأخيـرتين، في مواقف واضحة مشهودة، لم تعد تتصرف كبلد قائم بذاته، وإنما تصرفها كجزء من وطن كبير هو الوطن العربي. وأكثر من ذلك، لم تعد تتصرف كجزء وإنما بالنيابة عن مجموع هذا الوطن كطليعة وممثلة له. ولولا ذلك لما وقفت مصر هذه المواقف التي كان يمكن أن تسمى جنونية. . وان تنعت بالطيش والتهـور، لو أنهـا بمفـردهـا تتحـدى كل هذه القـوى الـرجعية في العالـم، تتحدى أخطاراً ليست وهمية وليست بعيدة وإنما على حدودها. ومعروف أن هذه القوى تتفوق على مصر كثيراً، رغم أن مصر تقدمت كثيراً. ولكن هذه التصرفات

لم تكن جنونية ولا نتيجة التهور، وإنما نتيجة الايمان والوعي ، لأن مصر والمسؤولين في مصر أصبحوا يعملون بأسم الأمة العربية . . بأسم مائة مليون عربي ، مائة مليون ليس من البشر الهاجع ، وإنما من البشر الناهض الذي يزداد قوة يوماً بعد يوم . وواثقة بأنها إذا مثلت سياسة الحرية والبعث والاستقلال والتحرر تمثيلاً صادقاً سليماً لانسانية خيّرة فإن هذه الملايين مرغمة على تأييدها ، ليس لها الخيار، وفي هذا الايمان بطولة .

فسواء في مقاومة مصر للأحلاف الاستعمارية بأسم مصلحة العرب كلهم ، وسواء بتبنيها لسياسة الحياد الايجابي بأسم مصلحة العرب جميعاً ، وسواء بوقوفها وقوفاً صامداً عنيداً من الخطر اليهودي ، ومن العروض والمساومات والتسويات التي عرضت عليها . . وقفت وهي تعرف ما هو خطر إسرائيل على الوجود العربي كله . وسواء موقفها في أزمة القناة ، وشقها الطريق أمام جميع أقطار العروبة لتحدي الاستعمار والانعتاق من قيوده ومن شركاته واستثماره كل شيء .

هذه المواقف لم تقفها مصر كمصر ، ولا كجزء من الوطن العربي ، وإنما كمندوبة للأمة العربية ، بصفتها أكبر قطر عربي ، فيه إمكانيات ضخمة وتهيأت له شروط من الثقافة والانتاج والوعي حتى استرد مصيره بيده ونظف جوه ، وبالتالي أصبح أهلاً لأن يتكلم بأسم جميع العرب .

هذا الايمان هو بالدرجة الأولى عند تلك النخبة من الموجهين ، ولكنه بفضل الأحداث وبفضل الأخطار التي تلاحقت علينا في المدة الأخيرة . . انتقلت هذه الأفكار وهذا الايمان . . انتقل من نطاق تلك الفئة القليلة من الموجهين ، واخذ يتسع وينتشر بين جماهير الشعب الذين وان كانوا لم يصلوا بعد في ثقافتهم القومية ووعيهم النضالي إلى المستوى الذي يمكّنهم من فهم هذه السياسة البعيدة النظر ، ولكن الأخطار ربتهم تربية عميقة ، إذ أنهم شعروا بأنهم أمام بريطانيا الرهيبة التي كان يعرف عنها انها رهيبة ، وأمام فرنسا ، وربما أمام الغرب بكامله في أول أزمة القناة .

شعر الشعب العربي في مصر أنه لا يستطيع أن يرد هذه الأخطار وهذه القوى الهائلة ، وما كان ليوافق على الخطوة التي خطاها عبدالناصر فى تأميم القناة ، لولا أن

عبدالناصر في نفس الوقت الذي أمم فيه القناة أكد إيمانه بالقومية العربية وبالقوة العربية وانه إنما يفعل ذلك مستنداً إلى قوة الأمة العربية، فشعر الشعب العربي في مصر أنه مسنود، وأصبحت العروبة بالنسبة إليه ليست للتغني العاطفي، وإنما مسألة إنقاذ.. مسألة حياة أو موت.

فلنترك ايها الاخوان التحليلات السياسية إلى وقت آخر، ولنقتصر على هذه الناحية القومية: عندما يتم هذا العمل التاريخي في تاريخ أمة.. عندما تتفاعل الفكرة العربية مع قطر هو أضخم قطر عربي، كان ميئوساً منه منذ خمس سنوات، عندما ينقلب هذا الانقلاب وهذه القوة الضخمة التي كانت سلبية وأصبحت إيجابية في خدمة العروبة أي جواب يجب أن يلقاه منا هذا القطر؟

كل أفراد الأمة العربية مسؤولون اليوم عن مستقبلهم، عن مستقبل الأمة العربية.. وتاريخها. هل ترسخ هذه العقيدة التي تفاعلت مع مصر، أضخم وأكبر قطر؟ هل نحقق أمل هذا القطر بنا؟.. هل نبرهن أن العروبة هي واقع وهي حقيقة وفعل وعمل وجهاد؟.. أم نتردى وننتكس؟.. ويبقى انقلاب مصر معلقاً في الهواء معرضاً لشتىٰ الانتكاسات ايضاً، ولأن يكون سطحياً، وأن تقع عليه ضربة تحدث في مصر ردة وانتكاساً. لو أخذنا هذه المعركة التي فرضها الاستعمار علينا، والتي بمعنى من المعاني نحن فرضناها عليه. لو أخذناها من هذه الناحية، ألا يجب أن نزداد التحاماً مع بعضنا سواء مع مصر او مع الجزائر او مع اي قطر اخر؟..

نأخذ مصر كمثال، لأنه أبرز مثال، هل نتجاوب مع متطلبات عصرنا الصاعد. وندفع الثمن، ونمتن هذه الأواصر التي تنمو وتتشابك بين أقطار العروبة؟.. ولو بالدم.. ولو بالتضحيات المستمرة.. لكي نكون مطمئنين إلى مستقبلنا؟ لأنه لا يعود هناك حدود تستطيع أن تفصم عرى الأمة العربية، وتعيدها إلى شتات من بشر جاهل لشخصيته ومصيره ونفسه.

هذا كله بيدنا. وبهذه الروح يجب أن ننظر إلى المعركة، وان نجعل المواطنين ينظرون اليها. وان ندخل وإياهم هذه المعركة.

ايها الاخوان

من يوم وعينا وجودنا القومي ، وبصورة خاصة من يوم تأسيس هذا الحزب وهذه الحركة ، وإيمـاننا بأمتنا إيمان قوي وعميق . . ولكن مهما قيل في الانسان . فإنه لا يستطيع أن يكون دوماً في مستوى واحد . . وحياة الانسان متحركة . واستطيع أن أقول بأننا خلال هذه السنين الطويلة التي رافقنا فيها قضية أمتنا وساهمنا في نضالها ، لم نكن في يوم من الأيام مؤمنين بمستقبل أمتنا كما نحن اليوم . . كما نشعر اليوم . لذلك أقول لكم بصراحة بأنني لا أهتم كثيراً في النتيجة العاجلة والقريبة للمعركة التي تدور بين العرب والاستعمار . . ولو أن واجبنا جميعاً أن نعمل كل شيء في سبيل النصر ، وبإمكاننا أن ننتصر ، لأن امكانياتنا عديدة . ولكن هذا ليس المهم ، المهم أن تبقى الأمة . . وان تبقى سائرة في الطريق الصاعدة متفائلة مؤمنة برسالتها .

ولا يستبعد على أية أمة في العالم - في أحسن الشروط من الوعي ومن الخلق ومن الاستعداد المادي - لا يستبعد أن تأتي قوة تفوقها وتنزل بها ضربة تقهرها مؤقتاً . . هذا محتمل . . ولكن المستحيل ، انه إذا قامت هذه الأمة بواجبها ، فإنه يستحيل أن يقضى عليها نهائياً . قد تقهر . . قد تبقى سنوات في حالة ضعف وخسارة ، ولكن بذور القوة قد تضاعفت . . لأنها قامت بواجبها . . وينتظرها مستقبل أروع بكثير .

هكذا أرى المعركة : اننا مطالبون بالدرجة الأولى - وفوق كل شيء وكل تقدير وكل اعتبار - بأن ننقذ المستقبل ، وإنقاذ المستقبل يكون بأن نوفي الحاضر حقه ، ان نقوم بواجبنا - في الحاضر - دون أن نحسب أو أن نضع بالدرجة الأولى حسابات الربح والخسارة . وهذا مايترتب على سورية بشكل خاص - ولو اني لا أفرق بين قطر وآخر واعتبر أن هذه التقسيمات كلها زائلة - ولكن حتى الان كانت سورية تعتبر في نظر الأقطار الأخرى وخاصة في نظر مصر بأنها مهد الفكرة العربية ، وانها على صغرها وقلة امكانياتها . . قد ناضلت أكثر من غيرها . . وان هذه الفكرة ، هذه الدعوة ، لقيت هنا التربة الخصبة . . وانتشرت إلى الأقطار الأخرى ، وفي مصر بصورة خاصة - كما قلت لكم - لمست هذا بنفسي : لسورية في اذهان المصريين مكانة خاصة ، وأسمها يفعل في قلوبهم فعل السحر ، ويقولون ويعترفون بأنهم تتلمذوا على سورية بالفكرة

القومية الصحيحة، والاتجاه القومي التقدمي.

وتعـرفـون كيف ان هذا الحـزب رفع شعار الاتحاد بين سورية ومصر كخطوة في سبيل وحدة عربية سليمة من الشوائب، وان ذلك لقي استجابة وترحيباً من مصر رغم العوائق والموانع الكثيرة في هذا الظرف.

فإذن الواجب يقضي بأن تكون سورية أسرع من غيرها إلى التضامن وإلى دخول المعركة بسرعة.. سيكون لذلك أثره القوي الفعال في مصر وفي سائر الأقطار.

تشرين الأول ١٩٥٦

العروبة والألم

قد تخرج من الجزائر الصورة المثالية لعروبة المستقبل. ذلك لان شعب الجزائر قد عرف الالم الانساني كما لم يعرفه شعب في العالم. ونضال الجزائر هو مقياس حيوية الامة العربية وقدرتها على التجدد والابداع. فلقد ظهرت في هذا العصر حركات وثورات كانت بالنسبة الى العالم مفاجأة ومثار دهشة. اما ثورة الجزائر فكانت مفاجأة العروبة لنفسها.

لقد اعتدنا في اقطار الشرق العربي منذ مطلع هذا القرن ان نرى الحركات القومية متمثلة في الطبقات الوجيهة المتزعمة، فخالط قوميتنا من جراء ذلك الشيء الكثير من معاني الترف المادي والعاطفي والفكري. وبدت هذه القومية، وهي بعد ناشئة في المهد، ومغلوبة مضطهدة، كأنها تتكلم لغة ليست لغتها الطبيعية، دخلها الاصطناع والتزييف والغرور والتبجح منذ تمتماتها الاولى. وهذا ما جعلها، ردحاً طويلاً من الزمن، معزولة عن الشعب وحياته الصادقة الصميمة، كما جعل صوتها عاجزاً عن ان يتجاوز نطاق ارضنا، ويتجاوب مع مشاعر الشعوب الاخرى ويكسب عطفها وتأييدها.

كانت جماهير شعبنا العربي في جميع اقطارها وما تزال تعيش في الالم، ألم الحرمان والظلم والتأخر. لكن صوت الشعب المتألم كان يضيع في جلبة المعركة القائمة بين البلاد والمستعمر الاجنبي.

اما في الجزائر فقد عمل الاستعمار الافرنسي طوال اكثر من قرن، بحرب منظمة للافقار والابادة، على تحقيق المساواة بين افراد الشعب العربي، في الفقر والظلم،

فتحققت بذلك للشعب وحدة الشعور ووحدة القضية، ولاول مرة في تاريخ النضال العربي ضد الاستعمار اتحد المعنى القومي بالمعنى الانساني اتحاداً تاماً، لان الاستعمار اوصل الشعب في الجزائر الى هذا الحد المتطرف الذي يدافع فيه الانسان عن مجرد البقاء وعن مجرد الكرامة التي لايستطيع مخلوق بشري ان يحيا بدونها.

وهكذا قدر للعروبة في الجزائر ان تبلغ جذور انسانيتها وان تتعرى من كل ترف وتزييف وتمتلىء بالمعنى الايجابي لانها عانت وقاست كل مراحل السلبية والحرمان لتصبح عروبة الحق والحرية والعدالة، ولتستطيع ان تولد هذا النضال الشامل الجبار الذي بلغ الغاية في الرجولة والرصانة والعمق.

ان النقص الذي كنا نشعر بوجوده في نضالنا القومي يسده اليوم نضال شعبنا في الجزائر، لانه منبعث من ألم كبير، وهو ألم اكبر من ان يستنفده الحقد ويتوقف عند الهدم ويستسلم للغرور والاهواء او للضعف والاستكانة.

فبمقدار ما يتضامن الشعب العربي في اقطاره الاخرى مع نضال اخوانه في الجزائر، وبمقدار ما يؤازر هذا النضال ويضحي في سبيله، بمقدار ما يتحقق التفاعل بين اجزاء شعبنا الواحد، وتتوحد تجربته، ونعجل في تحرير قوميتنا العربية مما علق بها ودخل عليها من سطحية الطبقات المترفة ونفعيتها، لنغمس هذه القومية في معين ألم الشعب وصدقه وانسانيته.

٢٦ تشرين الاول ١٩٥٦

معركة المصير الواحد

من الطبيعي في هذه المرحلة الصاعدة من تاريخ امتنا العربية ان يتركز انتباهنا على مواطن الضعف والنقص التي مازالت تشوب حياتنا القومية اكثر من تركز هذا الانتباه على ما حققناه حتى الان من قوة وتقدم. يكون هذا عادة في الاوقات التي تسبق المعارك الحاسمة ويكون بدافع الطموح واستعجال التقدم الذي تنشده الامة لنفسها. وهي اوقات يكثر فيها النقد وتحتد الاعصاب. ولكن ما ان تجيء المعركة ونغدو في ساحتها وصميمها حتى تنقشع الغشاوات تدريجاً عن جميع الكنوز الايجابية التي اختزنتها الامة بعملها البطيء ونضالها الطويل، فتتعرف الامة في وهج المعركة الى وجهها الحقيقي وتبدأ مفاجآتها لنفسها تتوالى، وثقتها بنفسها تنمو وتمتد بعيداً في العمق.

وهذه المعركة التي دبرها الاستعمار على أوقح شكل عرفه تاريخ البغي والعدوان، والتي لا يستطيع الذي يراقبها من الخارج الا ان يعتبرها مثالاً فريداً في الحمق والخرق، انما هي بالنسبة الى الامة العربية جزء اصيل خطير من مرحلة انبعاثها وتقدمها تتلخص فيه وتمتحن جميع الاجزاء السابقة، وهي ايضاً بالنسبة الى تاريخ الانسانية وفي نظر من يحياه من الداخل معركة جدية كل الجد ونتيجة طبيعية محتومة لنظام الاستعمار وعقلية العدوان وموقف فاصل سينتهي بتصفية ما هو غير جدير بالبقاء.

انها معركة الامة العربية اولاً ومعركة الانسانية الجديدة ثانياً. ونقول انها معركتنا اولاً لا لنضع مصلحتنا في المرتبة الاولى، ولكن لأن الانسانية لا تتحرك ولا تعير

انتباهها، وهي في ذلك على حق، الا للقضايا الصادقة التي يبرهن اصحابها بمدى نضالهم وتضحياتهم في سبيلها، على مدى صدقهم في التعلق بها.

ولأول مرة منذ مئات السنين يقف العرب موقف الأمة الواحدة يناضلون في سبيل قضيتهم ويعترف لهم العالم بأنهم امة واحدة، وبأن قضيتهم ليست قضيتهم وحدهم بل هي قضية الحق والعدل والحرية.

ولاول مرة منذ مئات السنين وبعد عهود التخلف ومآسي التجزئة يقف قطر عربي تمثلت فيه هذه العهود والمآسي على اقوى شكل ليفكر ويتكلم ويعمل باسم الامة العربية الواحدة وباسم مصلحتها ورسالتها مدفوعاً بالايمان العميق والوعي الصافي بأن سلوكه هذا لئن اكسبه عداوة الاعداء في الخارج والداخل، فانه يكسبه في الوقت نفسه تأييد الشعب العربي بكامله وفي جميع اقطاره، ولئن عجل في اثارة اطماع الاستعمار واحقاده، فلقد عجل ايضاً في انضاج وعي الشعب العربي وارادته وفي ايصاله بقفزة تاريخية الى مرتبة الامة الواضحة الشخصية.

وعندما تبلغ السياسة هذا المستوى من الاصالة تتبدل النظرة والمقاييس وتحتجب حسابات الربح والخسارة ويتضاءل الحاضر بكل ما فيه لكي يتجه كل جهدنا الى بناء المستقبل وانقاذ الفكرة التي تضمن ان يكون لنا مستقبل. فليست القضية اليوم ان نربح او نخسر مع عدو لا ننكر انه قوي وان كنا نؤمن أن امكانيات الامة العربية تستطيع أن تضمن لنا النصر في المعركة، ولكن القضية هي ان نخلص لمثلنا ولوحدة مصيرنا، لان احداً من العرب لا يجهل ان هذه المعركة التي نخوضها وتقودها مصر هي بالدرجة الاولى معركة الوحدة العربية، والوحدة العربية بالنسبة للعرب ليست مجرد حشد للقوة وتعزيز للبأس والسلطان ـ كما حدث ذلك بالنسبة لبعض الشعوب ـ بل هي وحدة شفافة ترتسم عليها جميع الآلام والتجارب السلبية التي عانوها وتتراءى من خلالها صورة نزوعهم الى الحق والحرية وظمأهم الى البناء والتعاون.

وقد تمثل كل ذلك في مصر وفي المعركة الحاضرة، وكانت الدول الاستعمارية واسرائيل اول من انتبه الى هذه الحقيقة، فركزت كل هجومها على مصر وصممت

على تحطيمهـا لتحطم بذلـك امـل العـرب في الـوحـدة. وقـد تستطيـع الـدول الاستعمارية واسرائيل ان تتفوق على مصر في قوة السلاح وان تنزل بها الخسائر دون أن يؤثر ذلك في مصير المعركة، ولكن شيئاً واحداً يمكن ان ينزل بنا من الاضرار اكثر مما تنزله جميع جيوش الاعداء واسلحتها الفتاكة وان يصيب منا مقتلاً اذا نحن قصرنا وتهـاونـا في واجب التضـامن العـربي على اقـوى ما يكون التضامن. وفي سبيل هذا تهون اجسم التضحيات، فالشعب العربي مطالب في كل مكان ان يختار، ليس بين ربـح المعـركـة او خسـارتهـا امام الاستعمار واسرائيل، بل بين ربح أو خسارة وحدته وانقاذ معنى وجوده بتحقيق تضامنه الفعال وتجسيد عروبته في النضال.

والجيـل العـربي الجـديـد الـذي قدر له ان يعطي بفكـره ونضاله مفهوم العروبة الحديثة ويشق الطريق الصحيح للوحدة العربية، مسؤول قبل غيره في هذه المعركة التي هي النتيجـة المنطقيـة لدعـوتـه ونضـالـه، عن وقـوف المـوقف الذي يرسخ في الشعب العربي الثقة والعقيدة، ويحمله الى جو البطولة والتضحية.

٢ تشرين الثاني ١٩٥٦

السياسة الثورية طريق التضامن العربي

ان الغربيين الذين يقولون عن الحرب الناشبة بين العرب والاستعمار انها من صنع ايدن ومولية، وانها بصورة خاصة نتيجة حقد شخصي من ايدن على عبدالناصر يكذبون ويغالطون. فهذه الحرب هي حرب المصالح الاستعمارية في الغرب، ولو لم يمثلها ايدن لوجد مئات غيره يقومون بالدور الذي قام به. ولكن الغربيين لا يبتعدون عن الحقيقة عندما يقولون ان هذه الحرب موجهة ضد عبدالناصر، ذلك ان ايدن ومولية ومئات السياسيين في الغرب لا يمثلون شيئاً جديداً، وليس بالتالي لأشخاصهم كبير وزن في المعركة، فكلهم ادوات لنظام قديم هو الان في دور الاحتضار، والدفاع الاخير اليائس عن بقائه.

اما عبدالناصر فهو في شخصه ونفسيته وتفكيره والنظام الذي اوجده والاتجاه الذي اعتنقه واخلص له والقاعدة المنظمة المتينة التي ركز عليها هذا الاتجاه والتي هي نظام الحكم في مصر كنواة جبارة ومنطلق فعال لا ستقطاب نضال الشعب العربي في كل مكان وأجتذاب كل عناصر الخير والقوة والتقدم الكامنة والمتناثرة في هذا الشعب: ان جمال عبدالناصر هو فعلاً وبالذات موضوع وهدف لهذه المعركة الفاصلة التي يشنها الغرب الاستعماري، من خلال شخصه، على العرب وحريتهم ووحدتهم وتقدمهم.

فلوزال اليوم ايدن ومولِيه وبن غوريون لما تبدل شيء اساسي في النظام الاستعماري القائم في بريطانيا وفرنسا أو شيء أساسي في وجود اسرائيل القائم على الاغتصاب والعدوان والتحالف الدائم مع الاستعمار، ولما تبدلت بالتالي المعركة التي تقوم بيننا وبين الاستعمار وأداته اسرائيل. ولكن لوزال عبدالناصر، فان ذلك سيرجع بالعرب سنين الى الوراء، الى زمن الاحتلال والتجزئة والفساد والانحلال، لان سياسة عبدالناصر الاستقلالية العربية قد رفعت قضية العرب وامكانياتهم درجات حاسمة الى فوق، ونقلتها الى المستوى الجدي الذي يفصل فصلاً حاسماً لا لبس فيه بين الاوضاع الراهنة الفاسدة التي هي سبب ضعف العرب وسيطرة الاستعمار ووجود اسرائيل، وبين الحياة والاوضاع الجديدة التي يتطلع اليها العرب والتي توفر لهم من اسباب القوة ما يكفل تحررهم ووحدتهم ونهضتهم. .

هذا ماأدركه الاستعمار منذ البدء ومنذ ان لمس التجاوب العميق بين سياسة عبدالناصر وبين اندفاعات الشعب العربي في كل قطر. ولكن الفئات الرجعية والمتآمرة في الاقطار العربية ظلت الى ما قبل ايام تنكر هذه الحقيقة وتكابر فيها وتتجاهل القفزة التاريخية التي حققها عبدالناصر في حياة الامة العربية في هذه المرحلة، وتحاول بشتى الاساليب ان تطمس هذا الفارق الاساسي الذي يتميّز به لتظهره أمام الشعب على مستوى واحد مع نوري السعيد وامثاله من الخونة وأُجراء الاستعمار، بحجة وحدة الصف العربي، وان الجميع يهدفون الى غاية واحدة وان اختلفت الاجتهادات والطرق.

كان هذا الى ما قبل عشرة أيام، أي قبل ان يفتح الانكليز والافرنسيون واسرائيل المعركة بعدوانهم الصارخ على مصر. وفتح المعركة قد أغلق باب التضليل، فلم يعد احد من هؤلاء الرجعيين والمتآمرين والمأجورين يجرؤ على ان يماري ويكابر في ما هو واضح كالشمس باستثناء العراق الذي يحكم شعبه بالحديد والنار.

اذن فالمعركة قد وضعت حداً للتضليل، وهذه اولى ثمراتها الطيبة. ولكنها لم تضع بعد حداً للتعطيل والتخريب، وهذا ما يجب ان يتم باسرع وقت ممكن دفاعاً عن حياة الوطن واهله.

لم يقدم الاستعمار على فتح المعركة في هذا الوقت الا لانه حسب من جهة ان التبدل الذي أحدثته الثورة في مصر لم ينفذ بعد الى الاعماق وان مقاومة مصر لن تكون جدية، ولانه حسب من جهة اخرى ان تضامن الاقطار العربية مع مصر ليس الا تضامناً بالكلام حسب المألوف. وقد بان خطأ الاستعمار في حسابه الاول عندما تحطم هجومه على صلابة المقاومة العنيدة التي تبديها مصر، ولكنه حتى الان لم ير من جدية التضامن العربي مايضطره الى اعادة النظر في حساباته وخططه، رغم اجماع الشعب العربي على تأييد مصر واعتبار معركتها معركة الامة العربية، ورغم ما قام به هذا الشعب من أعمال جريئة متمرداً بذلك على سياسة حكوماته للضغط على المصالح الاستعمارية. والشعور السائد الان عند الشعب العربي انه مكبوت وملجم واسير بين حكومات تدعي رسمياً ولفظياً انها مشاركة في المعركة.

لقد خرست الاصوات التي كانت تهوش وتضلل، ولم يبق في ارجاء الوطن العربي الا صوت واحد منسجم هو صوت الشعب، ولكن أيدي الشعب لا تزال مغلولة لاتستطيع ان تنفذ ما يجهر به هذا الصوت، وليست هذه الأيدي مغلولة إلا لان ايدي المتآمرين والمخربين والخائفين على مصالحهم ماتزال طليقة تتحكم في مقدارت البلاد وتحول بين الشعب وبين المعركة التي هي معركة بقائه أو فنائه.

فالاستعمار الذي تراجع اليوم نصف تراجع قد يعود الى الغدر والعدوان بعد ساعات او أيام أو شهور، اذا لم يحدث في العاجل ما يظهر له خطأ حسابه عندما لم يحسب لتضامن الامة العربية حساباً. ولكي يتحقق هذا التضامن فعلا يجب ان نعرف عناصره والطريق المؤدية اليه. فنحن الان في معركة، والتضامن فيها هو تضامن في النضال والتضحية، فلا يعقل ان يتحقق اذا كانت عناصره تلك الفئات التي من طبيعة مصالحها التناحر والجشع ومن طبيعة نفسيتها الحذر والهلع من مجرد ذكر النضال. فعناصر التضامن العربي هو الشعب العربي نفسه، وطريق هذا التضامن هي السياسة الثورية الصريحة التي تسمي الأشياء باسمائها وتضع الشعب امام مسؤولياته وتزيل من طريقه كل ما يعرقل نضاله أو يتآمر عليه.

قبل ثماني سنوات دخلت دول الجامعة العربية السبع ارض فلسطين وسببت

اكبـر كارثـة في تاريخنـا ، واليوم يدخل العرب معركة اشد هولاً من معاركهم السابقة ، ويشعـرون مع ذلـك بالقـوة والعـزم ويؤمنون بالنصر لانهم لم يحرصوا هذه المرة على الاجماع الكاذب ، بل رفضوا ان يدخل الاختلاط والالتباس الى صفهم ، ولم يخشوا من فضح الخيانة بل احرجوها حتى عزلت نفسها بنفسها . ولئن خسر الصف العربي المتحـرر بذلـك جهـود قطـر أو قطرين ، فلقد ربح سلامة تكوينه وربح تأييد عشرات المـلايين من الشعب العـربي كانت سيـاسة التسويات وانصاف الحلول تترك وعيهم في الظلام ومشاركتهم في حالة الشلل .

وكـذلـك الأمر في الاوضاع الداخلية لكل قطر عربي ، فاذا لم تعالج بنفس هذه السيـاسـة الثـوريـة حتى يُكشف التخـاذل وتخُـرج النفعية وتُعزل الخيانة ، فان جهود الشعب في داخـل كل قطـر ستبقى عرضـة للتعطيـل والشلل ، ولن يجـدينـا ان نعقد المؤتمـرات الحكـوميـة والاتفـاقـات الرسمية اذا لم يكن وراء هذا كله أوضاع سليمة تضمن صدق التنفيذ وجديته وسرعته .

ان السيـاسـة الثـوريـة هي الدواء الشافي لامراض كياننا القومي والسبيل الوحيد الصحيح لانطلاق القوى السليمة المبدعة في الشعب العربي ولتغلبها الحاسم على جميـع قوى الشـر والفسـاد في الخـارج والـداخـل . فهـذه السياسة بمواقفها الجدية الجـريئـة تهـز وعي الشعب وشعـور المسؤوليـة فيه الى الاعماق ، وتدفعه الى التكتل والفاعلية ، بينما تحرج وتفضح العناصر المتذبذبة والمتآمرة وتلجئها اما الى الخضوع وامـا الى تمـزيق قنـاعها والامعان في ضلالها ، فتسلم هكذا صفوف الشعب من كل دخيل ويكسب الشعب المعركة لأنه عرف قوته وعرف اعداءه .

٩ تشرين الثاني ١٩٥٦

اجماع الشعب هو الاقوى[1]

من دلائل قوة القضية العربية وبواعث الامل في نجاحها القريب انها بلغت من الوضوح حداً قلما تيسر لقضية شعب اخر في العالم. وقد خطت هذه القضية في السنوات العشر الاخيرة على أثر الحرب العالمية الثانية خطوات في الوعي والنضج لم تكن لتخطوها الشعوب في عشرات السنين. فقد خرج العرب على اثر الحرب العالمية الاخيرة والطبقة الاقطاعية تقبض على الحكم في جميع اقطارهم وتمثل نضالهم واهدافهم القومية. واليوم تقف هذه الطبقة في صف. ويقف الشعب العربي كله في صف اخر. قبل عشر سنوات كانت هذه الطبقة تحتكر الوطنية وتنكر على من يعارضها ان يكون له بالوطن صلة أو نسب. واليوم لم يعد لها مناص من ان تتنكر للوطن وحريته وقوميته وتقف مع المستعمر الاجنبي واسرائيل الغاصبة جهراً وعلانية في صف واحد بغية المحافظة على مصالحها الخاصة الاثيمة.

لقد تحول زعماء الوطنية إلى دعاة سافرين للانكليز والفرنسيين وأمسى الذين كانوا حتى الامس القريب يستغلون قضية فلسطين ووجود اسرائيل للتهويش والتضليل، واقفين في معسكر واحد مع اسرائيل وحليفتيها المعتديتين، بريطانيا وفرنسا. وافتضح امر الذين كانوا الى الامس القريب في العراق وخارج العراق يضللون باسم الوحدة العربية ويتباكون عليها، فاذا هم عندما انفتح الطريق رحباً وسيعاً امام هذه الوحدة يقاومونها ويلقون في طريقها بكل ثقل تآمرهم وخيانتهم فيفرضون على العراق عزلة رهيبة لم يعرف لها العرب مثيلا في تاريخهم الطويل، ويعملون جاهدين مع الاستعمار لاعادة تقطيع أوصال الامة العربية ولتجزئة القطر

الواحد الى طوائف وعصبيات.

في هذه الفترة الحاسمة، وفي ابان المعركة المحتدمة بين العرب واعداء حريتهم، تطرح القضية العربية على هذا الشكل الواضح الذي ينمي وعي الشعب ويشحذ نضاله ويعجل في انتصاره. فالوطنية والقومية وكل ماتتضمنان من فضائل وقيم انسانية واجتماعية وفردية عادت الى نصابها ورجعت الى الشعب صاحب الوطن وبانيه وحاميه، بينما استأثرت فئات المصالح الخاصة والجشع المادي والزعامات المصطنعة باللاوطنية والخيانة.

وفي هذه الفترة الحاسمة بالذات يحاول الاستعمار مرة أخرى ان يلقي الغموض في قضيتنا والارتباك في صفنا الشعبي الموحد بلجوئه الى بعض عملائه من الحكام والمسؤولين لاخفاء وحدة الشعب المتحققة وراء وحدة الحكام التي لا يمكن ان تتحقق، مادام الاستعمار موجوداً في بعض اجزاء وطننا، وما دام ينصب الحكام من صنائعه ويفرضهم على هذه الاجزاء بقوته ونفوذه. فوحدة الصف العربي التي يدعو اليها الحكام العملاء في مثل هذه الحال لا يمكن ان تكون مهمتها توحيد الجهود بل فرض الجمود على الحكومات المتحررة التي تقود الشعب الى النضال والتي يقودها نضال الشعب الى التحرر.

عندما تأسست الجامعة العربية قبل اثنتي عشرة سنة، كانت البلاد العربية ما تزال ترزح تحت كثير من القيود الخارجية والداخلية، وكان وعي الشعب العربي ما يزال في حالة من الضعف سمحت للطبقة الاقطاعية الحاكمة ان تدعي تمثيله. وكانت تقف وحدها أمام الدول الاستعمارية موقف المساومة المزدوجة فتهدد الاستعمار بالشعب ليحدّ من استثاره وتهدد الشعب بالاستعمار ليتنازل عن بعض حقوقه ومطالبه. وكان اجماع ممثلي هذه الطبقة في الجامعة العربية على ضعف مستواهم القومي يزعج الاستعمار فيحاول بث الفرقة والانقسام بين صفوف الحكام. حتى اذا انطلق الشعب العربي من اسار الرجعية المتحكمة وقطع مراحل في طريق النضال التحرري ووصل في بعض اقطاره الى حكم متجاوب الى حد كبير أو قليل مع ارادته وأمانيه القومية، وصلت الجامعة العربية الى نهايتها، واستنفدت مهمتها التي

حققتها الظروف لها وتجاوزها الزمن، لأن الطبقة العربية الحاكمة فقدت تجانسها بدخول عنصر الشعب والثورة فيها، وغدا انقسامها جداً لا هزلاً كما كان يصطنعه الاجنبي بواسطة صنائعه، وتراءت من خلال هذا الانقسام الجدي بين الحكام وحدة الشعب العربي ووحدة نضاله، ولم يعد الشعب بحاجة الى اجماع حكوماته حتى يفرض هيبته على الاستعمار وينتزع منه بعض حقوقه، بل اصبح انفراد حكومة تتجاوب مع الشعب وتمثل ارادته في الحرية والوحدة والتقدم، يخيف الاستعمار اضعاف ما كانت تخيفه قرارات حكومات الجامعة وتهديداتها. ووصلنا الى هذا الوضع المتناقض الذي يمثل فيه الاستعمار وعملاؤه في الداخل الدعوة الى وحدة الصف العربي، بينما يطالب الشعب العربي باجماع قوي رائع من الاطلسي الى الخليج العربي، ان يتمسك جمال عبدالناصر بسياسته القومية الثورية ويمضي فيها الى النهاية دون ان يعبأ بتخلف المتخلفين ومعارضة المتآمرين لأن الشعب نفسه قد اخذ على عاتقه ان يحمي هذه السياسة ويغذيها بنضاله، وان يدفع المتخلفين ويحطم المتآمرين.

اننا اليوم نعرف ان وعي الشعب ونضاله هما الاساس. وقد اظهرت المعركة الحاضرة ان صمود مدينة صغيرة قد أنقذ مصر والعروبة وأنقذ معهما مبادىء ومصائر غالية على الانسانية. ولقد مضى وقت الضعف الذي كنا نحتاج فيه ان نحتمي بمظهر الاجماع والوفاق الكاذبين، ودخلت الامة العربية طور القوة والنماء السليم الذي يحتاج الى الوضوح ونور الشمس. فكل تستر على مؤامرات الطبقة الناشزة عن اجماع الشعب العربي والمستعبدة لمصالحها الخاصة سيعوق ايقاظ القوى العربية الشعبية واستلامها لمسؤوليتها التاريخية في حماية الانبعاث العربي الجديد ودفعه الى الامام ضد عدوان الاستعمار وصنائعه، دون ان يكسبها هذا التستر شيئاً جدياً في نظر العالم. فالشعوب الحرة لم تبدأ بالتعرف الى قضيتنا وبتأييدها الا عندما لمست ان هذه القضية لا تقتصر على رغبات الملوك ومصالح الطبقة المترفة وان وراءها شعباً واحداً مناضلاً اخذ اليوم يخيف الاستعمار العالمي ويزعزع اركانه لأنه لم يعد يخاف من مواجهة مشاكله بصراحة، ومجابهة اعدائه الداخليين بالجرأة والتصميم اللذين

يجابه بهما الاستعمار نفسه .

١٦ تشرين الثاني ١٩٥٦

انها معركتنا اولاً

حدثني أخ كريم من أبناء مصر عن بعض مشاهداته في تلك الايام التاريخية التي مرت على مصر، وكان حديثه وكل مشاعره تتركز على شيء واحد، وهو ان الشعب نفسه فوجىء بما كان يصدر عنه، وانه ليس من كلمة تفي بتصوير هذا الذي حدث غير كلمة الابداع، اذ أن كل شيء كان جديداً، وكل ساعة كانت تأتي بجديد لم يكن في الحسبان. دقة في التنظيم مع ابتكار مستمر لمواجهة ما يستجد من ظروف، وانسجام عفوي عميق بل تداخل وتفاعل وانصهار بين القوى النظامية والقوى الشعبية وتفتّح رائع في جميع جوانب النفس. فالبطولة في القتال والصمود في المقاومة كان يرافقهما ويوازيهما تجديد وابتكار في الشعر والموسيقى، وبكلمة واحدة اصبحت الحرية في تلك الايام حياة متحققة.

ولم نفاجأ بما حدثنا به هذا الصديق. اذ ان كل عربي يؤمن في قرارة نفسه ان هذا الذي حدث في مصر ليس الا بداية المصير الرائع الذي ينتظر الامة العربية عندما تخوض بكاملها هذه المعركة التي ارادها الاستعمار في الظاهر ارادة سلبية اجرامية، وارادتها هي لنفسها في الحقيقة بمجرد ان ارادت التحرر والبناء وتحقيق المثل الانسانية.

والمهم بالنسبة للعربِ ان يدخلوا جو الحياة الجدية سواء أجرت المعركة بالحرب أم بالسلم، وسواء أكان النضال مسلحاً أو غير مسلح، وان ابرز ميزة تتميز بها قيادة جمال عبدالناصر انه رفع مصر وسائر الاقطار العربية الى المستوى الجدي الذي تتحول فيه المبادىء الى حقائق حية وعمل، والذي يدعو الشعب الى التضحية

الكبيـرة دون مداراة او اشفـاق، لأن كل ابعـاد للشعب عن مجـال التضحيـة هوفي حقيقتـه تآمـر على رجـولتـه ونمـوه وتعـويق لانطـلاقه واكتشافه لنفسه ولغنى امكانياته الخبيئة، وهو بالتالي خدمة لقوى الاستعمار والفساد لكي تستمر في استعباده واستغلاله.

لقد عرف العالم واعلن مراراً وتكراراً ان هذه المعركة يفرضها الاستعمار الباغي واسرائيل الغاصبة على العرب ظلماً وعدواناً، وان العرب في موقف دفاع مشروع عن النفس لرد العدوان. ولقد عرف العالم واعلن ان هذه المعركة المفروضة على العرب لم تعد معركة العرب وحدهم بل تشاركهم فيها جميع الشعوب الحريصة على حريتها والمؤمنـة بالعـدالـة والسلم والكـارهـة للاستعمـار والعـدوان والظلم. ولكننا نحن العرب نعرف ان هذه المعركة هي معركتنا اولاً قبل ان تكون معركة اعدائنا او اصدقائنا. فلولا نضـالنـا المتـواصـل وثـوراتنـا المتلاحقة ونهجنا المبدئي الحاسم لما ذعر الاستعمار وتكتـل وتـورط متعرياً من كل قناع، متخبطاً في الكذب والمغالطات؛ ولولا صمودنا العنيد ومقاومتنا الباسلة ووحدتنا المتزايدة لما انتبهت شعوب العالم الى جدية قضيتنا وارتباط مصيرنا بمصير هذه الشعوب.

انها معركتنا لأن فيها كل الخير والخصب لحياتنا وحياة الانسانية، فكل يوم يطيل اجلهـا ويـوسـع رقعتها يوقظ قوى الخير والرجولة في امتنا، ويزيد في عدد المناضلين المؤمنين بالحرية والحياة الكريمة ويحد من عدد الفاسدين والعابثين ويحصر الخونة المتـآمـرين ويسلط عليهم الضـوء لكشفهم واستئصالهم. ان كل توسيع للمعركة في الزمان والمكان يتيح الفرصة لظهور امكانيات شعبنا ولزيادة ثقته بنفسه ووعيه لمصيره ومعرفته لقوته وقوة الشعوب التي تصادقه وتؤيده، بينما يفضح ضعف الاستعمار وفقره وينقص من عدده ومن ثقته بنفسه، ويحرمه حتى مناصرة شعوبه.

انها معركتنا ولن نتخلى عنها لانها فرصتنا للحياة الجدية، فلأول مرة منذ قرون نستنشق هواءً نظيفاً منعشاً حتى من خلال التآمر والفساد. ونشعر بالحرية اقوى شعور حتى في جو الارهـاب والتعـذيب، لان المعـركـة جعلت التـآمـر والفسـاد شيئاً غريباً مستنكـراً منفصـلاً عن حيـاة الشعب بعـد ان كان متـداخـلاً فيها ومألوفاً لديها، ولان

المعركة أوصلت الارهاب والطغيان في بعض اجزاء وطننا الى اقصى درجاتهما نتيجة لتنبه الشعب ووضوح قضيته مما يؤذن بزوالهما السريع . وفي هذا الوقت الذي يبلغ فيه نضال الشعب العربي في مصر والجزائر وغيرهما حداً يثير اعجاب العالم ، تبلغ الخيانة بحكام بعض الاقطار العربية حداً ندر أن عرف مثله التاريخ ، وليس في هذا الا ما يقوي ايمان العرب ويزيد في استبشارهم في الخلاص القريب لانه مقياس لتلك القفزة التي حققوها في مجال الوعي والصلابة والجدية . ان نوري السعيد وزملاءه وامثاله لم يكونوا في السابق من المخلصين لوطنهم ، ولكنهم لم يحرجوا ويتدهوروا الى هذا الدرك من الخيانة والتآمر المفضوح على الامة العربية الا بعد ظهور جمال عبدالناصر وسيره في سياسته النضالية الحاسمة التي اكتسبت اليها مجموع الشعب العربي ، فاضطر الحكام المتعاونون مع الاستعمار ان يعوضوا عن خسارتهم الكاملة للشعب بمزيد من الارهاب والخيانة . وكان تحرر الشعب العربي من امراض سياسة المهادنة والمساومة وانصاف الحلول ينتج بصورة حتمية تجمع هذه الامراض وتكثفها واستفحالها في ذلك العدد القليل المنبوذ من الذين باعوا انفسهم للاجنبي وامسوا بعزلتهم وقلتهم وافتضاح امرهم برهاناً على سير الامة نحو الصحة والشفاء .

ان الشعب العربي بكامله يعرف ان المعركة ما زالت في بدايتها وان الذين يتجاهلون ذلك اوينكرونه ليسوا الا دعاة للهزيمة وعملاء في خدمة الاجنبي يحاولون ان يخدروا يقظة الشعب ويعرقلوا تهيئته واعداده ، لأنهم راهنوا على انتصار الاجنبي المعتدي الغاصب وعلى انكسار امتهم وانهيارها . والشعب العربي يعرف ان اولى ثمرات هذه المعركة انه سيقضي على هذا النوع الانهزامي المتآمر ليسلم كيانه القومي من كل مرض ولتتمكن الأمة لمعربية من اظهار جميع قواها وكفاءاتها في هذا النزاع الفاصل الذي يتقرر فيه مستقبلها ومستقبل القوى التقدمية في العالم .

٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٦

تحرر العرب
ووحدتهم ضمان حيادهم

الامة العربية في مرحلة ثورة وانقلاب، هذا ما نكرره منذ تأسيس حزبنا، ولم يكن يتجاوب مع هذا القول الا قلة واعية من ابناء امتنا، وها نحن اليوم نرى ملايين الشعب العربي تتجاوب مع هذه الحقيقة، ونرى شعوباً ودولاً في العالم انتهت اخيراً الى فهم حقيقة العرب وطبيعة المرحلة التي يجتازونها، لكن دول الغرب تصر وحدها على التجاهل. ولئن بدا لنا طبيعياً أن تكون دولتا الاستعمار بريطانيا وفرنسا عاجزتين عن ان تتحررا من اوضاعهما وعقليتهما المتخلفة المتحجرة وان تفهما بالتالي شرعية مطالب العرب واهدافهم القومية، فاننا لانستطيع الا ان نستغرب بعض الشيء موقف الولايات المتحدة منا، ذلك الموقف المتردد المتناقض الذي ان اقدم خطوة في طريق تأييد الحرية والعدالة فكأنه يندم عليها فيتبعها بخطوة اخرى تسترد ما اعطى وتهدم ما بنى. هذا هو شعور العرب تجاه سياسة الولايات المتحدة في الازمة الاخيرة عندما استغلت قرار هيئة الامم المتحدة بوجوب انسحاب القوات المعتدية من مصر لمحاولة تسوية نهائية لقضية فلسطين، ثم عندما أعلنت دعمها وتأييدها لحلف بغداد، في هذا الوقت بالذات الذي انكشفت فيه للعرب قاطبة أغراض هذا الحلف الاستعمارية التي تهدد استقلالهم ووحدتهم في الصميم.

ولعل ما ترمي اليه السياسة الاميركية من وراء فرض الصلح بين العرب واسرائيل ودعم حلف بغداد الذي يوشك على الانهيار هو ابعاد النفوذ السوفياتي عن البلاد

العربية ومنطقة الشرق الاوسط. لكن هذا منطق قديم بال كنا نظن ان احداث السنوات الاخيرة كانت كافية لاقناع الولايات المتحدة بالتخلي عنه اسوة بكثير من شعوب العالم ودوله التي غيرت نظرتها الى القضية العربية تغييراً أساسياً. فلم يعد معقولاً في هذا الوقت ان تستمر الدول الاجنبية في اعتبار البلاد العربية مجرد ارض فيها ثروات ومواقع استراتيجية، وانه يمكن ان يقرر مصيرها من بعيد وعلى ضوء الصراع والتنافس بين الدول الكبرى، دون ان يُحسب للشعب العربي وأمانيه المشروعة ونضاله المتصل في سبيل التحرر والوحدة القومية والتقدم الاجتماعي، أي حساب. لقد أيدتنا الولايات المتحدة في استنكار المؤامرة الاستعمارية المبيتة والعدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر، وساهمت مع أعضاء هيئة الأمم المتحدة في دفع هذا العدوان، ولكنها في استمرارها في مناصرة اسرائيل ودعم حلف بغداد كأنها تقول يجب ان يبقى العرب مجزئين متباعدين متنافرين، وان تظل بلادهم مجالاً اقتصادياً لغزو اسرائيل وسوقاً استهلاكية لبضائع الغرب، ومواقع استراتيجية لبريطانيا وفرنسا، وان تبقى بالتالي بلادهم مرتعاً للفساد والخيانة، وأن يمد في أجل الطبقة الفاسدة المفسدة التي تلتقي مصالحها مع بقاء اسرائيل وبقاء حلف بغداد. ومعنى ذلك كله ان الشعب العربي سيظل يشعر بالكبت والاكراه والظلم وبالتدخل الاجنبي الذي يحول بينه وبين نزوعه المشروع الى حياة حرة راقية نظيفة. وفي هذا ما يشجعه على مديد الصداقة والتعاون الى الشعوب التي تظهر تفهماً لقضاياه، ومناصرة فعالة له، مهما تكن الفروق المذهبية والعقائدية بينه وبين هذه الشعوب كبيرة. ان الذي يبعد النفوذ السوفياتي عن البلاد العربية هو ابتعاد الاستعمار وجلاؤه التام عنها، وهو بالتالي مواصلة الامة العربية تحقيق اهدافها القومية وتمتعها بحريتها ووحدتها الكاملتين وبناؤها لنهضتها على اسس مستقلة حتى تكون قادرة على رفض التبعية لاية جهة كانت.

على هذا الاساس آمن العرب بسياسة الحياد الايجابي، وهم اليوم حريصون عليها اكثر من اي وقت مضى. وبالرغم من ان الامة العربية بحكم طبيعة المرحلة الثورية التي تجتازها تشعر بتجاوب اكبر وصلة أوثق مع الشعوب الثائرة التي تبني

حياتها وتنظم مجتمعها الجديد، فانها ترفض سياسة المعسكرات وتأبى ان ترى الخير كله في الانظمة الجديدة والشر كله في الطرف الآخر، وترى في الابتعاد عن الانحياز الى أحد الطرفين ضمانة لحريتها ومساعداً لها على بلوغ طريقها المستقل، وهي في هذا تمشي جنباً الى جنب مع اكثر الشعوب الآسيوية التي عانت تجربة مماثلة لتجربتها. ولو خير العرب بين أن يحققوا أهدافهم في الحرية والوحدة والنهضة بأسرع وقت ممكن بفضل انحيازهم الى المعسكر الشرقي، وبين أن يتابعوا ثورتهم باسلوبهم المستقل المستلهم من ظروفهم وحاجاتهم ونظرتهم الى الحياة والانسان، ولو كلفهم ذلك تأخير تحقيق هذه الاهداف بضع سنين أو اكثر، لفضلوا الطريق الطويلة مقابل حرصهم على بعض القيم الاساسية، وهل ان تكون ثورتهم ثورة في العمق تتوافر لها أسباب النضج وتمتزج في اخلاق الفرد وتربيته، فثمة حدود لاندفاعنا الثوري نحو التحرر والتقدم يقف عندها هذا الاندفاع، وهي تقديس انسانية الانسان والحرص على ان لايتشوه الانسان الذي هو غاية كل تحرر وتقدم، ولكن هذا لايعني اننا نستطيع السكوت والصبر على الاستعمار الذي لايكتفي بتشويه انسانيتنا بل يهددها بالقتل والامانة، ولا يقتصر افساده على الافراد بل يهدد بقاءنا كأمة. فثورتنا رغم التحفظ الذي أوردناه تبقى ثورة أي تعجيلاً واختصاراً للزمن، فنحن رغم كل شيء مستعجلون لتحررنا ووحدتنا وتقدمنا، واذا احرجتنا الظروف والاحداث، فقد نتساهل في اسلوب الثورة، ولكننا لن نتساهل في ضرورة الثورة، ولن نستعيض عنها بما يسميه الاستعمار ودول الغرب التطور والذي ليس هو في الحقيقة الا تأخراً وموتاً.

لقد سجلت سياسة الولايات المتحدة تجاه القضية العربية في الازمة الاخيرة تحسناً رحبّ به العرب، ولكنه ترحيب ممزوج بالمخاوف والاسف لأننا ما زلنا نلمس تقصير هذه السياسة عن مستوى التفهم الواقعي لقضيتنا. قد لايكون في مقدور العرب اليوم تصفية اسرائيل، ولكنهم لن يرضوا ان يتحول الاغتصاب، بالصلح الذي تريده اميركا، الى وضع شرعي. والعرب لاينوون ان يحولوا بلادهم الى قاعدة موجهة ضد اميركا أو أية دولة اخرى، ولكنهم لن يسكتوا عن احلاف الغرب الاستعمارية في بلادهم، وهم لايفهمون من دعم حكومة رجعية

خائنة كحكومة نوري السعيد إلا خطة مبيتة لطعن حريتهم وعرقلة تقدمهم وايجاد توازن في داخل وطنهم الواحد بين قوى التقدم والرجعية والوطنية والخيانة للمد في أجل الاستعمار، ولابقاء شعبنا وبلادنا اداة للتسخير والاستغلال.

٧ كانون الاول ١٩٥٦

الاحكام الثورية ليست حسابًا على الماضي بل هي تعهد بخلق المستقبل

يمكن ان تؤخذ المؤامرة التي اكتشفت في سورية من زاويتين: الاولى وهي الزاوية المحدودة التي تقصر التآمر على هذا العدد الذي اشترك فعلاً وانكشف امره، وهي الزاوية السطحية. والثانية ان تفهم المؤامرة على انها من عمل طبقة اجتماعية قائمة في سورية وفي كل قطر عربي آخر، أوصلها استمساكها بمصالحها الخاصة وتناقض هذه المصالح مع المصلحة القومية الى حد التآمر والخيانة، وهي ما كانت لتجرؤ على الدخول في هذه المؤامرة الرهيبة في سورية في ظرف كانت فيه مقدرات الامة العربية عرضة لأفدح الاخطار، لولم تكن معتمدة على تضامن ضمني عند ممثلي هذه الطبقة في الاقطار العربية الاخرى. وان هذه المؤامرة سواء بشكلها المصغر المحدود الذي اكتشف في سورية أم بشكلها الواسع العربي، ليست الا صراعاً على القومية العربية وضمن النطاق القومي، لا دخل فيها للشيوعية من قريب اوبعيد، سواء في نظر الاستعمار اوفي نظر الطبقة الحاكمة المستغلة التي أمست حليفة صريحة للاستعمار. فالذي يخيف هذه الطبقة كما يخيف الاستعمار نفسه هو يقظة الشعب العربي وتنبهه لحقوقه وحرصه على قوميته من الضياع امام غزو الدول الاستعمارية واسرائيل، واكتشافه للصلة الوثيقة بين وجود الاستعمار واسرائيل وبين ان تحكم هذه الطبقة التي تحارب الوحدة العربية وتحول دون ارتفاع مستوى الشعب وتنمية امكانيات الوطن بالشكل الذي يتكافأ فيه مع الأخطار الخارجية ويضمن

بالتالي للوطن العربي ان يستكمل تحرره ويحافظ على استقلاله. لقد بقيت هذه الطبقة في حدود القيم الوطنية لم تتجاوزها الى التآمر المفضوح طالما كان الشعب العربي في بدء يقظته قانعاً بذلك المفهوم الابتدائي للوطنية الذي لم يكن يعني اكثر من التحرر الشكلي من الحكم الاجنبي. ولما اخذ مفهوم الوطنية يعمق ويتسع حتى شمل في نظر الشعب التحرر الداخلي والعدالة الاجتماعية وتوحيد اجزاء الوطن الممزق، أي عندما اتخذت القومية العربية مفهومها السوي وسبيلها الجدي العملي وتركزت على الاهداف العربية الاساسية الثلاثة: الحرية والاشتراكية والوحدة، اختلف التفكير وتبدلت المواقف واصبح عدو الامس حليف اليوم، وبدا الاستعمار الاجنبي منقذاً للطبقة المستأثرة بالمصالح والامتيازات، بينما غدا الشعب عدوها الحقيقي الوحيد. ولكنها لا تستطيع ان تحكم الشعب وتجاهره بالعداء، فلا بد ان تختلق عدواً وهمياً تفترض وجوده وراء يقظة الشعب ونضاله. كما ان الاستعمار اضطر امام تطورات هذا العصر وانتصارات الحرية في العالم ان يكيف اساليبه ويبدل ذرائعه، ولم يعد يجد مناصاً من الاعتراف بحق الشعوب - ومنها الشعب العربي - بالحرية والاستقلال، فكان لا بد له ايضاً من اختلاق ذريعة جديدة للتدخل، فكانت الشيوعية هذه الذريعة له وللطبقة المستغلة في بلاد العرب.

فنحن اذن امام طبقة متآمرة في الوطن العربي كله ضبط في سورية بالجرم المشهود بعض افرادها واجرائها الذين هم اجراء الاستعمار في الوقت نفسه. وقد تضحي الطبقة المستغلة بهؤلاء الافراد اضطراراً ولكنها لن تضحي بمصالحها المجرمة ولن تكف عن متابعة تآمرها. ولن يكف الاستعمار عن استخدامها في مقاومة التحرر العربي وخنق القومية العربية ما لم يطرح الشعب العربي قضيته بشكلها العميق البسيط العاري. وما لم يضع هذه الطبقة المتآمرة امام حقيقتها وجهاً لوجه ويضطرها ان تختار بين قوميتها العربية وبين الاستعمار. وعندما يفقد الاستعمار حلفاءه في داخل بلادنا لا يبقى له أي اثر في هذه البلاد. وعندما تختار هذه الطبقة ان تكون في صف الامة وان تلتزم في سياستها وتصرفاتها حدود القيم القومية، تفقد صفتها كطبقة لتعود جزءاً من الشعب العربي. فهناك وراء كل تسلط او تدخل

استعماري، ووراء كل خروج على مبادىء القومية العربية أو معاكسة لاهدافها السليمة مصالح انانية لا قومية تفسر هذا الخروج ويرتكز عليها ذلك التدخل. وحلف بغداد هو قبل كل شيء رغبة الطبقة المستغلة في الاستئثار بثروات العراق. وتآمر الوضع الرسمي في لبنان يستند قبل كل شيء الى ماتجنيه الفئات المستغلة فيه من مرابح التجزئة. والتأييد الصريح او الخفي لسياسة الحكومتين العراقية واللبنانية من قبل بعض الفئات الحاكمة في البلاد العربية يعود بالدرجة الاولى الى حرص العروش والامارات والحكام الانتهازيين على الفوائد التي هيأتها لهم تجزئة الوطن العربي. ولو أدى ذلك الى الاستعانة بالاستعمار لحماية هذه التجزئة.

وامام هذه التناقضات الفاضحة يقف الشعب العربي في نضاله القاسي ضد الاستعمار واسرائيل وهو يشاهد الغبن الذي يلحقه بقضية حريته واستقلاله ونهضته. استئثار هذه الفئات بثروات عميمة من ارض الوطن، لو خصص بعضها لقضية الوطن لما كان للاستعمار واسرائيل وجود في ارض العرب.

والقضية اذن تبقى كما اسلفنا بين القومية العربية وبين الذين يفضلون عليها وعلى تحررها وانبعاثها مصالحهم الخاصة واستمرار استغلالهم للشعب العربي. لا قضية يسار ويمين وشرق وغرب. انها قضية وطنية وخيانة. وان النضال الشعبي القومي الذي بلغ في سورية حداً من الانتشار والنضج مكنه من فضح جزء من هذه المؤامرة الواسعة فضحاً يعتبر فتحاً في تاريخ القضية العربية الحديث. لتترتب عليه مسؤوليات جسيمة لا بالنسبة الى سورية فحسب، بل بالنسبة الى القضية العربية كلها. وان الروح التي نستلهمها في حكمنا على هذه المؤامرة اما ان تكون ملتفتة الى الوراء، سجينة لمقاييس الواقع المريض، فتنظر الى المؤامرة على انها من صنع افراد بالذات انزلقوا في الخيانة لضعف في الوطنية ومرض في النفس. واما ان نستلهم مستقبل شعبنا وقوميتنا والمسؤولية التاريخية التي تقرر مصيرنا الى اجيال، فنحكم، من خلال احكامنا على اشخاص المتآمرين. على طبقة بكاملها آن لها ان تنتهي او تنصهر في تيار القومية، وعلى عقلية وضيعة جبانة كانت مصدر النكبات والخيانات منذ عشرات السنين الى اليوم. فالحكم الذي نصدره ليس هو تسجيلاً

لرأي ولا حساباً على عمل قام به الآخرون فحسب، وانما هو تعهد بعمل نفرضه على انفسنا للمستقبل. لقد حكم رجال الثورة في مصر احكاماً بدت يومئذ قاسية أقصت عن المسرح السياسي زعماء كباراً كان لهم شأن في تاريخ النضال القومي.. ومع ذلك فقد برهن رجال الثورة بالاعمال التي قاموا بها فيما بعد وبالمستوى الذي رفعوا اليه القضية القومية على انهم لم يتجاوزوا الانصاف في احكامهم، لانهم عرفوا ما تفرضه تلك القسوة عليهم من مسؤوليات وتعهدات وفوّها كل حقها.

ان الحكم على المتآمرين يجب ان يكون في جديته بداية لمقاييس وطنية اكثر سلامة ورجولة ولمستوى من النضال لايكتفي بمعاقبة الخيانة بل يقضي على اسبابها من الجذور، بالقضاء على الطبقة التي تتعارض مصالحها مع كل اصلاح وبناء.

١٨ كانون الثاني ١٩٥٧

نضال في
مستوى الاهداف والاخطار

البـلاد العـربيـة منـذ سنين عديـدة والى سنين عديـدة اخرى تجتاز مرحلة انقلاب . والانقـلاب يعني من جملة معـانيـه ان الامـة التي طرأ عليهـا التشـويـه من الـداخل والعـدوان من الخـارج لابـد، لكي تسترد السيطـرة على مقـدراتهـا، من تجميـع قواهـا السليمـة وتـركيـز جهـودها على الجوهري من الامور، حتى تتمكن من تحويل سيرها المتـدهـور الى اتجـاه صاعـد، وحتى تتفـوق فيهـا عناصر الخلق والبناء على عناصر المـوت والتخـريب. وبكلمة مختصرة: مرحلة الانقلاب تشبه حالة حرب دائمة بكل ما تعنيـه الحـرب من يقظـة وحـذر ومضـاعفـة للجهـد والانتـاج وتضحية بالكماليات واستثمـار لجميـع الامكـانيـات وتجـديـد وابتكـار في طرق استثمـارهـا. وفـوق هذا كله وضـع الخطـة الشاملة وتعيين الاهداف الواضحة وتوحيد العمل والنضال والافادة من كل نصر جزئي نحرزه في نضالنا الطويل لتغذية هذا النضال نفسه وتوسيع افقه ورفع مستواه.

والمعروف ان الطبقة المتزعمة في الوطن العربي كانت وما تزال أبعد ما تكون، سواء في تفكيـرهـا او في سلوكها واوضاعها، عن الاستجابة لشروط الانقلاب، وعن تحقيقهـا وحتى عنـدمـا توجـد البـلاد في حالـة حرب فعـلاً كمـا في حادث العدوان الاستعمـاري الاسـرائيلي الاخيـر، فان هذه الطبقـة تتصـرف لاتصـرف العـاجز عن

تحقيق متطلبات الحرب فحسب، بل تصرف المخرب المتآمر ايضاً. ولقد كان العدوان الاخير بمثابة تذكير وانذار بأن الاستعمار وحلفاءه من اعداء العرب سوف يعيدون تنظيم خططهم ويضاعفون اعدادهم لمواجهة النضال العربي الذي فاجأهم بسرعة نموه، ولكن طبقة الحكام والمستغلين في اكثر اقطارنا لم ترد ان ترى في العدوان الّا حالة طارئة عارضة انتهت بانتهاء القتال في مصر. وسرعان ما عادت الى سابق عهدها في الميوعة واللامبالاة. وترجمة هذا السلوك الى لغة الواقع الصادق الصريح هي ان هؤلاء لايعترفون بشيء اسمه ثورة الجزائر وبأن هذه الثورة ركن اساسي في النضال العربي. ان هؤلاء الحكام لايعترفون فعلاً، وان رددوا قولاً، بأن ثمة في قلب الوطن العربي دولة غاصبة غازية هي عبارة عن معسكر يهيء الحرب ويبيت الغدر. وان اتقاء خطرها واستئصال شرها لن يأتيا عفواً بل باعداد مماثل لاعدادها او يزيد. وفي العراق وضد شعب العراق مؤامرة استعمارية كبرى تهدد الامة العربية كلها انكشف امرها منذ ان ولد حلف بغداد. وفي لبنان والسودان وتونس ومراكش مؤامرات تجمعها بحلف بغداد اواصر القربى الاستعمارية والكيد للعروبة. وفي السعودية واليمن وامارات الخليج استعباد وجهل واحتلال وتنكيل. وكل هذا يستدعي لاتوحيد النضال فحسب، بل توفير وسائل النضال ايضاً وذلك بتضحية العديد من النواحي غير الاساسية في حياتنا لتركيز معظم الجهود على الامور القومية الحيوية التي تقرر مصيرنا وبقاءنا.

كثير من الدلائل تشير الى ان الاستعمار قد خرج من محنته الاخيرة متعظاً يحاول تسوية خلافاته الداخلية وتوحيد جبهته ضد الوطن العربي، وان يبرز هذه المرة بخطط أكثر احكاماً، ووجه اقل تنفيراً، أي بخطط السياسة الاميركية ووجهها. والجواب اللائق بهذا الهجوم الجديد ان ننتقل الى مرحلة أعلى وأنضج في توحيد النضال العربي نجسد بها ايماننا بوحدة أمتنا تجسيداً عملياً واعياً فنضع قضايا النضال العربي فوق القضايا والحاجات المحلية بشكل يخدم القضية القومية الكبرى. وهذا يفترض وضع خطة شاملة بعيدة النظر والمدى تعالج الحاضر على هدي المستقبل القويم

الذي نسعى اليه، وتعيين المراحل والامور المستعجلة المعالجة والامور التي يمكن تأجيلها. ولن تجدي هذه الخطة ما لم نقتنع ونسلم بدئياً بهاتين المسلّمتين: اولاً، ان هذا المستوى الجديد من النضال لايقوم بغير تضحيات جدية تتحملها الفئات والاقطار ذات الحظ الوافر من الثروة والامكانات. ثانياً، ان هذا المستوى الجديد لايمكن ان يتحقق بعدالة توزيع المسئوليات والواجبات فحسب، بل ايضاً بزيادة امكانات الاقطار العربية وتفجير طاقة الشعب فيها باعادة النظر في الاسس والانظمة الاجتماعية الراهنة التي لايمكن ان تعطي اكثر مما اعطت حتى الآن.

ولقد جاءت اتفاقية التضامن العربي بداية صالحة تنبيء عن شعور عام بالحاجة الماسة الى الارتفاع بالقضية العربية، الى مستوى وحدة المصير والتكافل في الاخطار والاعباء ولكنها رغم ذلك بداية صغيرة ومحدودة كانت تلبية للضغط القريب المباشر على الاقطار التي اشتركت فيها. ولايمكن ان نطمئن الى صدق هذه التلبية الا عندما يصبح اهتمام المسؤولين في هذه الاقطار بواجب التضامن القومي مع ثورة الجزائر مثل اهتمامهم بحرية الاردن.

ان وصول بعض العناصر النضالية نتيجة لنمو الوعي العربي الشعبي الى مراكز الحكم في مصر وسورية والاردن، لئن كان له أثر وفضل في تحقيق بعض الخطوات في مجال التحرر والتمهيد للوحدة، فان له ايضاً محذوراً يجب التنبيه اليه. فوجود هذه العناصر النضالية في الحكم قد يخلق في نفس الشعب بعض الاطمئنان والتخدير، وقد يدخل في قناعة الشعب ان ما لم تستطع هذه العناصر تغييره هو بطبيعته غير قابل للتغيير، فتتشوّه نظرة الشعب الانقلابية، ويتزعزع ايمانه بأمته وقدرتها. ليس النضال مجرد شعارات عن التحرر ولا هو يكتفي بمعارك السياسة الخارجية. ان للنضال كثافة تمتد الى حياة أبسط مواطن في أصغر قرية والى شروط هذه الحياة ووسائلها، لأن منها ومن مثيلاتها تتكون قوى الامة وطاقتها، فاذا لم تتمكن العناصر النضالية ان تؤثر في الحكم بالشكل الذي يوجد للشعارات التحررية الانقلابية جسماً تتغذى منه، واذا لم تبدل في الاوضاع وتخلق من القوى ما يسمح

بالتكـافؤ مع مهمـة تحـرير الوطن العربي وتوحيده والتغلب على العراقيل التي يضعها الاستعمـار وحلفـاؤه وعمـلاؤه في طريقها، فان ابتعادها عن الحكم يكون أدعى الى تنبيه الشعب واحتفاظه بسلامة اتجاهه وحيوية نضاله.

٢٥ كانون الثاني ١٩٥٧

ثورة الجزائر
معجزة العرب في هذا العصر

يتساءل بعض النظريين المتحذلقين قائلين : هل اتجاه الثورة في الجزائر اتجاه عربي واضح ، وهل تقوم هذه الثورة على الايمان الصريح بالأمة العربية وبأن الجزائر جزء لا يتجزأ منها؟ وكان الاجدر بهؤلاء وامثالهم ان يعكسوا السؤال ويقولوا : هل بلغت الاقطار العربية في وضوح الاتجاه القومي وعمق الايمان بالعروبة ذلك المستوى الرفيع النادر المثال الذي حققه شعبنا في الجزائر؟ اذ هل العروبة في اعمق وأصدق معانيها الا النضال في سبيل الحرية؟ الحق ان الجزائر في ثورتها تمثل الأمة العربية بأحسن ما فيها ، أي في مستقبلها المشرق المرتقب. لقد كانت هذه الثورة تحدياً للعرب قبل أن تكون تحدياً للاستعمار. لقد تحدت طموح العرب وإيمانهم بقوميتهم ووحدتهم في كل قطر من اقطارهم. حددت لهم المستوى اللائق بامكانياتهم العديدة التي لم يجرؤوا بعد على تفجيرها كلها واطلاقها من عقالها ، واحرجتهم في الاختيار بين التنازل عن ادعاءاتهم وآمالهم العريضة وبين أن يؤيدوها ويضمنوا جديتها بالبذل والعمل والجهاد ، ووضعتهم هذه الثورة اخيراً في موضع الخوف والخطر الجدي على البقاء ، وما على العرب الا أن يقاوموا الخوف بالجرأة ، والا أن يدفعوا الخطر بالتضامن ، تضامن الخائف على بقاء أمته. وهذا ما فعله عبدالناصر ايضاً عندما أمم القناة فأثار رعب الوحش الاستعماري وشهوته للدم ، وجعل

بذلك العرب في شتى اقطارهم يعون تلك اللحظات الخصبة المبدعة، لحظات الحياة الخطرة التي تربي الشعوب وتصنع المعجزات.

واما الخطر الجدي الذي يتهدد الأمة العربية نتيجة لثورة الجزائر، فهو ان الاستعمار، بعد ما شهده من بطولة شعبنا في الجزائر ومن امكانياته النضالية الخارقة، لم يعد ليقنع ويكتفي بحشد جيوشه وكل اسلحته الفتاكة للقضاء على هذه الثورة، بل لا بد له لكي يطمئن على المستقبل من ضرب العروبة وتمزيقها في كل مكان، لان الاستعمار يدرك اكثر من بعض العرب ان ثورة الجزائر هي ثورة الامة العربية.

انه يعلم ان ثورة الجزائر ثورة كلية، تعطي لحرية الانسان وكرامة الانسان كل معانيهما، وان انتصار هذه الثورة سيدك قواعد الاستعمار في كل العالم. انه يعلم ان ثورة الجزائر ثورة عربية تضع للعرب قيماً جديدة وترفع مستوى النضال العربي وطاقته في كل قطر من اقطاره.

ولهذا فقد اطلق الاستعمار الغربي يد المستعمرين الفرنسيين في الجزائر ودعمهم بكل وسائل التخريب والافناء. والاستعمار الفرنسي الذي يعرف حقيقة هذه الثورة ومراميها، لا يحاربها على ارض الجزائر وحدها، بل يحاربها في قناة السويس وفي قلب الوطن العربي، في فلسطين. ولهذا تقف اليوم فرنسا وقد ربطت مصيرها ومصير اسرائيل في سياسة واحدة تحرضها على العدوان وتدعمها في كل شيء.

فليس العرب مخيرين اذن في هذه المعركة وفي نصرتهم لاخوانهم في الجزائر، وليس الامر امر عطف وعون لهؤلاء الاخوة، بل دفاع عن المصير الواحد. لذلك يجب ان يرتفع وعينا لهذه القضية الى مستوى خطورتها الحقيقية، وان تصبح قضية الجزائر ونجاح ثورتها في رأس قضايانا القومية، وأن نعبر عن ذلك تعبيراً عملياً بتخصيص قسم جدي من موازنات الحكومات العربية للدفاع عن هذه الثورة، كما تخصص هذه الحكومات المال لتسليح جيوشها وتأمين الخبز لافراد شعبها.

١٧ آيار ١٩٥٧

اصالة الاتجاه العربي تفرض عنف المعركة

ليس مثل العرب في هذا العصر، شعب أقام نهضته وثورته على أسس انسانية أصيلة تأبى الزيف وترفض المساومة. وهم يقيسون بمقياس واحد سواء في موقفهم من أنفسهم ومن امراض مجتمعهم وعناصر الضعف والخيانة فيه، او في موقفهم من المستعمرين والغاصبين. ليس غير العرب شعب ألجأ دول الغرب الاستعمارية التي ظلت عشر سنوات تسخر هيئة الأمم ومبادىء القانون الدولي لمصالحها، الى الخروج الصريح على مبادىء هذه المنظمة في الجزائر والعودة الى اساليب القرن الماضي في عدوانها المسلح على مصر، بعد ان أمم عبدالناصر شركة القناة. وليس غيرهم شعب او صلت ثورته العميقة الحاسمة في الجزائر حزباً اشتراكياً إصلاحياً كبيراً كالحزب الاشتراكي الفرنسي الى ان يرتكب من اساليب القمع والتعذيب والغدر ما قصرت عنه اكثر الحكومات رجعية ويمينية، ففضح بذلك زيف «اشتراكيته» امام العالم كله. وليس غير شعبنا شعب استطاع بقوة ايمانه وحقه وصموده في نضاله ان يفضح في وقت واحد خرافة الصهيونية وكذب اهدافها الانسانية السلمية وفساد دول عظمى واحزاب وفئات تقدمية خطيرة الشأن استطاعت الصهيونية ان تشتريها بالمال او تستحوذ عليها بوسائل الاعلام لمناصرة عدوانها على حق العرب الواضح كالشمس. وليس أخيراً غير شعبنا شعب ألجأ دول الغرب المتمدن وعلى رأسها

الولايات المتحدة الى تمزيق براقع مدنيتها المادية الموبؤة بجشع المصالح وشهوة الاستعمار عندما اعلنت تأييدها لكل ما هو عفن فاسد متخلف في مجتمعنا العربي، لتحارب به تباشير النهضة العربية التقدمية النظيفة متمثلة في ثورة مصر وحركة سورية الشعبية.

اما في داخل امتنا ووطننا، فان ثورتنا تسلك نفس الطريق الواضح الحاسم فتغنى في كل خطوة تخطوها، يوماً بعد يوم، بعديد القوى التي يوقظها وضوح الثورة وعمقها على أعمق ما فيها من استعداد للخير والرجولة، بينما تحرج الفاسدين والمزيفين وتضطرهم الى الانفضاح.

لقد ظل الحكام والزعماء زمناً طويلاً يستغلون الدعوة الى الوحدة العربية عندما كانوا يعلمون انها لفظة للتخدير وحلم بعيد المنال، وكانت الجامعة العربية اداتهم في التخدير والتعطيل والابقاء على مصالحهم المتمشية مع التجزئة. ولكن لم تكد تظهر بوادر الوحدة الحقيقية وتتهيأ شروطها لمصر وسورية والاردن حتى آثر مستغلو التجزئة الارتماء في احضان الاستعمار والوقوف ضعافاً امام اسرائيل، وهم اليوم يطالبون بعودة الجامعة العربية، ليجعلوها من جديد سداً في وجه موجة الوحدة والحركة الشعبية الجارفة التي تحملها.

وطوال سنين عديدة ظل ارباب المصالح يستغلون الجهل والتعصب لتفرقة الامة ومنع تحررها وتقدمها ووحدتها، متذرعين بذرائع مختلفة: فدعاة الطائفية في لبنان يبنون حجتهم في الانفصال عن جسم العروبة على تخلف المجتمع في الاقطار العربية الاخرى وما فيه من تعصب وجهل. والعناصر النفعية في هذه الاقطار كانت تقاوم الحركة التقدمية بحجة مقاومة الفساد والانحلال. ولكن جميع هؤلاء يلتقون اليوم على صعيد واحد في مقاومة شيء واحد هو العروبة السليمة المتحررة لان فيها قضاء على استغلالهم ونفعيتهم. فحكام لبنان الطائفيون، والمتاجرون بالدين في سورية والاردن، والملوك المجوعون لشعبهم والمحتكرون لثروات الوطن يلتقون ويوحدون جبهتهم مع الاستعمار ومن ورائه اسرائيل، ليقضوا على اتجاه القومية العربية المتحررة التي لا مجال فيها لتفرقة دينية اوعنصرية ولا لاستغلال او انحلال او

فساد.

وما كان الاستعمار في الخارج، ومستغلو الشعب في الداخل ليتناقضوا مثل هذا التناقض، ولينفضحوا الى هذا الحد لو لم تكن ثورة الشعب العربي واضحة الاتجاه لا تسمح بالمواربة وانصاف الحلول، ولو لم تكن قد بلغت حداً حاسماً من القوة والنضج يفرض على اعدائها ومعيقي سيرها ان يستبقوا الزمن ويستعجلوا نهايتهم.

لقد دخلت الامة العربية مرحلة الفاعلية والخلق. وليس بمقدور احد من ابنائها اومن شعوب العالم ان يتجاهل وجودها اويقف منه موقف الحياد والانفعال. وكما انها تفرض الخوف والعداء على الطامعين بها والمعرقلين لثورتها فانها كذلك تفرض الحماسة والتأييد والولاء على جميع الذين في الداخل اوفي الخارج - يرون في هذه الثورة - ضمانة لسعادتهم وانسانيتهم.

٢٣ آيار ١٩٥٧

المعركة الداخلية والمعركة الخارجية
وجهان لمعركة واحدة

الى ما قبل سنوات، كان الامر في وطننا العربي بيد الملوك، المنحلين والرؤساء المتغطرسين الغرباء عن الشعب، وكانت بالتالي القضية العربية مهملة منسية من العالم لا تتعدى نطاق وزارات المستعمرات في الدول الكبرى، وكان حق العرب ضائعاً بين المذكرات والاحتجاجات والخطب المملولة في المحافل الدولية.

ومنذ سنوات شق ابناء الشعب في بعض اقطار وطننا طريقهم الى القيادة ودخل الشعب ساحة النضال الجدي من ابوابه الواسعة في الجزائر ومصر وسورية والاردن، وتكلم التاريخ الحي على لسان بن بللا وعبدالناصر وغيرهما من ابناء الشعب المناضل، واذا بقضية العرب تنتقل من الدفاع الى الهجوم، ومن الوسط الاقليمي المعزول الى الوسط القومي فالوسط العالمي، واذا بانتباه العالم يتركز علينا لانه ادرك ارتباط مصيره بمصيرنا.

فالامة العربية لم تقترب اليوم من المستوى الانساني الا عندما اقتربت من الصدق والاقدام في مواجهة مشاكلها الخاصة الاساسية، وهي لم تحرك ضمير العالم وشعوبه الا عندما تحرك الشعب العربي ودخل ساحة النضال، ولا هم للاستعمار اليوم في خطته الجديدة الخبيثة الا ان يحولها عن هذا الطريق السليم فيضع العوائق المختلفة ليمنعها من استكمال معالجتها لمشاكلها، كما انه يستخدم

كل وسائل القمع والتآمر والافساد ليرجع الشعب العربي الى عزلته وسجنه، والى قبضة الملوك والحكام العملاء.

ولكن التاريخ لن يعود الى الوراء. وهذه المكاسب السطحية التي حسب الاستعمار انه حققها في السعودية والاردن بدفعه ملكيْ هذين القطرين الى الانقضاض على قومية الشعب العربي وحريته، وعلى السياسة العربية التحررية، لم تكن في الواقع الا غذاء جديداً قوياً لهذه السياسة التحررية، زاد في انسجامها وتماسكها، كما زاد في وضوح وعي الشعب وصلابة نضاله. .

وهكذا حققت المعركة القومية كسباً جديداً اساسياً بالنسبة الى هذه المرحلة، وهو عزل الملوك نهائياً عن قضية الشعب ومصلحته. وكلما اشتد ضغط الاستعمار ودفعه الذعر على مصالحه الجشعة الى ابتكار الوان من التآمر والفساد، كلما حولت معركة النضال العربي هذا التخريب الاستعماري الى مناسبة بنّاءة لترتفع فوق نفسها وتضع يدها على مرض لم يكن واضحاً ومحدداً. فثمة شيء جديد قد تم نتيجة للمؤامرات على الاردن والانتخابات الفرعية في سورية المرتبطة مباشرة بتلك المؤامرة. فكما ان وعي الشعب العربي قد صنف الملوك نهائياً في صف اعدائه، كذلك فان هذا الوعي قد حكم نهائياً على ذلك المرض القديم المزمن الذي هو المتاجرة بالدين، واستغلال دعوته الخيرة ومبادئه السامية في خدمة الاجنبي ومصالح بعض الرأسماليين وطغمة الملوك وحاشيتهم من الفاسدين المنحلين. واكثر من هذا وأعمق اثراً، ذلك التبدل العميق الذي بدأت تظهر بوادره في لبنان نتيجة لتورط الاستعمار وعملائه في هذا القطر في الامعان باستغلال وضعه الطائفي المريض بشكل مفضوح لم يسبق له مثيل. وكانت النتيجة ان استيقظ الشعب في لبنان لاول مرة على كرامته ومصلحته، وانكشفت بالبرهان الحي اضاليل الاستعمار والعملاء والمغامرين المتاجرين بالقيم الروحية والحضارية، وبدأ شعبنا هناك يلمس ويتبين على وهج المعركة تناقض الادعاءات الروحية والحضارية مع سياسة افساد الضمائر وامتهان حرية الانسان وكرامته، وكل اساليب الضغط والقمع والكذب المتبعة، واتصال هذه السياسة بمحاولات انعاش الرجعية السياسية والاجتماعية والطائفية في

الاقطار العربية التي يسير لبنان الرسمي في خط حكوماتها.

لقد مضى الزمن الذي كانت فيه القضية العربية سلبية منفعلة خلواً من المبادىء الأصيلة، تلتزم موقف الدفاع ودفع التهم. في ذلك الحين كانت حجج الاجنبي والطائفيين والعملاء في لبنان تنتصر بأيسر السبل. اما اليوم، بعد ان اتضحت معالم الانبعاث العربي في طريقه الجديدة واقترنت قضية العرب بقضية حرية الانسان وتقدمه، فقد غدا واجباً على الاستعماريين الاجانب وعلى الطائفيين والنفعيين ان يدافعوا هم عن انفسهم ويبرئوا أغراضهم. على فرنسا وزبائنها أن يبرروا الوحشية والغدر الدنيء الذي يتبعه الاستعمار الفرنسي في الجزائر وان يبرئوا انفسهم امام شعبنا المجاهد هناك والذي يقدم مئات الالوف من الشهداء ذوداً عن كرامته وكرامة الانسانية. على بريطانيا وزبائنها أن يبرروا عدوانهم التاريخي على مصر. على الولايات المتحدة زعيمة الديمقراطية الغربية وزبائنها أن يبرروا دعمهم لحرب فرنسا في الجزائر ولحكومات حلف بغداد واشتراكها المفضوح في المؤامرة على شعب الاردن المناضل في سبيل حريته وتحالفها مع المملكة السعودية ضد كل حركة تقدمية في البلاد العربية، وعليهم ان يبرئوا انفسهم امام الوف المعتقلين في سجون الاردن والعراق وأمام القتلى الذين سقطوا بالأمس في لبنان لأنهم استنكروا أن تشرى الضمائر بالدولار.

مادام الشعب العربي يدفع الثمن كل يوم من دمه وعرقه بالنضال والبناء فهو صاحب الحق في ان يحمل رسالة القيم الانسانية وان يقاضي مستعمريه والمعتدين عليه الذين يقيسون بمقياسين: لأنفسهم وللشعوب الصغيرة. ان صمود الامة العربية في هذه المعركة لن يضمن البقاء والارتقاء لها وحدها فحسب بل سوف يفضح زيفاً عميقاً في حياة دول الغرب ويصحح قيماً غالية على البشر.

ان معركة الامة العربية قد بلغت نضجها وتوازنها. فهي معركة واحدة واضحة خلاقة، لا فرق فيها بين نضالنا ضد الاستعمار ونضالنا ضد أمراضنا في الداخل. بين دفع الاخطار الخارجية ورفع بنيان النهضة الداخلية، بين عملنا لقوميتنا وحريتنا وبين مساهمتنا الفعالة في تحرير العالم وتجديد قيم الانسان الخالدة. وأمتنا اصيلة في

نزوعها، غنية في امكانياتها. ومن يؤمن بهذه الاصالة ويثق بهذه الامكانيات يطلب المضي في هذه المعركة التاريخية الى نهايتها ويطلب باستمرار مزيداً من الوضوح والحسم فيها.

٣١ آيار ١٩٥٧

الجزائر وفلسطين
جناحا ثورة العرب وضمانة نصرها

ان ما حدث في لبنان منذ اسبوع ليس بالشيء الذي يمكن ان نمر به بدون اهتمام، ليس لبنان هو الوحيد بين اقطارنا العربية القطر الذي تزوّر فيه ارادة الشعب ويفرض عليه الانحراف. ولكن الذي كان يحز في نفوس العرب هو ان التزوير والانحراف لا يمكن فرضهما في الاقطار الاخرى الا بالقوة الغاشمة وبأفظع انواع الارهاب والتعذيب رغم ما ينتاب الشعب في بعض هذه الاقطار من تأخر وجهل وضعف في الوسائل. في حين ان ذلك كان يتم دوماً في لبنان بيسر وسهولة وضمن مظاهر الحرية والديمقراطية دونما حاجة الى الاصطدام والقمع. وكان في ذلك دليل واضح على خطورة المرض وعمق التشويه الذي تفشى في لبنان العربي. كان هذا حتى الاسبوع الاخير، واذا لبنان القطر المتخلف في وعيه القومي رغم تقدمه الفكري والاجتماعي يهتز ويصحو ويرتفع الى مستوى الوعي والكرامة ويفرض شعبه على الحكام والعملاء ان يخرجوا عن هدوئهم الخادع ويلبسوا لبوس زملائهم العملاء والخونة في العراق والاردن، ويتحول الحكم الديمقراطي في لبنان الى حكم بوليسي ارهابي يقتل المواطنين في الشوارع ويملأ بهم السجون. فلئن كان ما حدث في الاردن منذ شهر من تنكيل بالشعب وقمع لحرياته يعتبر الى حد ما نكبة عارضة في تاريخ الوثبة العربية التحررية فان التنكيل بشعب لبنان وقمع حرياته يعتبر ظفراً كبيراً

لهذه الوثبة وثمرة من أينع ثمراتها وتعويضاً عن النكسة التي حلت بالاردن.

وفي هذا تعبير قوي عن صحة الاتجاه الثوري وعن عمق تجاوبه مع أوضاع الشعب العربي في جميع اقطاره، وعن الامكانيات اللامتناهية التي تكمن في شعبنا والتي لا توقظها وتحركها الا السياسة المستمدة من طبيعة الشعب اي السياسة الثورية. ولقد يفرض منطق الحوادث على هذه السياسة بعض العثرات والخسائر، ولكن قدرها ان يكون ربحها اضعاف خسارتها وان تفاجأ بالعون والتأييد يأتيانها من حيث لم تكن تتوقع، وانها اذا خسرت حاكماً أو ملكاً فلكي تربح جمهوراً وشعباً.

واذا وعى العرب طبيعة مرحلتهم حق الوعي فانهم سيتخلصون من كثير من المخاوف والوساوس ودواعي التردد ويزدادون ثقة بصحة سيرهم واقداماً فيه. فطبيعة المرحلة التاريخية التي يمر بها العرب تتوضح ملامحها ويتحدد اتجاهها من ظاهرتين خطيرتين في حياة العرب الحديثة هما نكبة الجزائر ونكبة فلسطين. فالنضال العربي بمستواه الثوري الحاسم، والمستقبل العربي بمبادئه الانسانية الشاملة قد كتبت سطورهما الاولى ورسمت صورتهما المقبلة في هذين الجرحين من قلب الامة العربية، الجزائر وفلسطين، حيث جرب العرب أعمق ألم انساني. والامة التي تقدر عليها مثل هذه التجربة، لايمكن الا ان تعطي اعمق ما عندها من الخير والابداع. ومادامت الامة واحدة وما دمنا حريصين على وحدتها وموضحين لوحدة قضيتها فلا بد للأجزاء الاخرى من ان تتفاعل وترتفع الى مستوى الاجزاء الأكثر ألماً وثورية.

لقد تجمع الظلم البشري في هذا العصر وصوبته يد الاستعمار على الشعب العربي والارض العربية في موضعين، فقال الاستعمار الافرنسي لشعبنا في الجزائر أنت افرنسي وارضك قطعة من فرنسا. وبعد قرن وربع القرن من التقتيل والتنكيل وحرب الابادة يقول شعب الجزائر لفرنسا والعالم اجمع انه مازال شعباً عربياً وارضه ارضاً عربية، ولكن فرنسا هي التي فقدت شخصيتها وأنكرها شعبها وضيعت ارضها روابطها الحية بسكانها حتى امسوا بدافع النفع والجشع يضحون بكرامتها وقيمها في سبيل الاحتفاظ بأرض غريبة تدر عليهم الربح، فالارض بالنسبة الى المستعمرين الافرنسيين هي التي يثرون منها لا التي يموتون من اجلها كما يفعل شعب الجزائر كل

يوم .

وفي فلسطين تعاون الاستعماريون مع الصهيونية على اجلاء شعبنا عن ارضه وقالوا وما زالوا يؤكدون ان اسرائيل وجدت لتبقى ، ولكن الشعب العربي يجيب على قولهم في فلسطين ومصر وسورية وكل بلد عربي ولم تمض على النكبة عشر سنوات : ان اسرائيل وجدت لتزول وليزول معها الاستعمار ايضاً .

لقد قصد الاستعمار الافرنسي من وراء الحاق الجزائر بفرنسا ان يقطع اوصال المغرب العربي ليسهل عليه ابتلاعه قطعة بعد اخرى ، فاذا بهذا الالحاق يخلق الخميرة القومية الثورية لتحرير المغرب وتوحيده . وقصد الاستعمار الغربي ، مجتمعاً ، من وراء خلق اسرائيل ان يفصل بين اقطار المشرق العربي ويقطع الطريق على وحدتها . فاذا بوحدة المشرق العربي والوحدة العربية كلها تولد ولاده حية فعالة من نكبة فلسطين .

ولقد ولدت ايضاً في حياة الامة العربية معان وافعال كثيرة عميقة من هذا الظلم الذي تجمع وانصب على الجزائر وفلسطين ، فوقف العرب من اعدائهم وقفة المدافعين ، ولكنهم في الوقت نفسه وقفوا من مجتمعهم البالي واوضاعهم الفاسدة وعقليتهم القديمة وقفة المهاجمين الجريئين يعيدون النظر في كل شيء ويتحرون الصدق ويطمحون الى الاسس المتينة والقيم الشاملة . وهكذا حملت ثورة الجزائر من المعاني الايجابية ما فرض احترامها على جميع احرار العالم وما فرض بالتالي على حكومة فرنسا الاشتراكية ان تخون مبادئها الاشتراكية الانسانية وتفضح زيفها وتناقضها . وهكذا حملت انطلاقة شعب الاردن في العام الاخير من الحيوية والصلابة مازعزع الاستعمار العالمي في كيانه ، وما اضطر زعيمته الولايات المتحدة ان تكشف عن هويتها الاستعمارية العدوانية بشكل فاضح رخيص عندما عبأت أموالها واسطولها لصد انطلاقة قطر صغير كالاردن .

وفي لبنان ايضاً بذور وامكانيات للألم والثورة ولو انها من نوع مختلف . ففيه وعند بعض فئاته تجمعت عوامل السلبية والتشكك في اصالة الامة العربية وفي قدرتها على الانبعاث . وفيه تجمعت رواسب الانهزامية في النفس العربية والمحاولة

اليائسة لشعب يريد ان يتخلص من ضعفه فيحاول انكار شخصيته والتبرؤ من قوميته، ولكن لبنـان تحـرك اخيـراً ولأول مرة تحـركـاً ايجـابيـاً ليس فيـه مرض ولا فرار من المسؤوليـة. والفضـل في ذلـك يعـود الى الاتجـاه الثوري الذي تجسد في السياسة العـربيـة التحـرريـة والذي يستمد معينه من ألم العروبة في الجزائر وفلسطين. فلقد شطـر هذا الاتجـاه الجـديد المجتمع العربي الى شطرين كما شطر العالم ايضاً الى قديم وحـديث، وانهـارت قيم دول الغـرب امام ثورة العرب وتحالفت هذه الدول مع كل ما في المجتمـع العـربي من قديم وفاسد لتمنع ولادة المجتمع العربي الجديد، فلم يعـد جائـزاً ولا معقـولاً ان تظـل فئـات مخـدوعـة ومكـابـرة حتى في لبنان تنشد الخـلاص عن طريق تقليـد الغـرب والتبعية له بدلاً من ان تتعرف الى طريقها القويم وتضم جهودها وآمالها الى جهود وآمال الملايين من ابناء الشعب العربي الذين يبنون الحياة الجديدة.

وما دمنا امناء للمستوى الذي يحدده لنضالنا وبناء مستقبلنا عمق آلام شعبنا في الجزائر وفلسطين فلن يخرج حتى لبنان من حظيرة العروبة.

٧ حزيران ١٩٥٧

صراع العرب مع الاستعمار والصهيونية

كانت جريدة «الجمهور» قد وجهت إلى الاستاذ ميشيل عفلق بضعة اسئلة، عن الوضع الذي انتهت اليه القضية العربية، في داخل الوطن العربي، وعلى الصعيد الدولي اثر الأحداث التي تتالت في السنتين الاخيرتين، وعن حقيقة الخطر الذي يهدد الأمة العربية وجميع الشعوب المناضلة في سبيل تحررها من جراء تساند الاستعمار والصهيونية العالمية واسرائيل، واعتماد هذه القوى على الرجعية المتآمرة في الداخل، وعن الاسس التي يجب أن يعتمدها العرب في درء هذا الخطر[1].

* * *

أولاً - ماهي بنظركم ملامح المرحلة التي وصل اليها صراع العرب مع الاستعمار والصهيونية؟

لابد لنا قبل تحديد ملامح المرحلة الراهنة من الصراع بين العرب من جهة والاستعمار والصهيونية من جهة أخرى، لابد لنا ان نذكّر بما تم من احداث خلال السنة الاخيرة.

بالنسبة للوطن العربي نجد انه حقق أولاً: بروز الشعب العربي كتلة واحدة الى

---

(١) جريدة البعث، العدد ٦٣، ٢٧ تموز ١٩٥٧.

ميدان الصراع ضد أعدائه.

ثانيـاً: ازديـاد في الوعي والنضال والتضامن المتزايد والتنظيم بين اجزاء الشعب العربي في مختلف الاقطار من فوق الحدود ومن فوق الحكومات. وهذا ما يعبر عنه بالسيـاسـة العـربيـة التحررية التي تؤمن بأن الاستعمار والصهيونية هما الخطر الأكبر على وجـود الأمـة العـربية. وبالتالي ان تركيز كل الجهود على النضال ضد الاستعمار والصهيونية هو أول واجب قومي على العرب في هذه المرحلة يلتقون عليه ويضحون في سبيل القيام به بكل الخلافات والاعتبارات.

امـا بالنسبـة للوضـع العـالمي فقـد ظهـر بوضـوح خلال العام الاخير ان هجوم الاستعمـار والصهيـونيـة على البلاد العربية ومحاولاتهما المتكررة، سواء بالعدوان او بالتـآمـر. او بالتـركيز على سياسة الاحلاف لتثبيت اقدامهما وتنفيذ مآربهما في البلاد العربية، ظهر بجلاء ان هذا كله مصدر للخطر على السلم العالمي، وبالمقابل فقد برز النضـال العـربي التحـرري الممتـد من الجـزائر إلى الخليج العربي كقوة عالمية ايجابية اشعرت جميع الشعوب، المتحررة حديثاً من قبضة الاستعمار، والتي لاتزال تنـاضـل في سبيـل التحـرر. وجميـع الشعـوب المتعلقـة بالسلم كوسيلة ضروريـة لانصـرافهـا الى البناء والتقدم داخل مجتمعاتها. اشعرت كل هؤلاء بوحدة المصلحة والمصيـر مع الحـركـة العـربية التحررية. وهكذا يمكن القول بأن هذه المرحلة التي بلغهـا العـرب في نضـالهم التحـرري قد توفـرت لها لأول مرة في تاريخ هذا النضال جملة شروط من الـوعي والـوضـوح والقـوة والانسجـام مع الاتجـاه الانساني جعلتها تفرض نفسها على اعدائها واصدقائها على السواء في الداخل والخارج، فلم يعد من الممكن ان تشـذ حكـومـة عربيـة اوفئـة أوحزب عن طريق هذا النضـال التحـرري الـواضـح الأهـداف، دون ان ترتمي اضطـراراً وبصـورة آليـة في صف الاستعمـار والصهيونية، وان تقف موقف العداء من الشعب العربي؛ كما لم يعد ممكناً لأية دولة او حركة في العالم ان تقاوم وحتى ان تتجاهل شرعية النضال العربي دون ان تقع في صف الرجعية والاستعمار وتعرض السلم العالمي للخطر.

منذ سنتين ذهب العرب الى مؤتمر باندونغ ولم يكن من بين الدول العربية سوى مصر وسورية اللتين اشتركتا بشكل ايجابي الى حد ما في وضع مبادىء باندونغ . مع ان حزبنا كان دوماً ينادي بهذه المبادىء ومع ان ثورة مصر قد وجدت مبرر وجودها في هذه المبادىء . ولكن لم يكن لها ذلك الأثر الفعّال . اما عندما اخذت الاقطار العربية المتحررة سورية ومصر ثم الاردن تمارس بجرأة وجد سياسة التحرر والحياد الايجابي ، اتجهت دول باندونغ بأنظارها صوب النضال العربي الذي حمل لواء تحقيق مبادىء باندونغ في تحرير شعوب آسيا وافريقيا وتوطيد دعائم السلم العالمي .
وقد كان العرب قبل سنتين كمية مهملة بالنسبة للدول الاشتراكية كالاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ويوغوسلافيا ، اما اليوم فقد أصبحوا موضع اهتمام جدي من قبل هذه الدول ليس كما تحاول الدعاية الاستعمارية في التظاهر بأن اهتمام هذه الدول بالبلاد العربية هو اهتمام مصالح توسعية ، بل انه الى حد كبير اهتمام مصلحة مشتركة في دفع خطر الحرب وفي زيادة امكانيات النضال العربي . كذلك قبل سنتين كان زيف الحركة الاشتراكية في اوروبا الغربية وخاصة في فرنسا غير معروف وغير واضح ، ولكن النضال العربي في الجزائر هو الذي فضح هذا الزيف امام العالم وامام الفرنسيين انفسهم . وقبل سنة كان ارتباط الصهيونية واسرائيل بالاستعمار امراً مجهولا لدى قسم كبير من شعوب العالم وفئاته التقدمية . ولكن نضال الشعب العربي في مصر وسورية والاردن اضطر اسرائيل والصهيونية إلى فضح هذه العلاقة الوثيقة والى ان تظهرا على حقيقتهما : الصهيونية كحركة توسع وعدوان واسرائيل كقاعدة واداة للاستعمار والعدوان . إذن يوجد في المرحلة الحاضرة موقفان للحركة العربية التحررية ، موقف في الداخل وآخر في الخارج وقد وجد هذان الموقفان بقصد مواصلة النضال ضد الاستعمار والصهيونية .

موقف في الداخل

يعتمد هذا الموقف التركيز على هذا النضال التحرري ضد خطر الاستعمار والصهيونية المتحالفين المتداخلين ، هذا من جهة ومن جهة ثانية التوسيع من رقعة

هذا النضـال وجبهتـه في اجـزاء الوطن العربي ، حتى يضم أكبر عدد ممكن من افراد الشعب العـربي بمختلف فئـاتـه وطبقـاتـه في عمل منظم موحد. فهذه المرحلة هي بالدرجة الأولى مرحلة تحرر قومي ومعنى ذلك ان الاكثرية الساحقة تستطيع ان تشارك في هذا النضال وتلتقي على اهدافه رغم اختلاف المصالح والاتجاهات، إذ لم يحن الوقت بعد لتحقيق الوحدة العربية الشاملة ولتطبيق النظام الاشتراكي الكامل. ولكن هذا الالتقـاء على هدف التحـرر لكي يكـون مخلصاً ويكون النضال في سبيله جدياً مجدياً لابد من ضمانتين تضمنان اخلاصه وجديته، وذلك بأن يرافقه تحقيق مرحلي واقعي لخطـوات عمليـة في طريق الـوحـدة، وفي مجـال الاصلاح الاجتماعي لرفع مستـوى جمـاهير الشعب الاقتصادي ، فمرحلة التحرر هي مرحلة ثورية ولكنها بداية ثورة وليست الثورة الكلية.

موقف في الخارج

ولكي تكـون الحـركة العربية التحررية مستقيمة السير ومضمونة النجاح في هذه المرحلة فيجب ان يكون لها موقف خارجي ودولي منسجم مع مصلحتها ومع الاتجاه الانسـاني السليم. فعـدو الحـركـة العـربية التحررية هو الاستعمار والصهيونية وليس الغرب كشعوب، وبالتالي فإن سياسة الحياد الايجابي هي التي تقي الحركة العربية التحـرريـة من الانـدفـاعـات وردود الفعل السلبية التي تقودها الى الانحياز فتضعف بذلـك امكـانيات السلم العالمي ، كما تضعف امكانيات سيرها في طريقها الخاص المستقـل. ولقـد انتهت الان الى الفشـل حملة الـدعـايـة الاستعمـاريـة الصهيونية المضللة التي بدأت إثر العدوان الاستعماري الاسرائيلي على مصر، وحاولت اظهار العـرب واقطـارهم المتحـررة بمظهـر المنحـاز الى المعسكر الشرقي واختلقت خرافة التسـرب الشيـوعي الى هذه الاقطـار. وبفشل هذه الدعاية تنهار بالوقت نفسه حجج الـرجعيـة العـربيـة لتبـرير انحيازها الى الاستعمار وبصورة غير مباشرة الى الصهيونية بحجـة اتقـاء الخطر الشيوعي. وتعود مرحلة التحرر العربي اكثر وضوحاً من السابق، تظهـر بحقيقتهـا النـاصعـة معـركـة بين الاستعمـار والصهيـونيـة من جهـة، والقومية

العربيـة من جهـة أخرى. كما ان فشل هذه الدعاية الاستعمارية سيعيد الينا صداقة بعض الشعوب والفئات في العالم ممن كادوا ينخدعون بخرافة تسرب الشيوعية الى بلادنا وانحيازنا الى معسكرها وهذا ما يدعم ثقتنا بسلامة سياسة الحياد الايجابي وجدواها.

ثانيـاً: الى اي مدى تعتقـدون بأن الاستعمـار والصهيـونية يتساندان في القضاء على الحـركـات التحـررية في العالم؟ وهل أن القضاء على النفوذ الاستعماري في الوطن العربي يؤدي بالضرورة الى القضاء على اسرائيل؟

فأجاب الأستاذ عفلق: الحقيقة ان هناك نظرتين الى الاستعمار والصهيونية وفي كل منهمـا نقص وانحـراف؛ فمن المعـروف ان الجبهـة اليمينيـة تركـز على اسرائيل لتصـرف الانظـار عن الاستعمـار. ومن جهـة ثانية توجد نظرة تحررية لاتتحرى الدقة عنـدمـا تجعـل من اسـرائيـل والاستعمار اسمين لمسمى واحد. وهذا يحجب بعض الشيء خطـر الصهيـونيـة العـالمية التي هي بلا شك حركة استعمارية. ولكنها حركة مستقلة قائمة بذاتها. اما نحن فنعتبر ان اسرائيل قاعدة للاستعمار دون شك فهو الذي خلقهـا ويـدافـع عنهـا ويغـذيهـا لهـذه الغـايـة، ولكن هذا لا يستنفد كل المشكلة، فالمشكلة هي اكبر.

فاسـرائيـل هي ايضـاً تعبيـر عن قوة الصهيـونيـة العالمية التي تستطيع ان تسخر الاستعمـار. والاستعمـار يسخر اسرائيل. ولكن الصهيونية العالمية تستطيع ان تسخر الاستعمـار نفسـه. فَتَـوَصُّل العرب الى القضاء على الاستعمار يحل اضخم جزء من المشكلة ولكنـه لايحلهـا كلهـا، وبـالأصح فإنَّ التوصَلُ الى القضاء على الاستعمار يشتـرط حتى يتحقق ان يحسب حسـابـاً لقوى الصهيونية العالمية وبالتالي فإن نضالاً آخـر يجب ان يرافق نضـالنـا ضد الاستعمـار هو نضـالنا ضد الصهيونية. والصهيونية العالمية بما لها من نفوذ قوي استطاعت ان تسخر، بالاضافة الى القوة الاستعمارية، الطبقات الشعبية نفسها في كثير من البلاد، مستغلةً الوضع التاريخي الخاص لوجود يهـود في أوروبـا تعـرضـوا في فتـرات زمنيـة للاضطهاد الديني والعنصري، ومستغلة

المستوى الحديث الراقي لدولة اسرائيل من حيث الكفاءة الفنية وبالتالي تخلّف المجتمع العربي وطابعه الرجعي لتجعل من اسرائيل رائدة التقدم في هذه المنطقة من العالم وتجربة جديدة لحضارة الغرب في هذا الجزء من الشرق.

ثالثاً: ما هي في نظركم الاساليب التي يجب ان يعتمدها العرب في نضالهم ضد الصهيونية؟

ان وجود اسرائيل يشكل أخطر مشكلة في مرحلتنا القومية الراهنة ويوجب علينا ان نجد لها الحل الكامل دون ان نتهرب من بعض المصاعب ودون ان نتهيب رؤية العلاقة العميقة التي تصل وجود إسرائيل بمشكلاتنا القومية من جميع وجوهها، اي فيما يتعلق بأسس نظامنا الاقتصادي والاجتماعي وتربيتنا السياسية ووحدتنا القومية، وان نرى بوضوح وجرأة ان كل تلكؤ في مواجهة مشاكلنا السياسية والاجتماعية ووحدتنا القومية بتفكير واسلوب ثوريين انقلابيين قد لايؤخر حل مشكلة وجود إسرائيل فحسب بل يسمح بتدعيم كيانها الى حد يصعب أو يتعذر معه في المستقبل التخلص من هذا الخطر. فإذا عالجنا مشكلة اسرائيل على ضوء نظرتنا العربية الانقلابية التي ترتبط فيها صورة المجتمع العربي بصورة العالم والمجتمع الدولي والانساني المقبل الذي يسهم العرب في تحقيقه، نصل الى النتائج التالية:

ان ما يشكل خطراً على الأمة العربية هوكيان اسرائيل كدولة لاوجود اقلية يهودية في الوطن العربي، وان التعجيل في النضال التحرري الوحدوي وتحقيق خطوات سريعة وجدية في هذين المجالين تقطع الطريق على اطماع الاستعمار في استخدام اسرائيل وعلى اطماع الصهيونية العالمية في استخدام الاستعمار للمحافظة على اسرائيل وتوسيعها. والتعجيل في النضال الاشتراكي العربي يضعف مخاوف الأقلية اليهودية من تعذر تعايشها السلمي العادل مع العرب، كما يزيل أويضعف سلاح الدعاية الصهيونية العالمية في استدرار عطف الشعوب الحرة والطبقات الشعبية على اسرائيل كدولة يراد لها ان تكون ملجأ لشعب مضطهد ولشعب راق متقدم. واخيراً فإن اصرار العرب على اتجاههم الانساني في المجال الدولي وتعاونهم مع الشعوب

الأخـرى في سبيـل توطيـد السلم والتقدم الاشتراكي لجميع الشعوب وسياسة الحياد الايجـابي ، كل هذا يسـاهم في ازالـة اسباب التعصب العنصري والديني في العالم ويسـاعـد على اندماج الاقلية اليهودية في البلدان الاوروبية وبالتالي يضعف مبررات وجود اسرائيل .

٢٧ تموز ١٩٥٧

تجربة العرب عنصر اساسي في تكوين العالم الجديد

اغتنم هذه الفرصة[1] لاشكر باسم الوفد السوري لجنة مكافحة الاستعمار في اليونان على جهودها الطيبة التي بذلتها لهذا الاجتماع فلها ملء تقديرنا. واني لأعتقد بأن هذه الغاية السلبية التي نجتمع لتحقيقها، أي مكافحة الاستعمار، لن تثمر ثمارها الحقيقية ولن تكون مستمرة وقوية اذا لم تحمل منذ الآن بذور وملامح الغاية الايجابية التي يجب ان تكون وراء مكافحة الاستعمار، وهي ما تطمح اليه الشعوب من تقدم وسلام ومن قدرة على القيام برسالتها الانسانية.

ان نضال الشعوب ضد الاستعمار وخاصة نضال الامة العربية التي تشكل اليوم اكبر قوة في الشرق الاوسط، ما كان ليظهر بمثل هذه القوة وبمثل هذا الاندفاع، وان يحظى بتأييد الجماهير العربية وعطف شعوب العالم، لو انه قام فقط على كره الاجنبي وعلى مجرد رغبة التخلص من الحكم الاجنبي. بل ان قوته هي في الاهداف الايجابية التي تختلج في نفس كل عربي، والتي يستعجل الزمن لكي يستطيع تحقيقها لخيره وخير العالم.

ان الامة العربية عانت وما تزال تعاني تجربة انسانية عميقة بفعل وقوع ظلم

---

(١) القي هذا الخطاب في مؤتمر مكافحة الاستعمار في اثينا من ١ الى ٥ تشرين الثاني ١٩٥٧.

الاستعمار عليها زمناً طويلاً، وثمار هذه التجربة هي شيء ضروري وعنصر اساسي في تكوين العالم الحاضر، لأنها تنبعث من آلام عميقة قلما عرفها شعب في هذا العصر، ويكفي ان اشير الى آلام امتنا في الجزائر وفي فلسطين لكي نعلم بأن امة عانت مثل هذا الظلم لايمكن ان يبقى فيها أثر للرجعية وحب السيطرة والغزو والتعصب العنصري والديني، لانها كانت أولى ضحايا هذا التعصب وهذه الآفات.

ان هذا المؤتمر هو ثمين في نظر العرب لانه يجمعهم كممثلين للشعب العربي مع ممثلي الشعوب الاوروبية الصغيرة والكبيرة، وخاصة مع الشعوب الكبيرة التي مارست دولها الاستعمار ضدنا باسمها. لذلك عملنا على ان يكون هذا المؤتمر مناسبة للتفاهم المتبادل بين الرجال الاحرار في الشعوب ولكي يدرك الاوروبيون ان تجربة الشعب العربي والشعوب الشرقية هي شيء اساسي، وان نضال هذه الشعوب الشرقية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتقدم شعوب اوروبا نفسها، وان استمرار الاستعمار في بلادنا يحكم على شعوب اوروبا أن تنعزل عن تيار الثورة وان تتجمد في الرجعية وبالتالي تفقد مساهمتها الحضارية.

لقد وقعت بلادنا خاصة في المدة الاخيرة تحت وطأة ضغط استعماري قلما شاهدنا له مثيلاً، حملة من الدعاية والافتراء شاركت فيها كل الاوساط الرجعية في اوربا واميركا. وقد وجهت العام الماضي ضد مصر وفي هذا العام ضد سورية، وقلبت الحقائق رأسا على عقب وصورت نضال امة تريد أن تستقل وتنال حريتها، وان توحد اجزاءها وان تنهض بمجتمعها وتوفر الرخاء لأبنائها، صوروها وصوروا نضالها بانه للتعدي والتسلط والتوسع، وعندما نسمع مثل هذه الدعاية نكاد نشك في اسس الحضارة التي تسمح بمثل هذه الأكاذيب.

ورافق هذه الدعاية اعمال وتخريب في بلادنا من قبل الاستعمار فقد شجعوا كل انحلال وكل فساد ودعموا اشدّ الاوضاع رجعية في بلادنا بينما ركزوا هجومهم واسلحتهم على الفئات التقدمية التي تطالب بالحرية وحق الجماهير في الكرامة القومية، والذي يهمنا هو ان لاتبقى الفئات التقدمية في اوروبا واميركا والعالم كله منخدعة بمثل هذه الدعاية، لأن نهضتنا الجديدة وقوميتنا العربية الحديثة منفتحة

للانسانية. وتحرص ليس فقط على عون الشعوب الحرة لها وانما يهمها ان يعرف الشعب العربي عندما يناضل ان هناك دوماً في الشعوب الاخرى فئات تنشد الحقيقة وتدافع عن الحق.

وعلى كل حال فان الامة العربية لم تفقد ايجابيتها رغم كل هذا الافتراء وهذه العزلة التي فرضوها حولها، ولم تفقد نظرتها الموضوعية ايضاً. فهي في نفس الوقت الذي تكافح فيه الاستعمار تنظر نظرة مجردة في اوضاعها الداخلية، وتكافح نواقص مجتمعها وعوامل التخلف فيه، وهي اذا كانت تطالب شعوب العالم بأن تؤيد نضالها، فانها تطالب ايضاً نفسها بمهمة اصيلة تعلم ان الوقت قد حان لتأديتها الى الانسانية..

تشرين الثاني ١٩٥٧

الباب الثالث

مَعركة الوَحـدة

العرب والوحدة
متى يصبح استقلالنا ايجابياً

ان ما نعرفه[1] عن الأمم الحية المتوثبة للنهوض ان فعاليتها تتجاوز دوماً الحدود الرسمية الموضوعة لها، وانها تسعى لكي تحتال على هذه الحدود، وتعمل على تحويل الحواجز والعقبات القائمة في طريق نهضتها، الى وسائل وادوات تساعدها على الاسراع في السير، والاقتراب من الغاية. هكذا رأينا الأمة الالمانية التي كانت في مطلع القرن الماضي في وضع من التجزئة المفروضة، والانقسام المصطنع الى ممالك وامارات، يشبه وضع الأمة العربية في هذا العصر، تحتال على التجزئة التي ارادتها لها الدول الأجنبية فتقيم فيما بينها اتحاداً اقتصادياً لم يتناول في الظاهر غير ناحية الجمارك. ولكن سنوات معدودة لم تمض عليه حتى كان اكبر ممهد لوحدتها العسكرية والسياسية. كذلك رأينا هذه الأمة نفسها عندما خرجت مقهورة من الحرب العالمية الاولى يملي عليها غالبوها معاهدات تكبلها بأثقل القيود، وتحول بينها وبين استرجاع قوتها الحربية. ولكن الامة الالمانية عرفت كيف تجعل من قوى الامن

(١) ان النصوص التي يضمها (الباب الثالث)، تشكل وحدة متكاملة من حيث ارتباطها العضوي بنكبة فلسطين وبطبيعة مرحلة هزت الافكار والاوضاع والعروش فكانت الانقلابات والثورات والتصورات النابعة من عمق المأساة ومن ارادة التحدي والنهضة في الامة، فالقاريء يجد نفسه امام نظرة جديدة هي وليدة المرحلة الجديدة، وامام مفاهيم متميزة عن المفاهيم التقليدية.. فالحديث عن الوحدة قبل عام ١٩٤٨ لم يكن بالجذرية والثورية الصارمة كما عبر عنها مقال شباط ١٩٥٣ (ثورية الوحدة العربية) الذي كان واضحاً ان خلفيته نكبة فلسطين.. وهكذا النصوص الاخرى.

الداخلي المحدودة العدد جيشاً جراراً، وكيف تحوّل الصناعات المدنية الى معامل للسلاح وادوات للحرب.

تلك هي حال الامة التي تبلغ من الانسجام والوعي درجة تجعل الحكومات فيها ممثلة صادقة لارادة شعبها، او تفرض على هذه الحكومات ان تتقيد بارادة الشعب وتعبر عنها بصدق وامانة. ولكننا في وضعنا الحاضر نرى الحكومات العربية تقصر حتى عن بلوغ الحدود التي يضعها الأجنبي لنشاطها، وتعجز حتى عن استعمال الصلاحيات التي لايستطيع الأجنبي ان ينكرها عليها أو يجادلها فيها.

لقد وقف العرب بمجموعهم من تأسيس جامعة الدول العربية موقفاً يجمع بين الالم والأمل. لقد تألموا عندما وجدوا حكوماتهم تتناول أمر الوحدة القومية بروح ملؤها التردد والجبن فتتأثر بأوهام بالية واعتبارات سقيمة، وتخضع لمصالح وضيعة وانانيات عقيمة، وتذعن لارادة الاجنبي فتقنع من الوحدة بالقليل الهزيل، وبما كان ممكن التحقيق منذ ثلاثين عاماً على الأقل. . لوكانت القيادة الوطنية التي هي اليوم في الحكم اكثر وعياً وجرأة وتجرداً، ولكن ذلك كله لم يمنع العرب من ان يستبشروا بتأسيس الجامعة وينظروا اليها كخطوة اولى مباركة، لابد ان تعقبها خطوات واعتبروا أن النصوص مهما تكن فقيرة والاشكال مهما تكن ضيقة، فغنى الروح وحسن القصد والتدبير كفيلان بأن يتلافيا النقص ويعوضا عن القصور الظاهري.

الا ان الوقائع والحوادث التي مرت منذ تأسيس الجامعة العربية وما زالت تمر، توشك ان تمحو من نفوس العرب كل اثر للأمل والاستبشار وان تبدل نظرتهم الى تلك الجامعة تبديلاً كلياً. فالواقع الذي يتضح يوماً بعد يوم هو ان الجامعة ليست خطوة في طريق الوحدة العربية بل عثرة. ان ميثاق الجامعة العربية صورة ناقصة مشوهة لأماني العرب الحقيقية في الوحدة، لأنه صادر عن حكومات هي صورة ناقصة مشوهة لحقيقة الشعب العربي. ولكن هذا الميثاق بالرغم من جميع علله ونواقصه، قادر على تحقيق بعض الخير الأكيد لبلاد العرب، فيما لو استطاعت الحكومات ان تخلص له وتفيد من جميع امكانياته. وليس من يجهل ان الحكومات العربية لو ارادت ان تعمل شيئاً مجدياً لقضية فلسطين، ولو رضيت ان تنجد عرب افريقيا

الشمالية الذين يصارعون الاستعمار الافرنسي اعنف صراع، ويموتون بمئات الالوف دفاعاً عن عروبتهم لوجدت في ميثاق الجامعة ما يساعدها على نجدة فلسطين وعرب المغرب، اولوجدت على الاقل ان هذا الميثاق لايحول بينها وبين اداء واجبها.

ان ما يشكو منه العرب اليوم وما يقلق له فكرهم ويتألم وجدانهم، ليس هو ان يروا انفسهم اضعف من الدول الاستعمارية الكبرى واقل عدداً وسلاحاً، بل ان يروا انهم لايستطيعون ان يخشدوا ويستعملوا في مقاومة هذه الدول ما يملكونه من العدد على قلته، ومن السلاح على ضآلته. فالعلة الكبرى هي في ان العرب، مهما حاولوا، لايستطيعون ان يقفوا امام الدول المعادية لهم وجهاً لوجه، إذ أنهم يصطدمون دوماً بحاجز يحول بينهم وبين عدوهم: هوحكوماتهم. هذه الحكومات التي كان يقتضيها الواجب ان تتجاوز الحدود الموضوعة لنشاطها القومي، وتحتال على القيود المفروضة من الأجنبي، فاذا هي تضيف الى هذه القيود قيوداً اخرى تفرضها مصالح اشخاصها، وتنحصر في حدود هي اضيق من التي تضعها لها المعاهدات والمواثيق، واذا مهمتها تقتصر على مماطلة الشعب وتخديره وإلهائه عن عدوّه.

ان هذا الاستقلال الذي تستمتع به سوريا، لقد ساهم العرب جميعهم في تحقيقه لها. وانهم اليوم ليتطلعون اليها ويعقدون عليها الآمال. اما نحن ابناء سوريا العربية، فلم نناضل في سبيل الاستقلال، ولم نفرح بحصولنا عليه إلا لأننا نرى فيه واسطة وطريقاً الى تحرير الاقطار العربية وتوحيدها. ولكن حكومة سوريا لم تظهر حتى الآن من هذا الاستقلال الا وجهه السلبي. فالأجنبي قد جلا، ولكن جلاءه لايغني اذا لم يعن إزالة السدود التي كان يضعها في وجه الشعب واهدافه القومية. والشعب في سوريا لا يؤمن بالاستقلال الا اذا اتيح له ان يحقق ما يصبو اليه من نصرة اخوته في العروبة، في كل مكان تشكو فيه العروبة من الظلم. فمتى يكتسب استقلالنا هذا المعنى الايجابي القويّ؟

١٢ آب ١٩٤٦

ثورة الوحدة العربية

لا شك أن اهداف «البعث العربي» التي لخصناها في «الحرية والأشتراكية والوحدة» هي اهداف اساسية متساوية في الأهمية لا يجوز فصل أوتأجيل بعضها عن البعض الآخر. ولكن الشيء الذي لا شك فيه أيضا هوأن للوحدة وهي التي تعبر عن الصفة العربية الشاملة تقدما ورجحانا معنويا يجب أن لا يغفل عنه البعثيون لئلا ينساقوا مع تيارات فكرية وسياسية هي أبعد ما تكون عن فكرة «البعث العربي».

كان «البعث العربي» عند تأسيسه في الاربعينات أول حزب اشتراكي في العالم العربي، ومع ذلك لم يختر لنفسه أسم الحزب الأشتراكي. وقد اعطى للحرية الدور الاساسي في بعث الأمة العربية، ومع ذلك لم يتسمَّ بالحزب الديمقراطي. ولئن كان قد تسمى بالبعث العربي فليس ذلك لأنه اول حزب آمن بالوحدة العربية فكرا وعملا، وجعل تنظيمه على اساس عربي شامل فحسب، بل لأنه آمن منذ البدء أن كل نظرة ومعالجة لمشاكل العرب الحيوية في اجزائها ومجموعها لا تصدر عن هذه المسلمة: «وحدة الأمة العربية» تكون نظرة خاطئة ومعالجة ضارة. فليس اذن الفرق بين «البعث العربي» وبين الاحزاب الأخرى التي تنشأ في الاقطار العربية والتي منها ما ينادي بالديمقراطية، ومنها ما ينادي بالاشتراكية، ومنها ما ينادي بالاثنتين معا فى حدود القطر الذي تنشأ فيه، وأكثرها يقول بالوحدة العربية كنتيجة وهدف سيصل اليه كل قطر عندما يكتمل تطوره، نقول أن الفرق بين حزبنا وهذه الاحزاب ليس فرقا في الكم بل في النوع. أن الحرية التي يطلبها حزب مصري اولبناني، والأشتراكية التي يعمل لها حزب عراقي اوسوري، هما غير الحرية والأشتراكية اللتين تحتاجهما وتقدر

على تحقيقهما الأمة العربية كأمة ذات تراث حضاري واستعدادات وامكانيات لنهضة جديّة أصيلة. فالحرية التي يسعى اليها كل قطر عربي على حدة لايمكن ان تبلغ من العمق والشمول والمعنى الايجابي ما تبلغه الحرية التي تنزع اليها الامة العربية عندما تضع مصيرها ومصير الأنسانية - موضع التساؤل، كما أن الأشتراكية التي تتقلص وتتشوه - في حدود القطر الواحد - حتى تقتصر على اصلاحات جزئية خادعة، تأخذ كل مداها النظري والتطبيقي عندما يكون مجالها الوطن العربي كوحدة اقتصادية وكوحدة شعبية نضالية. وهذا الفرق ايضا بين الحرية والاشتراكية كما تفهمان في حالة التجزئة (وفي عقلية التجزئة) وبينهما في عقلية الوحدة هو فرق في النوع لا في الكم. فلم يعد أذن عمل الأحزاب القطرية مرحلة توصل الى الوحدة، بل اتجاهاً جديداً وطريقاً مختلفاً يبتعد عنها ويضعف امكانياتها، وهو الفرق نفسه بين الجامعة العربية التي تجمع العجز الى العجز، والاحقاد والاطماع والمصالح الخاصة بعضها الى بعض، وبين الوحدة العربية التي تخلق العرب خلقا جديدا. وليس الذي يمنع اتحاد او انصهار الاحزاب ذات الاهداف الواحدة المتواجدة في عدة اقطار عربية هي الحواجز والعراقيل التي تضعها الحكومات في طريق اتحادها، بقدر ما هي طبيعة هذه الاحزاب وطبيعة اهدافها المستمدة مباشرة من وضع التجزئة، وعقليتها، والتي تستعصي على كل توحيد.

وفي حين يعتبر «وحدويو» التجزئة الوحدة شيئاً آليا يبلغ بالتوحيد السياسي عندما تتهيأ الظروف وتسنح الفرص، وانها لا تحتاج الى تهيئة سابقة اللهم الا التهيئة السياسية بالمفاوضات والمناورات، واما التهيئة الفكرية فلا تعدو ان تكون، في احسن الاحتمالات، تبشيرا عاما بالوحدة يتسع لشتى الارتجالات والتناقضات. وفي حين تمثل الوحدة في نظر الاحزاب القطرية وممارساتها الشيء السطحي الذي تعوزه الجدية، ويأتي في ادنى درجة من الاهمية بالنسبة الى المشاغل القطرية التي تستأثر عملياً بكل اهتمام هذه الاحزاب، فان الوحدة في نظر «البعث العربي» فكرة اساسية حية لها نظريتها كما للحرية والاشتراكية نظريتهما، ولها مثلهما نضالها المبدئي اليومي المنظم المستمر، ومراحلها التطبيقية التي تزيد في قوة هذا النضال وتمهد

الطريق للنصر الأخير.

الوحدة العربية فكرة ومستوى

ليست الوحدة العربية محصلة او نتيجة لنضال الشعب العربي من أجل الحرية والاشتراكية، بل هي فكرة جديدة يجب أن ترافق وتوجه هذا النضال. ان امكانيات الامة ليست مجموعا عدديا لأمكانيات اجزائها في حالة الانفصال، بل هي اكثر في الكم ومختلفة في النوع.

نفسية التجزئة هي التي تفسر الى حد بعيد ليس تكاثر الاتجاهات المتنافرة المتناقضة فحسب، بل ايضاً سلبية هذه الاتجاهات وعجزها عن كل بناء. هي نفسية الفرار والعجز، فرار الى التوسع الوهمي (الاممية التقدمية والرجعية) او التقلص المصطنع (الاقليمية اللبنانية والمصرية) كأن ربط العرب بعجلة عالم اوسع من عالمهم يغنيهم عن التحرك الذاتي، او كأن الجهد الروحي الذي يبذل لبعث الحياة في قسم منهم لايكفي لبعثهم جميعا. نفسية التجزئة تحلم بالثورات الصاخبة العاصفة وتقنع بالاصلاحات الرخيصة والترقيعات الهزيلة المضحكة، تتكلم عن المبادىء وتعني اقتسام المناصب والمنافع. نفسية الوحدة تخلق الفكر الجريء النزيه والعمل العميق الصبور.

ان شعار «البعث العربي» (امة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة) يشير الى مستوى الوحدة إذ يقرنها بالرسالة. فالتفكير في الرسالة والكلام عنها لايكونان مشروعين وجديين الا على نطاق الوحدة. ذلك لان الانقلاب، وهو خلق الشروط التي تمكن الامة من التغلب، بقواها الذاتية، على اسباب تخلفها، لايكون مشروعا ولا جديا الا على نطاق الوحدة ايضاً. والرسالة ليست الا الانقلاب وثمراته. فانقلابية البعث العربي نابعة مباشرة من فكرة الوحدة، واداة هذا الانقلاب هو الجيل الذي له عقلية الوحدة ونفسيتها، الجيل العربي الجديد الذي يستمد قيمه من امكانات الامة العربية الكامنة لا من الواقع المريض.

الوحدة العربية عمل نضالي

كما ان الوحدة العربية فكرة جوهرية لها وعيها الذي يجب ان يوضح ويعمم

حتى يقوم التفكير ويلهب النفوس ـ فهي كذلك عمل له تنظيمه الذي يجب ان يحكم ويتسع حتى يسيطر على الظروف ويقلب الاوضاع. اذن فليست الوحدة عملا آليا تتم من نفسها نتيجة للظروف والتطور. فالظروف لاتخدمها، والتطور قد يسير معاكسا لها نحو تبلور كاذب للتجزئة. فهي بهذا المعنى فاعلية وخلق ومغالبة للتيار، وسباق مع الزمن، اي انها تفكير انقلابي وعمل نضالي. ان هجوم الاستعمار والصهيونية يكاد يتركز على الوحدة العربية. ولايحتاج الاستعمار الى تدخل مباشر لتزييف الديمقراطية والتقدمية فالتجزئة كفيلة بذلك ما دام وضعها ومنطقها يغريان كل جزء بان يستغلها لبلوغ بعض الفوائد الخادعة على حساب الاجزاء الاخرى. وهكذا فبالرغم من وحدة حاجات الشعب العربي في جميع اقطاره، فان معظم نضاله يهدر ويبعثر. فمنطق التجزئة لايمنع الحركات المتماثلة في البلاد العربية من التوحد والتعاون فحسب. بل يدفعها الى التعاكس والتناقض.

وهكذا نصل الى هذه الحقيقة: لايحقق الشعب العربي وحدة النضال، مالم يمارس نضال الوحدة.

شباط ١٩٥٣

المعركة بين الوجود السطحي والوجود الاصيل

بين واقع الامة العربية، وبين ما تصبو اليه من آمال وأهداف، بون شاسع. .

بين شعور الامة العربية بأن لها رسالة الى العالم، هي وحدها التي تبرر وجودها وتعطيه معنى وحافزاً، وبين تخبطها في أوضاعها البالية ووجودها المتخلف عن كل نهضة جدية وتأثير فعال في الاحداث، بين هذا الواقع وذلك الشعور من البعد ما يكاد يبلغ حد التناقض. والحياة لاتستطيع القرار على التناقض، ولا بد لها من ان تحله، اما باماتة هذا النزوع الى الرسالة والاهداف الاصيلة، بقبول الواقع السهل والاستسلام له، واما بتحريك القوى التي تتجاوب مع تطلع الامة الى اصالة وجودها، والتي يؤدي تحركها الى اخراج هذا التطلع من نطاق التمني العاطفي العاجز، وزجه في معترك التفاعل مع الارادات والقوى والمصالح الحيوية، ليبرهن على ما يكمن فيه من امكانات هي امكانات الامة ذاتها.

فالمعركة اذن هي بين الامكانات المتحققة في واقعنا الراهن وبين الامكانات الدفينة الكامنة في الامة العربية، والتي على مدى انطلاقها وعمق تحققها يتوقف مصيرنا ويتعين مكاننا ودورنا في العالم.

المعركة هي بين تلك الأقلية التي تستمسك، هنا وفي كل بلد عربي، بالاوضاع الراهنة وتدعّي ان هذه الاوضاع، رغم سوئها، هي نهاية ما يستطيعه العرب. وهؤلاء يلتقون، شاءوا أم أبوا، بالاستعمار وأعداء العروبة من كل صوب، ويدعمون كل ما

في مجتمعنا من فساد وظلم وتأخر ـ وبين نوع آخر من المواطنين، هو أيضاً أقلية، يؤمن على العكس بأن بقاء الاوضاع الراهنة هو الذي يحجب حقيقة الامة العربية ويخنق معظم كفاءاتها ويشوه نظرتها الى نفسها والى الوجود.

هذا النوع الثاني، هذا النوع الجديد الذي يعطي مجرّد ظهوره الى الميدان، أقوى دليل على صدق حدسه وواقعية نظرته، هذا النوع من المواطنين العرب يعبر بالضرورة ـ سواء توافر له الآن كل الوعي ام بعضه ـ عن ارادة الحياة في امتنا ومصلحة العدد الأكبر من أبناء شعبنا، ويلتقي طريقه بطريق التحرر والتقدم، والتفتح للمستقبل ولكل ما في الحياة من نزوع عميق الى الخلق والبناء والخير والسمو والتضحية.

لقد آن للعرب ان يضعوا مشكلتهم الاساسية في وضع صحيح صريح، يليق بشعب عظيم، صادق شجاع، يأنف من محاباة نفسه على حساب رسالته التاريخية.

آن للعرب ان يضعوا حداً للاعذار والتهرب من المسؤولية والقاء جميع التبعات على الاستعمار، وان ينظروا الى مشاكلهم نظرة عميقة من الداخل، ويعتبروا أنفسهم وحدهم المسؤولين عن مصيرهم اولاً واخراً.

آن لنا ان نعتبر الاستعمار نتيجة لتقاعسنا عن تبديل اوضاعنا الداخلية البالية، لا سبباً في قيام هذه الاوضاع واستمرارها. وما كان ليتسنى للاستعمار ان يشن علينا هذه المعارك المتلاحقة لولا تأخرنا في فتح المعركة المباركة التي تضع العربي أمام قدره وجهاً لوجه، وتضطره ان يختار وان يضع ارادته في الميزان.

وهذه المعركة التي نطلب فتحها لا تعني ان نكف عن مقاومة الاستعمار والعدوان الاجنبي بكل قوانا، كما انها لايمكن ان تعني ان نعمل في بعضنا قتلاً وتدميراً. ان ما نرمي اليه هو ان نضع حداً للانفعال والاستسلام، وان نشرك أكبر عدد ممكن من أبناء شعبنا في قضية أمتهم ومصيرها، لأن في تحريك هذه القوى الشعبية الضخمة، التي كانت حتى الآن مهملة الوزن بعيدة عن ساحة المعركة، الامل الوحيد في تغيير نظرتنا الى أنفسنا، وتبديل موقفنا من الاستعمار، فلا نعود نعتبر وجوده قدراً ورغباته أوامر واجبة التنفيذ.

هذه هي النقطة الاساسية الفاصلة بيننا وبين الحكومات في الوطن العربي. وهي في الوقت ذاته نقطة الافتراق بين الحاضر المطبوع بالعجز، والمستقبل الزاخر بالممكنات. . فالحكومات العربية تعتبر الخضوع لمطالب الاستعمار أهون وأيسر من تلك الرغبة الجامحة عند الشعب العربي الى التحرر. لذلك فهي تختار دوماً الطريق السهل، وتتحول مرغمة الى أدوات يستخدمها الاستعمار لعرقلة تحرر الشعب وتأخير نهضته. لقد اختارت الحكومات هذا المنطق وفرضته على الشعب، وليس الشعب العربي بملوم اذا اعتبر - تبعاً لهذا المنطق ذاته - ان اجدى نضال يقوم به ضد الاستعمار هو نضاله ضد الطبقة الحاكمة المسخّرة له.

وفي هذا اليوم الذي نحتفل فيه بذكرى جلاء القوات الاجنبية عن سورية العربية، يجدر بنا ان نذكر ان العرب في جميع أقطارهم نظروا الى الجلاء عن سورية على انه نقطة الانطلاق الى تحرير الوطن العربي وتوحيده. وبعد مرور تسع سنوات على الجلاء، نرى ان حكومات سورية لم تفعل شيئاً لنجدة الشعب العربي المناضل ضد الاحتلال والطغيان، وان حكومات سورية كانت طوال هذه السنين اكبر اداة في ايدي اعداء الوحدة ومستغلي القطيعة والتجزئة. . وفي هذه الظاهرة ما يكفي لانهاء خدعة التذرع بالاجنبي، وتحميله تبعة تآمر الحكومات على الاهداف القومية. وفيها ما يكفي ايضاً لوضع مشكلتنا الاساسية وضعاً صحيحاً، فنقتنع بأن السبيل الوحيد الى تحرير الوطن العربي وتوحيده، هو في ايصال الجماهير الشعبية الى حكم البلاد واستلام مقدراتها، لان في هذه الجماهير وحدها تتوافر الارادة والمصلحة والقوة لتحقيق استقلال العرب ووحدة ارضهم ونهضة مجتمعهم.

لقد جاء دور الجماهير في العالم، والجماهير الحقة هي شعوب آسيا وافريقيا التي عانت أعمق تجربة انسانية من الاستعباد الخارجي والداخلي، من الظلم الوطني والاجنبي - فخلافاً لما حدث في الغرب في هذا العصر من ثورة الطبقات المستثمَرة على الطبقات المستثمِرة، ثورة بقيت في حدود المصالح المادية الضيقة ولم تتعارض مع مشاركة ضمنية للجماهير الغربية في استغلال الشعوب الشرقية عن طريق الاستعمار - نقول: خلافاً لما حدث في الغرب، فان ثورة الشعوب الشرقية

تحمل بالدرجة الاولى طابعاً تحررياً انسانياً، لانها تتوجه ضد الاستعمار الذي يحمل في طياته جميع انواع الظلم واشكاله. وفي حين لايصيب الظلم في الغرب إلا طبقات، فالشرق عبارة عن امم مظلومة. والامة العربية احدى هذه الامم المظلومة التي تكمن في تجربتها بذور رسالة جديدة الى الامم والى الانسانية، لا الى الطبقات الاجتماعية وحدها.

فالبعث العربي إما ان يكون قومياً أو لايكون مطلقاً، لان قوميته ضمان لانسانيته. وان اعتماد حركة «البعث» على نضال الجماهير العربية المظلومة يعني ايماننا بأن هذه الجماهير، تمثل، نتيجة لمعاناتها الظلم والاضطهاد، حقيقة الامة الصافية، كما ان فيها تكمن معظم قوى الامة وكفاءاتها. فاشتراكيتنا بهذا المعنى هي وسيلة لبعث قوميتنا وامتنا، والباب الذي تدخل منه الامة العربية الى التاريخ من جديد. واتجاهنا القومي يقي اشتراكيتنا شرور السلبية والنقمة الهدامة والمادية الشرهة، ليبقيها في جو الايجابية والعطاء وحمل الرسالة.

وقومية «البعث» ضمانة لصدق انسانيته. اذ ليست انسانيتنا تلك الانسانية المثالية التي تفتقر الى المعاناة ودم الحياة، بل هي حصيلة نضالنا العسير وخلاصة آلامنا ومآسينا، وتحملنا لمسؤولية مصيرنا كأمة لها ماضيها بمزاياه وعيوبه، ولها حاضرها بكل قسوته وجديته، وامامها مستقبل يتوقف عليها وحدها ان تجعله من صنع ارادتها ومن وحي حريتها.

وقد تظل يقظة الجماهير في نظر الكثيرين يقظة غامضة مشبوهة، معرّضة لان تحمل معها الشيء الكثير من الحقد والهدم والسطحية، والمادية. ولكن يقظة الشعب العربي، اذا نُظر اليها من الزاوية القومية ومن خلال مأساة الامة العربية وآلامها، يقظة واضحة الملامح والاتجاه، مضمونة النتائج. فالامة العربية ضحية أضخم ظلم عرفه هذا العصر، ولا يمكنها أن تحارب ظلما بهذا الحجم التاريخي وان تتغلب عليه إلّا اذا عمقّت نضالها حتى يلامس جذور انسانيتها ويلتقي بكل نضال انساني تاريخي. لقد خبر العرب، بالتجربة المرة القاسية، الى أي حد يتضاءل شأنهم وتهون نفوسهم ويهبط مستواهم الروحي، عندما تُعزل جماهير

الشعب عن مقدراتها، ويمسي قدر الامة لعبة بين ايدي الوجهاء المستغلين والهواة المازحين والمغامرين المغرورين، وكيف يتعفن الجو، ويسود التبذل، وينتشر التشاؤم، وتنغلق النفس أمام معنى المصير والمهمة التاريخية.

فهل غير الجماهير العربية من يخرج قدر العروبة الى الهواء الطلق، ويعيد اتصاله بحرارة الحياة ونبضات التاريخ، ويطهره بآلام الملايين من المظلومين، ويغنيه بعديد الآمال المكبوتة والطاقات المدخرة منذ قرون؟ وهل يمكن ان تكون يقظة الجماهير العربية إلا يقظة الروح والضمير والجد والرجولة والعقل المتحرر المبدع والشخصية المستقلة المنتجة؟..

فاذا كان لا يزال ثمة في بلادنا فئات واشخاص، من رجال الحكم والطبقة المستعبَدة لمصالحها، ينشدون مصيرهم خارج مصير أمتهم، ويرضخون لضغط الاستعمار كقدر لا يقاوم، ويروّجون لاحلاف الغرب ومساعداته، كسبيل الى انعاش البلاد انعاشاً مصطنعاً مشبوهاً، وحمايتها حماية خادعة كاذبة، فان جماهير الشعب العربي تقف خارج جميع الحلول السياسية المصطنعة، وفي اتجاه متعال عليها. فلا الدكتاتورية الاصلاحية بقادرة على تحقيق شيء جدي دون نضال الشعب، ولا السياسة الاتحادية التي تسلك طريق القمع والطغيان وتحمي ابشع انواع الاستغلال الطبقي والفساد، بمستطيعة ان تحقق شيئاً اذا لم يندفع فيه الشعب بكل قواه النضالية، ومن اجل أهدافه الكاملة في الحرية والاشتراكية والوحدة.

ان الشعب العربي، تتقدمه الطليعة الواعية المؤمنة، سيمضي في نضاله التحرري التاريخي سالكاً الطريق الذي اختطته الحياة لكل عمل صادق أصيل، طريق الانبعاث من الداخل، لتتكون النفوس قبل الوسائل، والعزائم قبل الاسلحة، والتيار الحي الذي يخترق روح الامة، ويكشف عن كوامنها ويلامس حريتها في أعمق جذورها. وعندما يصهر النضال روح امتنا، ويضم تياره جماهير شعبنا، عندئذ تظهر لنا الامور على غير ما نرى الان، ويعرف العرب ان الاستعمار الآثم، والصهيونية الباغية، وكل عدوان خارجي وظلم داخلي لم تكن كلها الا مناسبات لكي يجسد الشعب العربي قيمه الحضارية، ويجدد رسالته الانسانية. ولئن كانت تجربته

في هذه المرحلة الجديدة من البعث قد حوت مزيداً من المذلة والقسوة والالم، فلكي يحمل التعبير عن الرسالة العربية مزيداً من الحرية والرحمة والحق.

عام ١٩٥٥

الوحدة العربية... والاشتراكية (١)

سؤال (١): ماعلاقة الوحدة العربية بالاشتراكية؟ وهل الاشتراكية شيء اساسي في النضال العربي؟

- ان القضية العربية يجب ان تؤخذ ككل لا يتجزأ، وان تعالج على هذا الاساس. واعتقد ان بعض الذين يحصرون اهتمامهم بالوحدة، هم مجزئون للقضية العربية. ان نظرة حزب البعث الى قضيتنا القومية قامت على اساس انها قضية واحدة، وان حلها هو رهن بتحقيق انقلاب عربي، انقلاب بالمعنى العميق، لا ينحصر بالسياسة، وانما يتناول الفكر والروح والتربية الاجتماعية والاوضاع الاقتصادية. والسياسة في نظرنا هي التعبير عن موقفنا الانقلابي في جميع هذه الاوضاع والحالات. . واذا كانت السياسة لا تكفي دوماً للتعبير الصادق عن هذه النواحي، الا انها بلا شك اقوى وسيلة لهذا التعبير. فعندما نقول إن الحل الصحيح لقضيتنا القومية، هو الحل الانقلابي البعثي، فان ذلك يعني بصورة بسيطة ان الحالة التي وصل اليها العرب منذ قرون عديدة، وليس فقط منذ بدء الاستعمار الغربي، وان الاوضاع التي نشأت في بلادنا منذ مئات السنين الى اليوم، احدثت خللاً وتشويهاً عميقاً جداً في بنيان الامة، وتباعداً بين شعور الامة العربية وبين الحياة نفسها فلم تعد أمتنا - بالتالي - تستجيب لدواعي الحياة الاستجابة السليمة. . فالانقلاب هو

---

(١) حديث في النادي الثقافي ببيروت في شباط ١٩٥٦

هذه المحاولة لاعادة الاستجابة السليمة الشفافة بين الامة وبين متطلبات الحياة.

ويظهر بصراحة من هذا التعريف البسيط ان السياسة بمفهومها العادي لايمكن ان تنفذ الى اعماق المشكلة واعماق المرض، ولا يمكن ان تغير شيئاً أساسياً في حياتنا، فما هو المطلوب اذن؟ هو تحريك الامة العربية تحريكاً عميقاً عنيفاً في الروح.

ولكي لانقع في الالتباس المحتمل الوقوع كأن يظن بأن مشكلتنا الاقتصادية، مشكلة توزيع الثروة، هي المشكلة الوحيدة أو انها هي المشكلة الحقيقية، نقول: انها مشكلة خطيرة تحتل المكان الاول في تفكيرنا ونضالنا، ولكننا دوماً نعتبر المشكلة الحقيقية - كما سبق مني القول - هي ان تبعث الروح في امتنا، هي ان يعود العربي والامة بمجموعها الى هذا الموقف الايجابي الفاعل الارادي السليم ايضاً.. موقف السيطرة على القدر، سيطرة العربي على قدره، معرفة الامة لمبررات وجودها، لغاية وجودها، والقدرة على تحقيق هذه الغاية. فالاوضاع الفاسدة وخاصة الأوضاع الاقتصادية، هي بمثابة المانع والحائل والمعيق لادراك الامة لذاتها ولوعيها حقيقة رسالتها. ان التعبير العملي عن هذه النظرية الانقلابية هو النضال بأوسع معانيه، لتربية الامة من جديد لكي تعرف كيف تواجه الصعوبات، لكي تستخرج قواها الدفينة وعزيمتها الغافية بالاحتكاك والاصطدام بالمصاعب..

وهذا النضال - كما قلت - يجب ان يفهم بأوسع معانيه. فهو في آن واحد نضال مع القوى الخارجية (و القوى الخارجية هي الصهيونية والقوى الاستعمارية) وهو نضال ضد الأوضاع الفاسدة في داخل الوطن وهذه الأوضاع سواء اكانت ظلماً سياسياً ام اجتماعياً، استغلالاً ام جهلاً، وضعفاً في الفكر وتعصباً ونقصاً في المحبة والتسامح. . كل هذه الاوضاع عندما ندعو المواطنين الى محاربتها فليست الغاية تهديم هذه الأوضاع الفاسدة فقط، وانما الغاية - على الأخص - ان يستعيد الشعب ادراكه لقيمه الأصيلة ولغاية وجوده الحقيقية بهذا الصراع الجدي. والنضال يكون ايضاً في نطاق النفس وخاصة بين المناضلين وبين ذواتهم، اذ ليس اخطر من ان يتجمد المناضلون، وهم مكلفون باحداث هذا الانقلاب في حياة الامة، ان

يتجمدوا على مفاهيم سطحية. . اذ لو انهم تجمدوا فكيف يمكن ان يحركوا الآخرين؟ فالمناضل يجب ان يكون في نضال مستمر مع نفسه ليعمق فكرته ويعيد النظر فيها دوماً فيحذر من ان يخدع نفسه وان يجبن عن المزيد من الجرأة والمزيد من التوغل في طريق فكرته الانقلابية حتى يصل الى الصفاء الخالص والصدق التام. .

هذه الاسئلة تأخذ القضية كما قلت من وجهة نظر تجزيئية، وهذا ما يُجب ان ننتبه اليه محاولين دوماً ان نعيد الى قضيتنا القومية وحدتها، وعلى هذا الاساس اجيب الاخوان الذين سألوا عن سبيل تحقيق الوحدة العربية وعن علاقة ذلك بالاشتراكية وعما اذا كانت الوحدة تسبق الاشتراكية وعما اذا كان ثمة علاقة بين الهدفين. . اقول بناء على نظرتنا الموحدة للقضية العربية: لانعتقد ان بالامكان الفصل بين الوحدة العربية والاشتراكية، ان الوحدة العربية أعلى وأغلى في مراتب القيم من الاشتراكية. ولكن مطلب الوحدة العربية يبقى لفظاً مجرداً وألهية، وفي بعض الاحيان خداعاً مؤذياً، اذا لم يوضع في نصابه الحقيقي، اي اذا لم يوضع على الصعيد الشعبي، اذ ما من قوة تستطيع تحقيق الوحدة غير الشعب العربي.

ليست الحكومات وليست الدول الاجنبية وليس السياسيون ولا المفكرون بقادرين على ذلك وانما الشعب وحده، جماهير الشعب هي التي تستطيع تحقيق هذا المطلب الخطير، فكيف يمكن ان يتحرك الشعب لحمل هذا المطلب الثقيل، وهو رازح تحت هذه الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟

فتوحيدنا اذاً بين الوحدة والاشتراكية هو مثل اعطاء جسم لفكرة الوحدة. الاشتراكية هي الجسم، والوحدة هي الروح، اذا صح التعبير والتشبيه. فان القوى التي لاحصر لها، المعادية للوحدة العربية، القوى التي تعاديها عن وعي وتصميم (والقوى الاستعمارية والصهيونية من اخطرها) والقوى الداخلية المستعبدة للمصالح والتي تضحي بأغلى المصالح والاماني القومية في سبيل مصلحتها الخاصة، هذه القوى جميعها الواعية في عدائها للوحدة، يضاف اليها كل ما في مجتمعنا من جمود ومن جهل ومن رواسب وعادات كلها تشد الى الوراء، وكلها تجبن عن التجدد وتخشى أي خطوة جديدة فيها تعب وفيها تضحية. . كل هذه الآراء الشتيتة

والعصبيات المختلفة: الطائفية والاقليمية والفكرية التي تجزىء وتقطع بنياننا القومي . . كل هذه الحوائل والعوائق ضد الوحدة، وان لم تكن ارادية واعية، لابد لنا لكي نقوى على مجابهتها وقهرها من الاعتماد على قوى حية، قوى في مستوى هذه العوائق . . وليس من قوة حقيقية يعتمد عليها غير قوة الشعب . والشعب كما قلت اذا سلمنا بأن عاطفته ايجابية نحو الوحدة، وهذا شيء طبيعي، فماذا تجدي العواطف، اذا بقي هذا الشعب عاجزا مكبلا؟ ولكننا اذا حركناه للنضال، في سبيل حياة حرة كريمة، واذا عودناه التمرس بهذا النضال، ثم استطعنا ان نجد ضمن هذا النضال منفذاً للوحدة . . وهذا الامر ميسور وطبيعي جداً ـ فعندئذ تصبح الوحدة موضوعاً عملياً وتصبح مطلباً واقعياً. لذلك لم يكن حزبنا حزباً اشتراكياً فحسب، ولم تكن الاشتراكية اول صفة له، فهو حزب عربي، حزب بعث عربي، والبعث هو الانقلاب كما تعرفون، وكل مطلب آخر نفهمه ونفهّمه للشعب انما هو منبثق من خلال هذه النظرة، نظرة اننا نسعى الى بعث عربي، الى انقلاب عربي . . وفي نضال الحزب لم نغفل هذه الآراء لحظة واحدة، وفي كل قرية وفي كل معمل حيث العمال والفلاحون يناضلون في سبيل حياة أفضل، في انتزاع حقوق مغصوبة لهم . . يردد الجميع بأفواههم ويشعرون بقلوبهم، ويعرفون أن ذلك ليس إلا وسيلة وخطوة نحو هدف أعظم، هو توحيد الوطن العربي . . وهذا التوحيد ليس الهدف النهائي ولكنه بدوره وسيلة لكي تقوم الأمة العربية بمهمتها في الحياة . . وهذا المزج بين الهدفين، شيء اساسي نحرص عليه دوماً، ولكننا نعرف ان التطبيق لا يأتي دوماً صادقاً كل الصدق، متفقاً كل الاتفاق مع الخطة او التصميم الموضوع له . . فأحياناً يرجح مطلب على آخر، وتكون الظروف في بعض الاحيان سبباً في هذا التفاوت بين مطلبين لا يجوز الفصل بينهما ولا الترجيح . . تأتي ظروف مواتية لانتشار وتوسيع النضال الاشتراكي كما تأتي ظروف اخرى مواتية لتوسيع النضال الوحدوي ـ هذا شيء لا مفر منه اذا بقي في هذه الحدود، اذ أن الواقع يختلف تماماً عن التصميمات النظرية، ولا نستطيع دوماً ان نتحكم في الظروف، بل واجبنا ان نحسن الاستفادة من كل ظرف على افضل وجه ممكن . . وهناك أخطاء لاتعزى الى الظروف وانما الى

الحركة نفسها، أي ان افرادها أو بعض اعضائها يكون فهمهم لوحدتها فهماً ناقصاً سطحياً. فمنهم من يعتقد ان الاشتراكية هي ارجح وافضل وان الوحدة تأتي في الدرجة الثانية، ومنهم من يرى العكس، ولكن الشيء الذي يهمني التنبيه اليه، هو أن نكون حذرين كل الحذر امام من يتذرع تذرعاً ببعض الاهداف أو المطالب أو القيم القومية لاخفاء مصالحه الخاصة. . للدفاع عن مصالح خاصة سواء أكانت هذه المصالح ضخمة ام صغيرة. . فالاجتهادات الفكرية ليست دوماً فكرية، وكثيراً ما تخبىء وراءها المصالح والاهواء الشخصية. او ليس مما يدهش أو يدعو الى شيء من التساؤل والتشكك أن نرى ذوي المصالح الاقتصادية في الوطن العربي - أكثرهم أو بعضهم - يتحمسون للوحدة العربية تحمساً مشبوهاً، لايقصد منه اكثر من ضرب الحركة الاشتراكية، ومن القاء الشبهة عليها، واثارة الريب حولها بانها معيقة لتحقيق الوحدة ومبعثرة للجهود ومشتتة للافكار، وان اوانها لم يحن بعد، وان الوحدة اذا تحققت كفيلة بحل كل هذه الصعوبات؟

ثم لننظر الى هذا الوهم الآخر: هل صحيح انه اذا تحققت الوحدة فالاشتراكية وكل الامور الاخرى تتحقق؟. . ليس هذا صحيحاً ولا مضموناً، وفي التاريخ وحدات قومية تحققت على اساس رجعي اقطاعي تعصبي. . على اساس الاستغلال واحتقار الفرد والمواطن والحرية. . فهل نحن نؤمن بالوحدة كصنم أم نؤمن بها على انها وسيلة لتحقيق رسالة الامة؟. . فاذا لم تظهر من الآن ملامح الامة العربية الجديدة التي نريدها انسانية حرة ايجابية. . اذا لم تظهر هذه الملامح منذ الآن - والسياسيون جلهم من طبقة ذوي المصالح المجرمة - فمن يضمن لنا انها سوف تظهر عندما يحقق السياسيون الرجعيون الوحدة؟ أم انهم سينشئون دولة للعبيد مرة اخرى؟ اننا لا نفصل بين أهدافنا البعيدة ونضالنا الحاضر في سبيل تحقيق هذه الاهداف. ان ما نريده لامتنا بعد عشرات السنين يجب ان يظهر ولو بشكل موجز مصغر، يجب ان يظهر منذ الآن في نضالنا، نريد أمة حرة كريمة تؤمن بالانسانية والقيم العليا. . لها رسالة. . رسالة خيّرة. فلا يمكن ان نتجاهل هذه القيم اليوم ونرجىء تطبيقها الى حين تحقيق اهدافنا بعد عشرات السنين. . واذا كانت هذه

القيم لم تتجسد في نفوسنا واعمالنا منذ ان بدأنا النضال ووعينا هذه القيم، فاننا لن نحققها في يوم من الايام في المستقبل. . فالانقلاب العربي ليس هو الذي يتحقق عندما يتسلم حزب انقلابي الحكم في البلاد العربية كلها. . الانقلاب العربي يبدأ وفي نفس اللحظة منذ ان تتكون فكرة الانقلاب في اذهان الطليعة. وكلما زاد عدد افراد هذه الطليعة وجب ان يزداد تجسيد هذه القيم في تفكيرهم وسلوكهم النضالي. . عندها يكون استلام الحكم ثمرة لاختبار طويل طبيعي صادق بين هذه الافكار وبين حياة الشعب، ولا فرق بين الانقلاب وادوات الانقلاب، الذين هم المناضلون وهم افراد الشعب. اذا لم يكن المناضلون محققين لقيم الانقلاب منذ البدء، فمن المستحيل ان نصدق بأنهم سيتغيرون عند استلامهم الحكم، بل ان السلطة والقوة عرضة للاغراء ومجلبة لضعف النفس بدلاً من رفعها الى مستوى تلك القيم.

سؤال (٢): كيف يمكن ان نعلل نضال الشعب العربي في المغرب بينما هو يعيش في فقر، وحزب البعث يعتبر الاشتراكية شيئاً اساسياً في النضال العربي؟.

ـ لم اقل بأنه يجب ان يرتفع مستوى الشعب المادي حتى يستطيع النضال. واقع الحوادث وتاريخ حركتنا يدل على ان مستوى الشعب يرتفع نتيجة للنضال، وكلما ناضل استطاع تحقيق شيء من التحسن في اوضاعه، وكلما كان النضال محققاً لمستوى اقتصادي اعلى كلما كان اقوى واجدى. ان نضال المغرب لايشذ عن القاعدة بل هو اقوى دليل عليها. نضال اقطار المغرب الثلاثة يتجلى بأكمل صورة في نضال احد هذه الأقطار وهو الجزائر، مع ان الاوضاع في تونس ومراكش كانت احسن بكثير من حيث الحرية، من حيث الوضع الاقتصادي، من حيث مستوى السيادة السياسية. . فتونس ومراكش كانتا في مستوى المحميات، في حين ان الجزائر كانت تحكم حكماً مباشراً ويفنى شعبها ويجلى عن أرضه ويتحمل كل انواع الاضطهاد. . فكان نضال تونس ومراكش شبيهاً بنضال العراق وسورية زمن الانتداب الفرنسي والبريطاني، لذلك لم يعط هذا النضال كل نتائجه، وتوقف عند حد وسط من المساومة والمفاوضات كما هو معروف لديكم، وقبلت تونس في العام

الماضي بعد ثورة سنتين وتضحيات هائلة . . قبل زعماؤها باتفاقية لاتغير شيئاً اساسياً في الوضع، وتبقي لفرنسا السيطرة على كل شيء، وانما سمحت ببعض الاستقلال الذاتي كأن تكون للتونسيين وزارة ومجلس ثم عاد زعماء تونس فحصلوا على تعديل لهذه الاتفاقيات، وانتزعوا حقوقاً جديدة بفضل نضال الجزائر. كذلك مراكش يقال فيها نفس الشيء . . ففي تونس ومراكش، الحركة الاستقلالية ليست شعبية بالمعنى الصحيح لان قيادتها ليست شعبية . . الشعب يناضل ويدفع الثمن، ولكن القيادة هي تلك التي كانت منها طبقة النضال في سورية ولبنان والعراق . . طبقة اقطاعية بورجوازية. وهذه الطبقة تحارب الاستعمار: عين لها على العدو وعين على تجارتها واملاكها، لذلك لايمكن ان تصل في النضال الى آخره. ويأتي يوم تصبح فيه هذه القيادة التي عرفناها هنا وعرفها الشعب العربي في مراكش وتونس، تصبح قيادة النضال هذه خائفة من الشعب عندما يزداد نضال الشعب، اكثر مما هي خائفة من الاستعمار. اما في الجزائر، فالاستعمار نفسه حل المشكلة، لانه منذ قرن وربع القرن يعمل على افناء الشعب العربي هناك وعلى حرمانه من ابسط عوامل البقاء لتحويل هذه الأراضي العربية الى ارض فرنسية يستغلها الفرنسيون ويتكاثرون فيها . . ولكن العنصر العربي فيه صمود وفيه حيوية، وقد اوصله الاستعمار الى حالة يستوي فيها الموت والحياة. هذه هي الحالة الثورية الممتازة: ان العرب في الجزائر يقبلون على الموت لانهم لايخسرون شيئاً وقد يكسبون كل شيء. اذا خسروا فحياة ذليلة، وان كسبوا فحرية واستقلالاً ووحدة مع مجموع امتهم. والاستعمار الفرنسي لم يبق طبقة ارفع من طبقة، فكلهم في الفقر وفي الذل سواء. ولذا كانت اهدافهم القومية ومصالحهم الاقتصادية مترابطة كل الترابط، وكان نضالهم من أجل الحرية والاستقلال نضالاً من أجل اوضاع مادية افضل في وقت واحد، فكان نضالاً جدياً وشاملاً، وهذا يدل على ان الوضع المادي هو اساس التحرر، فحيث لم يصل الوضع المادي الى هذا الحد من الانخفاض - في تونس ومراكش حيث المستوى ارفع - لم يكن النضال شاملاً.

اما في الجزائر فانه نضال شامل، لأنه نضال حياة أو موت، وخلاص المغرب

العربي هو بيد الجزائر، لأنها هي البقعة الثورية الصحيحة التي لايمكن ان تتراجع عن الثورة مهما حشد الاستعمار من قوى لابادة هذه الثورة. فالشعب هنا اما ان ينال حريته او يفنى ولن يفنى اذ ان استمراره في النضال سيحرك جميع العرب وسيكون الظفر له آخر الامر.

واني أعود لألح على اهمية الأوضاع المادية لأن الشباب المثقف يعيش في وضع هو نسبياً مريح، لذلك قد تنشأ عنده اوهام لها نتائج خطيرة عندما يفكر في قضيته القومية ـ فالأجدى والأجدر بالشباب ان ينزل الى صفوف الشعب بين الحين والآخر، وان يتصل بالفلاحين في القرى وبالعمال وبالطبقة الفقيرة، وان يتعلم منها، لأن في حياتها دروساً كثيرة رائعة، لايستطيع الشباب ان يتعلموها في المدارس.. فالاوضاع المادية ليست مادة وانما هي الروح. عندما يصل الانسان الى حالة يصبح معها كأنه شيء وليس بشراً.. عندما تعوزه أبسط الوسائل للابقاء على الحياة في نفسه وللابقاء على الحياة في اسرته، فان نضاله عندئذ في سبيل تغيير هذا الوضع، وفي سبيل رفع مستواه، هو نضال من أجل إرجاع انسانيته.. فالاكل ليس للاكل، والدواء ليس لتسكين الألم، وانما ليعود الانسان انساناً يمارس مهمته كانسان، فيجدر بنا أن لانستهين بالوضع المادي، بل نعتبره أهم تعبير عن واقع الانسان..

سؤال (٣): كيف يمكن ان تتحقق الوحدة العربية؟ ان الأفكار التي ذكرها الاستاذ تحتاج الى وقت طويل لتتحقق، بينما «اسرائيل» خطر داهم وقريب جداً؟

ـ كنت أعطي بعض الملاحظات العامة عن نظرتنا الى الوحدة ونظرة الأخرين اليها، وعن علاقة الوحدة بالاشتراكية، ولكني لم اتعرض بعد للخطوات العملية، واسارع الى القول بأننا لانذهب الى أن الوحدة العربية ستتم دفعة واحدة، بل إن الطبيعي والمعقول أن تتم على مراحل، ونحن نقول بهذه النظرة، نظرة المراحل، ونعمل بها ولها: فالاتحاد بين قطرين أو ثلاثة هو مرحلة يجب ان تنصبّ عليها كل جهودنا حتى تثمر، وهي بدورها ستسهل الوصول الى مرحلة أعلى، الى توحيد اوسع وأبعد.. وأعتقد بأن سياسة الحزب في هذه الناحية ليست مجهولة، فالحزب قبل سبع سنوات وافق على مشروع الاتحاد بين سورية والعراق ضمن شروط، وفي السنة

الماضية طرأت ظروف سياسية معروفة جعلت تحقيق هذا المطلب متعذراً الآن.

وقال الحزب باتحاد يقوم بين اقطار متحررة كل التحرر من النفوذ الاستعماري ملتقية في سياستها الخارجية والعربية.. أن يكون بين هذه الأقطار اتحاد أو ما هو قريب من الاتحاد. وهكذا ساهم الحزب في مشروع الميثاق العربي، الذي كان مقدراً له منذ عام ان يضم مصر وسورية والمملكة العربية السعودية.. وقبل شهر من الزمن وضع في سورية ميثاق قومي بين الاحزاب، وكان حزبنا يطالب بالاتحاد التام مع مصر، وقد رفضت ذلك الاحزاب الاخرى بدون استثناء، وانتهى الجميع الى صيغة ضعيفة قريبة من الميثاق تقول بتوسيع الاتفاقيات بين مصر وسورية والسعودية حتى تشمل الى جانب الناحية العسكرية، النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية. وفي اليوم الذي يتخلص فيه العراق من أوضاعه الشاذة لايعود شيء أثمن من الاتحاد مع العراق. وأعتقد بأن هذا التحول الذي فرضته الظروف ـ ظروف خارجية لم يكن لنا حيلة فيها ـ كان لخير القضية، إذ أنه قرّب بين مصر والاقطار العربية الاخرى، واختصر الزمن مسافات طويلة. وهذا التفاعل الذي نراه ونلمسه بين مصر التي كانت مغرقة في الانعزالية، وبين الاقطار العربية الاخرى هو من الحوادث الخطيرة، التي تدعو الى الاستبشار، وليس لنا إلا ان نشجع هذا التفاعل بكل قوانا. أما القول بأن خطر اسرائيل لايسمح بالانتظار عشرات السنين فيحتاج الى توضيح.

اننا عندما نقول بأن أهدافنا تتطلب عشرات السنين حتى تتحقق، فليس يعني ذلك بأننا سنبقى ضعفاء نحرص على التجزئة وعلى كل الاوضاع الراهنة حتى تتحقق جميع الاهداف دفعة واحدة. فالاهداف الانقلابية ـ كما قلت ـ بدأ تحقيقها منذ اليوم الاول لوجودها في افكار الافراد، وهي في تفاعل مستمر مع الشعب، والشعب يضغط على الاوضاع الرسمية لتستجيب له، بقدر ما يكون في ضغطه من قوة. انني ما أردت من قولي إن عشرات السنين تنتظرنا، إلا أن ابين ان أهداف الانقلاب العربي أهداف أصيلة وصعبة وجدية، تحتاج الى نضال طويل حتى نصل الى ذلك المستوى الجدير بأمتنا، لان مطلبنا ليس هيناً.. ان مطلبنا ببساطة هو أن تعود الامة العربية للمساهمة من جديد في الحضارة الانسانية..

أذكر اننا قبيل معركة فلسطين الاولى، قبيل قرار التقسيم وبعده، وقبيل الحرب في سنة ١٩٤٨، عندما كان حزبنا يطالب ويلح في الطلب على الحكومات العربية لكي تعد الاعداد اللازم لمواجهة تلك المعركة، ويؤكد أن مواجهة المعركة في فلسطين تستوجب تحرير الشعب داخل الاقطار العربية لان المستعبد لا يستطيع ان يحارب. أذكر ان الرسميين في البرلمانات وفي دعاياتهم كانوا يجيبوننا دائماً هكذا: «هل من المعقول ان نفكر في أمور اخرى غير الحرب أمام خطر اكيد داهم كالخطر الصهيوني»؟ وهذه مغالطة شنيعة لأن الحرب غير ممكنة، اذا لم يقم بها الشعب، والشعب لايقوم بالحرب اذا لم يكن شاعراً بالحياة وحاصلاً على الحد الادنى من الحياة. وبعد النكبة تغيرت دعايتهم: «نحن الآن مشغولون بالاعداد لاسترداد ارضنا من العدو» والحجة أو الغرض في كلتا الحالتين هو عدم التعرض لهذه الاوضاع الفاسدة. قبل النكبة ليس هناك وقت والخطر مداهم.

وبعد النكبة ليس هناك وقت للتفكير ايضاً في الحلول الجذرية، وانما يجب أن نعد الوسائل الممكنة لمواجهة الخطر.

لقد حان الوقت اذن لكي نكشف المغالطة والخداع في هذا المنطق، فبدون نظرة جذرية الى أوضاع الشعب لا تكون هناك مقاومة جديّة للخطر الصهيوني.. بدون رفع المستوى الاقتصادي، بدون التوحيد الممكن لبعض الاقطار العربية، لايكون للدخول في معركة فعلية مع الصهيونية معنى جديّ.

فالخطر الصهيوني ـ فيما اعتقد لن يجد متحمسين ومستعدين لمواجهته مثل هذه الفئة الانقلابية ومثل الجمهور الشعبي الذي يتبعها، لأنه بدأ يدرك معنى الحياة القومية والرابطة القومية.. ونحن ـ مع علمنا بأن مشكلة بقاء الصهيونية في فلسطين قد لايحل هذا العام حتى لو وقعت حرب، اذ انها تتطلب تحقيق مستوى أعلى من النضال، من الامكانيات المادية والمعنوية ـ فاننا لن نتأخر عن خوض المعركة ولو كانت بعد أشهر، فان اعتقادنا راسخ بأن المعركة ان وقعت قريباً أو بعيداً فستكون محررة لا لفلسطين وحدها، بل للوطن العربي كله، لان الشعب عندما يدخل ساحة النضال لن يكتفي بالقضاء على عدو واحد.

وبهذه المناسبة أقول: إن نظرتنا الى الوحدة العربية تجعلنا نهتم بنضال الجزائر مثل اهتمامنا بقضية فلسطين، في حين ان الحكومات ـ كما تعرفون ـ تؤجل وتتجاهل هذا النضال العظيم الذي يخوضه الشعب العربي هناك، فتنظر اليه نظرة مادية سطحية جداً، بحجة حل مشاكلنا الداخلية اولاً، مع ان المعركة في الجزائر لاتتطلب غير شهور حتى تنتهي بالظفر فيما لو أمدت بالعون اللازم . .

عام ١٩٥٦

حول وحدة مصر وسورية
اتجاه طريقها وعقبات هذه الطريق

سواء أكانت الوحدة التي نعمل على تحقيقها بين مصر وسورية في هذا الظرف وحدة ام اتحاداً، فان ما نريده ونحرص عليه هو ان يكون اساسها متيناً وطريقها سليماً يسير نحو النماء والتكامل، ويوصل الى الوحدة العربية الشاملة. وبتعبير آخر، نريد ان تكون عناصر الحياة في هذه الوحدة الصغرى غالبة على عناصر الجمود والتناحر والشكليات الخادعة، وان تحقق هذه الوحدة توحيداً فعلياً خلاقاً بين أجزاء الشعب الواحد في مصر وسوريا وتوحيداً فعلياً خلاقاً لامكانيات الشعب المادية والمعنوية. فمتى كانت الخطوة الاتحادية شعبية ضمن لها الخلق والابداع والقوة المتفجرة بازدياد، وضمن لها ان تبقى في الاتجاه القومي السليم. ومقتربة يوماً بعد يوم، من التحرر الكامل، والوحدة الشاملة، والشروط الاجتماعية العادلة لجميع المواطنين.

ولكن ثمة منطلقاً آخر للوحدة أو الاتحاد، وطريقاً آخر، يمكن أن يقدما لنا كبداية واقعية، هما منطلق الجامعة العربية وطريقها، وقد برهنت الحوادث والكوارث طوال السنوات العشر الاخيرة على انه كان منطلقاً خاطئاً يكمن فيه الغش والتآمر، وان الطريق كان معكوساً أريد من انتهاجه تثبيت التجزئة لا الخلاص منها، وتخدير حاجة العرب الى الوحدة لا تلبيتها.

فهل يراد لهذه الخطوة الاتحادية المرتقبة ان تكون على غرار الجامعة، وان تكون سلطة الدولة المتحدة بيد موظفين واشخاص ضعاف كأمين الجامعة العربية،

وموظفيها، ويبقى لكل قطر من القطرين رئيسه المستقل، وزعماؤه المسيطرون، وهل يقتصر توحيد السياسة القومية على توزيع السفارات والقنصليات بين الدبلوماسيين من مصر وسورية بالتساوي؟ وهل ينحصر توحيد الدفاع في قيادة الجيشين، وهل يكتفى اخيراً من توحيد الاقتصاد بتبادل السلع، وبتنسيق جامد للاوضاع الاقتصادية الراهنة بين القطرين، بدلاً من **تحقيق التفاعل العميق بين القوى المنتجة على ضوء الحاجات الجديدة والنظرة الجديدة التي يوحي بها الاتحاد، والتي توجب توجيه الانتاج نحو ما تقتضيه الضرورات والاهداف القومية العليا؟**.

اذا كنا نطرح مثل هذه التساؤلات، فلأننا نعلم أن الانحرافات والتزييفات تهدد الوحدة في اولى خطواتها، وأن العقبات في طريقها ليست قليلة ولا يسيرة. فمن البديهي ان يكون الاستعمار واسرائيل متفقين متضامنين في مقاومة كل خطوة نحو الوحدة. ومن الطبيعي أن تكون الاقطاعية والرجعية في الداخل مشاركتين لهما الى حد كبير في هذه المقاومة. ولكن ما هو ليس طبيعياً ولا بديهياً أن يجد أعداء الوحدة الخارجيون والداخليون في كثير من رجال السياسة ومحترفيها أدواتهم المنفذة الأمينة. وفي اعتقادنا ان أعدى أعداء الوحدة العربية ليس الاستعمار ولا الصهيونية وليست حتى الرجعية الخائفة على مصالحها. لأن هذا العداء الصريح أو المفضوح للوحدة يحفظ بينها وبين اعدائها مسافة بينة واضحة تمنع ان تصل اليها سهامهم وسمومهم. ولكن الخطر الجدي على الوحدة هو من اولئك المدعّين لها، المتبجحين بها، الذين إنما يلصقون بها هذا اللصوق لكي يزيفوها ويمتصوا دمها ويخنقوا أنفاسها ويضعوا على لسانها ما لاتريد قوله ويجعلوها أسيرة بين أيديهم، ويهددون بها ويساومون عليها مقابل مراكز وزعامات شخصية حقيرة. والمخرج الوحيد من اخطار هذا التآمر وذلك التزييف، هو في اخراج مطلب الوحدة من نطاق الجدل العقيم، والمفاوضات والمساومات بين الحكام والسياسيين والنواب وحتى الاحزاب، وفي تسليمها الى جماهير الشعب العربي، وان توضح لهذه الجماهير حقيقة الاغراض والمصالح والاهواء التي تتآمر على الوحدة، وأن تبين لها الامكانيات

العريضة الواسعة التي تساعد على تحقيقها فيما لو أبعد عنها التآمر، وأزيلت من طريقها العقبات التي يضعها أدعياؤها قبل أعدائها.

ان هذا الوضوح في فهم قضيتنا، إذا انتقل الى الشعب، وتجسد في رأي عام نضالي منظم، يشكل وحده القوة الايجابية الفعالة التي تستطيع ان تجابه المؤامرات الخارجية والداخلية، والتي تخلق وتبني. والوحدة العربية خلق وبناء وثورة، لأن تحقيقها، والبدء الجزئي البسيط في هذا التحقيق هو أصعب ما يواجهنا، هو بالتالي المعيار الصحيح الدقيق لحقيقة الامكانات العربية المعبرة عن قدرة العرب أنفسهم، لا عن مجرد مواتاة الظروف الخارجية، والنفع الذي يأتي عفواً من تصارع القوى الاجنبية حولنا.

٧ نيسان ١٩٥٦

ثورية القضية العربية

حول وحدة الشعب العربي في سورية ومصر

لا بد لي قبل ان اتطرق الى موضوع الوحدة بين القطرين العربيين مصر وسورية وللضرورات التي تحتمها في هذه الظروف بالذات، من مقدمة بسيطة أشير فيها الى نظرتنا القومية الأساسية وتصورنا العام للقضية العربية منذ بدء حركتنا، أي قبل خمسة عشر عاماً. إذ ان مواقفنا السياسية خلال هذه المدة لم تكن سوى تعبيرات جزئية ومرحلية عن تلك النظرة الاساسية.

لقد تصورنا قضيتنا العربية تصوراً ثورياً إنقلابياً، وهذا يعني اننا ـ خلافاً للنظرة التطورية الكاذبة السائدة إذ ذاك في جو السياسة العربية والتي لا يزال لها آثار في هذا الجو ـ اعتبرنا الحل الصحيح لقضيتنا هو في معالجة أوضاعنا من جذورها وفي إعادة النظر في أسس حياتنا ذاتها. ولم نكتف بأن قدمنا حلنا الثوري كمستوى أعلى من مستوى الحل التطوري، بل كشفنا عن زيف الادعاء التطوري وما ينطوي عليه من خداع متعمد يقصد منه إخفاء المصالح الرجعية السياسية والاقتصادية من وطنية واستعمارية، لحماية هذه المصالح وضمان استمرارها، فالتذرع بالتطور في مرحلة لاينجع فيها إلا الانقلاب والثورة، ليس إلا رجعية مقنعة، وليس إلا سيراً في طريق تطورية كاذبة تعوق التطور الصحيح وتعاكس الثورة بدلاً من ان تكون مرحلة من مراحلها. وفي منطق نظرتنا الثورية مكان أصيل للتطور الصادق كمرحلة مؤدية الى

الثورة. إلا ان التطور الصادق لا يكون إلا منبعثاً ومولداً من العمل الثوري نفسه، أي بضغط القوى الشعبية الثورية على الواقع وبتفاعلها معه تفاعلاً موجهاً خلاقاً، وهذا ما تحقق فعلاً وظهر أثره في واقع الحياة العربية في السنوات الاخيرة. فقد حمل الضغط الشعبي الثوري الى جهاز الحكم في بعض الاقطار العربية افكاراً لم ير الحكام بداً من الاستجابة لها، كما حمل هذا الضغط نفسه الى الحكم في مصر رجالاً لا مجرد افكار.

ولكن هذه النظرة الثورية الى قضيتنا العربية تتضمن اول ما تتضمن، وتفرض بشكل ضروري قاطع: وحدة القضية العربية وعدم جواز تجزئتها. وتبعاً لهذه النظرة، فان ما بدأ يتحقق من خطوات تقدمية ـ أي تطورية صادقة ـ في السياسة الرسمية في مصر أولاً، وبدرجة ثانية في سورية، يستوجب ملاحظتين هما بمثابة الشرطين: **اولاً ـ ان نعتبر جدية هذه الخطوات التقدمية وصدقها متناسبين دوما مع مقدار الجدية والصدق في مراعاة وحدة القضية العربية، ثانياً ـ ان تبقى هذه الخطوات ومثيلاتها محمولة ومرتكزة دوما على دعامة الضغط الشعبي الثوري وان تتحول هي نفسها الى تنمية وتوسيع وتعميق لهذا الضغط في القوة والوعي.**

ووحدة القضية العربية تستتبع بالبداهة تحقيق الوحدة العربية، والوحدة العربية تؤلف دوماً في نظرنا هدفاً ثورياً لا ينفصل عن القوة الثورية الوحيدة التي هي الشعب العربي، وعن مطالب هذا الشعب واهدافه الثورية الاخرى في التحرر من الاستعمار، وفي التحرر الداخلي: السياسي والاقتصادي والفكري. فثورية الوحدة العربية تعني إذن ان الوحدة لا تتحقق من فوق، وعلى الاساس الذي قامت عليه «جامعة الدول العربية»، بل من اعماق جماهير الشعب العربي، ممتزجة بصميم حاجات هذا الشعب، وبصميم نضاله التحرري والاجتماعي، وتعني ايضاً ان الوحدة، وان تكن تتطلب لكي تتحقق، وقتاً وجهداً ومراحل، فان امكان تحقيقها يشترط ان نتخذها بداية وموجهاً لنضالنا، أي ان تكون جميع خطواتنا الاخرى منفتحة عليها، متصلة بها، موصلة اليها، مضحين في سبيل ذلك بكثير من المصالح القطرية الآنيّة، متغلبين على العقبات التي تقيمها في وجهنا عقلية التجزئة، لأننا لن

نجد الوحدة في آخر طريقنا، اذا لم نضعها في أوله.

بالاستناد الى كل ما تقدم يمكن ان يفهم موقفنا من هذه الخطوة السليمة الضرورية التي هي وحدة مصر وسورية، كما يمكن أن يفهم لماذا كنا أول المطالبين بها مع جماهير الشعب العربي الموجهة توجيهاً قومياً سليماً في سورية والاردن والعراق ولبنان. ذلك لأن الدعامتين الاساسيتين المكملتين لدعامة الوحدة واللتين هما الحرية والاشتراكية لا تتوافر شروطهما لقطر عربي مثل توافرها لمصر وسورية. وحتى بين هذين القطرين، وبالرغم من أسبقية سورية الزمنية في الدعوة للوحدة العربية، فإن شروط مصر اليوم من حيث كونها اكثر تحرراً واستقلالاً حيال نفوذ الاستعمار وضغطه، وأكثر استجابة لحاجات الشعب الاجتماعية تجعلها اكثر استجابة لمطلب الوحدة القومية وحاجة الشعب اليها. وجدير بنا أن نتبين حقيقة التطور الذي طرأ في هذه الناحية على مصر في عهدها الجديد: فباستثناء التأثير التاريخي العميق الذي أحدثته معركة فلسطين فيها وفي غيرها من أقطار العروبة على السواء، فإن الاتجاه العربي الجديد في مصر لم يأتها من غيرها بقدر ما كان نابعاً من داخلها ومن صميم الشعب العربي فيها بمجرد ما انهار أمام هذا الشعب السدان المنيعان: سد الاستعمار وسد الطغيان والرجعية وتهيأت له الشروط السليمة كي يسترجع عفويته ويلتقي من جديد بشخصيته العربية الاصيلة.

لهذا كله نؤمن بأن وحدة مصر وسورية ستكون وحدة سليمة من كل أثر استعماري، ووحدة شعبية صحيحة تزخر بامكانيات القوة والتحرر والبناء، وتشكل نقطة جذب قويّ يضمن لها في وقت قريب أن تسع الامة العربية جمعاء.

٢٥ نيسان ١٩٥٦

ملامح الوَحدة العَربَيـة في اتحاد مَصر وسوريـة

اصبح اليوم واضحاً لابناء الوطن العربي، وحتى للرأي العام العالمي المطلع، ان الكارثة التي حلت بالعرب في فلسطين قبل ثماني سنوات كانت المناسبة التاريخية لتفجير الوعي العربي بحد من العمق والوضوح والشمول يؤهله لحمل عبء القضية القومية الضخم.. بما يحققه من امكانيات شعبية متوافقة متناسقة، كان اكثرها الى زمن قريب مخنوقاً مهدوراً، وكان الشيء الضئيل المتحقق منها متعاكساً مبعثراً.

ولكن الشيء الذي لم يتضح بعد الا للقلة العربية الانقلابية التي بلغت ذلك الحد من الوعي قبل نكبة فلسطين بسنوات، هو ان هذه النكبة ما كانت لتدفع بالعرب في طريق تحول تاريخي صاعد لو لم تكن ثمة خميرة من الوعي العربي الانقلابي تجسدت في نضال الطليعة الشابة في سورية والاردن وفلسطين، واثرت في الافكار والاوضاع بشكل جعل من النكبة منطلقاً للتحرر الجذري في الداخل والخارج. ولبناء الوحدة العربية بناء سليماً.

إننا نقرر هذه الحقيقة لا بدافع الوفاء للتاريخ، فالتاريخ لن يعدم من يفيه حقه، بل بدافع الايمان بأن قضيتنا القومية هي قضية فكر ووعي وعقيدة واضحة قبل كل شيء، وانها يجب ان تبقى كذلك. فكارثة فلسطين، وان لم يكن متوقعاً أن تحدث

كما حدثت تماماً وفي الوقت الذي حدثت فيه، فانها على كل حال قد جاءت برهاناً حسياً على عقيدة الوحدة والحرية والاشتراكية، ومجالاً خصباً لانتشارها وتحققها. وكانت اضخم نتيجة لها ان قفزت مصر من فوق اسوار العزلة والانحراف القطري قفزة تاريخية ربطت مصيرها بمصير العروبة ربطاً واعياً خلاقاً.

قبل سنوات معدودة، كان العرب يلتفتون الى سورية والعراق، وينتظرون من احد هذين القطرين، او منهما كليهما، أن يكونا للوطن العربي المجزأ ما كانت بروسيا لالمانيا في القرن الماضي. اما مصر، فكان يبدو ان اندماجها في جسم العروبة يتطلب زمناً طويلاً. واقصى ما كان يؤمل منها الا تقف عثرة في طريق الوحدة القومية.

ثم حدث الانقلاب العسكري في مصر كنتيجة مباشرة لا ثر معركة فلسطين في جيشها. ولم يكن للانقلاب نظرة واضحة نسبياً إلا في ما يختص بالاصلاح داخل مصر. وظلت التيارات الانعزالية القديمة تضغط وتتجاذب حكومة الثورة زمناً، وظل الحكام الى ما قبل عامين يقولون انه لا يهمهم ان تتحد سورية مع العراق اومع تركيا! ولكن المنطق العربي الانقلابي كان خلال هذه المدة يفعل فعله ويفيد من الظروف الجديدة ويوجهها لمصلحته. فقضية فلسطين ماثلة دوماً تشد مصر الى موضعها من الجسم العربي، والخطر الصهيوني اخذ يظهر على حقيقته بأنه والاستعمار شيء واحد، والاصلاح الداخلي هيأ الجو والسبيل لمزيد من الثقة والجرأة في مكافحة الاستعمار على نطاق عربي بل عالمي. وفي «باندونغ» استكمل جمال عبد الناصر حلقات هذا المنطق الجديد الذي كان يوجه الشعب في سورية قبل «باندونغ» بسنوات، فلولا هذه الخميرة الشعبية الانقلابية في سورية والاردن ولولا ضغطها وتفاعلها مع سياسة الثورة في مصر، لأمكن ان تتخذ الثورة غير هذا الاتجاه الذي تتجمع فيه اليوم كل آمال العرب في الخلاص.

وان اتحاد مصر وسورية الذي نسعى اليه اليوم لا تقتصر فائدته على توحيد قطرين بامكانياتهما العسكرية والاقتصادية، بل تتناول ايضاً توحيد وتدعيم الاتجاه العربي الانقلابي الذي نشأ في سورية بطريقة نضالية شعبية، وتجاوب معه رجال

الثورة في مصر تجاوباً يتأكد صدقه وعمقه يوماً بعد يوم، ويهيء لهذا الاتجاه، بما لمصر من موقع متوسط ممتاز بين اجزاء الوطن العربي وبما لها من رقي وغنى في الامكانيات، ان يحقق المعجزات ويقلب وجه التاريخ.

ان وحدة او اتحاداً يقوم بين سورية ومصر ليختلف في المستوى والاتجاه وملامح المستقبل عن الاتحاد الذي يمكن ان يقوم او كان يمكن ان يقوم في الماضي، بين سورية وأي قطر آخر. فهو اتحاد يتجاوز اولاً مرحلة التفكير القومي التعصبي الذي يتخذ بروسيا والوحدة الالمانية قدوة له، وهو ثانياً بطبيعته وبحكم منطقه الانقلابي منفتح على سائر اجزاء الوطن العربي، يتفاعل معها تفاعلاً قومياً وسياسياً واجتماعياً في صميم مصالح الشعب العربي ونضاله التحرري في الداخل والخارج، ولا يمكن بالتالي ان ينغلق او يتوقف نموه، بل يحرك الاقطار الاخرى ويتحرك بها، وهو اخيراً الاتحاد الذي يحمل منذ الآن صورة القومية العربية الاصيلة، ويذور رسالتها الانسانية: تحقيق الحرية الفعلية للفرد وللمجموع، للعرب وللعالم، وتحقيق تعاون حر بين شعوب اشتراكية حرة.

١ حزيران ١٩٥٦

اتحاد سورية ومصر

ثمرة النضال العربي التحرري وضمانة استمراره

نحن الآن في قلب معركة قومية جليلة تصغر امامها المعارك وتهون. ان معركة الوحدة تتطلب من شعبنا العربي وقادته من فضائل الوعي والتجرد والاقدام اكثر مما تطلبته منهم في اي وقت مضى. فمعارك التحرر والانعتاق المتلاحقة التي يخوضها شعبنا منذ نصف قرن والتي اعطى فيها براهين رائعة على حيويته وبطولته ونزوعه الاصيل الى الحرية وقدرته على التضحية والفداء لم تكن الا مقدمة وتمهيداً للمعركة الجديدة التي تنتظره والتي تمتحن فيها قابليته للخلق والبناء. واكبر امتحان يتعرض له قادة الشعب في هذا الظرف هو ان يعطوا الجواب العملي الناصع، بمواقفهم وتصرفاتهم، على السؤال التالي: هل تتعين السياسة كلها بالمصالح الطبقية والمنافسات الحزبية والانانيات الشخصية، أم ان للسياسة صعيداً آخر اعلى يمكن ان ترتفع اليه في بعض الحالات هو الصعيد القومي الذي يتلاقى عليه الجميع، من اجل تحقيق هدف يعود بالخير على الجميع وعلى الامة واجيالها؟ وبتعبير آخر: هل القومية لفظة شكلية أم ان لها محتوى حياً يجب ان يفصح عن نفسه وان يفرض نفسه في مثل الظرف الذي نحن فيه والذي تتهيأ فيه الشروط لاول مرة منذ قرون لتحقيق خطوة اتحادية تكون الضمانة لعدم ضياع ما حققه شعبنا حتى الآن من انتصارات على الاستعمار، وتفتح الطريق عريضة واسعة امام استكمال تحرره ووحدته ونهضته؟.

بهذه الروح وهذه النظرة نادينا بالحكم القومي الائتلافي وتقدمنا للاشتراك فيه لنساهم مع غيرنا في تحقيق هدف قومي عزيز على العرب في كل قطر، هو اتحاد مصر وسورية، ولم نكن نجهل ما يمكن ان ينشأ في طريق هذا الهدف من عقبات، في الخارج والداخل، وان الخطوة الاولى هي صعبة دوماً. ولكن الفرق كبير بين ان نجمع على اقرار المبدأ لنتعاون فيما بعد على معالجة العقبات وتذليلها، وبين ان نمتنع عن ولوج الطريق لان فيه عقبات. واول عقبة نذللها هي عندما نتبنى الاتحاد بصراحة لا غموض فيها ولا تردد، وبروح ايجابية مؤمنة متفائلة تجعل الحكم القومي الائتلافي يتجاوب مع وعي الشعب وارادته. ويقوي في الشعب هذا الوعي وهذه الارادة، لان الشعب هو الضمانة آخر الأمر.

لأول مرة تتوافر شروط الاتحاد لقطرين عربيين لا تشوب استقلالهما شائبة، ويصبح مصير الوحدة العربية بأيدي العرب انفسهم. ولأول مرة ايضاً يظهر ان العقبات التي تعترض سبيل الوحدة هي نفسها التي تعترض سبيل التحرر، وانها في الدرجة الاولى عقبات عربية ناتجة عن فساد الوضع الاجتماعي الداخلي: ولقد ادت الخطوات التحررية التي حققتها مصر وسورية في العام الأخير الى طرح شعار الاتحاد بين هذين القطرين كشيء واجب التحقيق العاجل. ولكن التلكؤ في الاستجابة لهذا المطلب القومي الواقعي لن ينتج عنه مجرد تأجيل للاتحاد بل تعريض لخطوات التحرر نفسها ان تتراجع وتنتكس. فالنضال العربي غدا ذا منطق قاهر. وعليه ان يتقدم دوماً لكيلا يضطر الى التراجع.

ومن هنا كان اشتراطنا لدخول الحكومة القومية الائتلافية ان تتعهد بتحقيق الاتحاد بين مصر وسورية، لعلمنا بأن الحكم القومي الذي يعني فيما يعنيه تأجيلاً او تضييقاً للمعركة الداخلية، يفقد مبرراته ويتحول الى تخدير للشعب اذا لم يكن ثمنه ذلك الكسب في المجال القومي العربي الذي هو الاتحاد. في حين ان تأجيل المعركة الداخلية بلا مقابل ولا مبرر، ان هو الا تمهيد لضرب السياسة التحررية والعودة الى التبعية الاستعمارية.

هذا ما يرتب على حكومة الشقيقة الكبرى مصر ان تتفادى خطر الردة

الاستعمارية باقدامها اقداماً واعياً جريئاً على تحقيق النتيجة المنطقية للسياسة الناجحة التي سارت عليها حتى الآن، وهذا ما يرتب على الاحزاب في سورية ان تقبل بهذه الخطوة وتقبل عليها بثقة وتفاؤل اذا كانت تريد فعلاً ان يسود الوئام في هذه الفترة داخل سورية، وان تحاول تجربة مخلصة للتعاون والتطور السلمي.

٢٢ حزيران ١٩٥٦

اتحـــاد مَصـر وَسـوريَة

اذا كان ثمة موضوع يمكن ويجب أن يعلو على الخلافات الحزبية والاجتهادات الضيقة، فهو موضوع الوحدة. إذ ما نفع اجتهادات الاحزاب وعملها، بل ما الفائدة من وجودها اذا بقي وطننا مقطعاً الى اجزاء لايستطيع أي منها ـ مهما يكن واسعاً قوياً ـ ان ينهض وحده، وبشكل عميق أصيل، بعبء المبادىء التي تنادي بها الاحزاب، هذه المبادىء التي ما كان يمكن ان تنزع الى العمق والاصالة والشمول لو لم تكن مستلهمة من تاريخ الامة العربية يوم كانت موحدة، ولو لم تكن صورة الوحدة المقبلة دوماً في أذهان حملة هذه المبادىء وقلوبهم.

يتعذر على أي كان أن يفسر عنف النضال الذي خاضه وما زال يخوضه شعبنا في اقطاره الواسعة واجزائه الصغيرة المنعزلة، سواء ضد الاستعمار الاجنبي الغاشم، أو ضد الطغيان الداخلي والاوضاع المتخلفّة الفاسدة، اذا لم يضع نصب عينيه هذه الحقيقة وهي: ان الشعب العربي، في بقاع وطنه، كثر عدده أم قلّ، انما يناضل مسلحاً بقوة الامة العربية كلها، لانه يناضل في سبيل حرية الامة العربية كلها، كما انه يتعذر على اي كان ان يفسر كيف يرتفع شعبنا فوق نفسه في بعض اللحظات القومية المقدسة ـ كهذه اللحظة التي نحياها الآن ونعقد فيها العزم على تحقيق أول خطوة عملية في طريق وحدتنا ـ فتتلاقى القلوب والجهود على صعيد المصلحة العربية العليا، وفي سبيل بناء المستقبل، نقول انه يتعذر على المرء تفسير ذلك اذا لم يضع نصب عينيه

تلك الحقيقة، وهي اننا لم نجمع امرنا هنا في سورية، ولم يوطد اشقاؤنا عزمهم في مصر، على هذه الخطوة المباركة كسوريين ومصريين إلا لاننا هنا وهناك نشعر ونعرف ان تلك هي ارادة الامة العربية في كل مكان، وانه لايسعنا إلا الاستجابة لتلك الارادة.

من خلال هذا الافق وهذه النظرة، ندرك ان خطواتنا هذه قومية خالصة، ايجابية كلها، لا أثر لسلبية فيها. فليس فيها نكاية لفئة أو تحد لقطر ما دامت في مصلحة جميع العرب، وما دامت خير بداية هيأتها الظروف ونضال الشعب الطويل لجمع العرب في كيان واحد. واذا كان لأحد ان يستاء منها ويكيد لها، فهم الاستعماريون أعداء حرية الشعوب ودعاة الحرب وأذنابهم الصهاينة الباغون المعتدون.

لقد آمنا دوماً كما آمن الشعب بأن الوحدة هي أعظم المطالب القومية والاهداف الثورية التقدمية. اذ لايعقل ان يكون شعبنا قادراً على أن يحقق، وهو مجزأ مبعثر، مثل هذه الانتصارات على الاستعمار ومثل هذه الخطوات في مضمار التقدم، وأن لايحقق اضعافها عندما تتكتل جماهيره، ويتضاعف عدده ووسائله. والشعب لايأخذ على بعض مشاريع الوحدة كونها رجعية، بل كونها وهمية، لان الوحدة والاستعمار نقيضان. وما نشاهده ونعانيه في مرحلتنا الحاضرة خير دليل على ذلك. فزوال الاستعمار يوقظ الوجدان العربي في الاقطار التي كانت عروبتها هاجعة، وسيطرة الاستعمار تشل اكثر الاقطار العربية حماسة للوحدة.

وهذا يعني ان الوحدة ـ على جلال شأنها ـ لايمكن أن تنفصل عن الاهداف القومية الاخرى، ولا أن تجرد عن الواقع تجريداً عاطفياً خيالياً يفسح المجال أمام تشويه الاستعمار ودسائسه. فلا بد اذن أن يكون للوحدة اتجاه، وأن تتجه نحو التحرر والتقدم، فهما طريقها وغايتها، وهي لهما الضمانة الكبرى.

وقد أعطى نضال العرب الصادق، ووعيهم النيّر، اولى ثمراته بأن تهيأت في الخطوة الاتحادية بين مصر وسورية أسلم الشروط لبداية وحدة ذات اتجاه. واتجاهها التحرري التقدمي، بالاضافة الى العوامل الجغرافية وملابسات خطر اسرائيل، يحتم عليها أن تكون نواة متفتحة وجاذبة مستقطبة لبقية أقطار العروبة في المشرق والمغرب.

واننا نخطىء أيما خطأ إذا سلّمنا بفائدة هذه الخطوة دون ان نسلّم بضرورتها القاهرة، إذ انها ليست خطوة الى الامام فحسب، بل انها الضمانة الوحيدة لكي لانتراجع عما حققناه حتى الآن ولكيلا نفقده. فكل تحرر لاتضمنه الوحدة يبقى مزعزعاً معرضاً للانتكاس، وكل تقدم يظل سطحياً مشوهاً ممسوخاً ما لم تفتح له الوحدة اجواء النماء.

إذا كنا جادين في تقدير عظم الاخطار المحيقة بنا، فهذا الاتحاد خير سبيل للوقاية وللدفاع، وإذا كنا واثقين بامكانيات شعبنا، مؤمنين بنزوعه الصادق الى الحرية والعدالة والوحدة، فهذا الاتحاد سيكون المحرك الفعال لتلك الامكانيات، يضاعف الثقة، وينسق النضال ويختصر الزمن، لخير العرب وخير الانسانية.

٦ تموز ١٩٥٦

نضال الوحدة هو نضال الجماهير

ان النظرة العربية الحديثة[1] نظرة انقلابية تؤمن بضرورة تحقيق تبديل أساسي في حياة الأمة العربية، في مختلف النواحي: في الاوضاع السياسية وفي الاوضاع الاجتماعية، وفي الحالة الفكرية والخلقية، وان أي تصور للسياسة يفصلها عن النواحي الاخرى هو تصور سطحي لايمكن ان يعطي اية نتيجة جدية في نضالنا من أجل التحرر من الاستعمار، والتحرر من الاوضاع الداخلية الجائرة. فالسياسة في هذا العصر تعبير كامل عن حياة المجتمع كله، ولذلك لم نفهم الوحدة على انها يمكن ان تتم اويمكن ان تبدأ وان تسجل أي تقدم مهما يكن بسيطاً اذا حصرناها في النطاق السياسي وحده، بل ان واجبنا هو ان نجعلها تعبيراً عن نضال العرب الكامل للتحرر من سائر الاوضاع الرجعية والظالمة والفاسدة التي يرزحون تحتها، أي ان الوحدة تعبير عن النضال ضد الاستعمار وضد الطغيان الداخلي وعن النضال ضد الاستغلال الطبقي وضد التأخر والجمود الفكري، ولذلك انتقلت الوحدة أو بالأصح انتُزِعت قضية الوحدة من أيدي السياسيين والحكام الذين كانوا ينادون بها دون إيمان، ويتاجرون بها احياناً ويخدرون بها عواطف الشعب ويوهمونه بأنها ممكنة

---

(١) من حديث القي في نادي المغرب بالقاهرة في آذار ١٩٥٧ .

التحقيق في الاجتماعات والمؤتمرات بين السياسيين والحكومات دون ان يحملها الشعب بنضاله اليومي التحرري والاجتماعي، ودون ان يمزجها بنضاله من اجل خبزه اليومي ومن اجل التخلص من الاستعمار الاجنبي، وبظمإه وحاجته القصوى الى بناء حياة تقدمية. فأصبح شعار الوحدة وقضية الوحدة بيد الجماهير المناضلة، واصبحت قضيتها وجهاً من وجوه النضال العربي الشامل واصبح يسري فيها نفس الدم الدافىء الغني الذي يغذي نضال شعبنا لانتزاع حريته من الحكم الاجنبي، ولاسترداد حريته الداخلية من الطغاة ولاسترداد حياته اللائقة الانسانية من الطبقة المستغلة. وهكذا دخلت الوحدة في هذا الجو الحي الحار ولم تعد تنفصل عن سائر أهداف واماني وحاجات الشعب العربي في كل قطر.

وبهذا الربط الوثيق الحي بين الوحدة وبين الحاجات الحيوية الاخرى لشعبنا، بهذا الربط وهذا التفاعل أخذت تظهر وتتضح ملامح هذه الوحدة بعد ان كانت غامضة ملتبسة مشبوهة، وظهرت الملامح الايجابية لوحدتنا العربية في هذه السنوات الاخيرة بعد ان كان يظن ان الوحدة العربية هي وحدة على شكل امبراطورية يحققها الملوك أو تحققها الجيوش الغازية أو يحققها الاقطاعيون والامراء والاغنياء ليقيموا وحدة قسرية بالاكراه، وليوحدوا في الواقع طبقة من الحكام ضد اكثرية الشعب حتى تتمكن هذه الطبقة من احكام سيطرتها ومن اخفات كل صوت يطالب بالحرية والعدالة، ولكي يسود التعصب والتناحر بين فئات الامة الواحدة واقطار الوطن الواحد وبين اكثرية واقليات عنصرية وغير ذلك. واذن، فالوحدة في السنوات الأخيرة تظهر بوجهها الصحيح الصريح، وجه حر تقدمي انساني، لان جماهير الشعب هي التي تحمل نضال الوحدة وهي التي تغذي هذا النضال بتضحياتها وآلامها وقد تخرج صورة الوحدة من الآلام والتجارب التي ابعدتها نهائياً عن كل تعصب وكل تفرقة، ما دام نضالها قائماً ضد التعصب والاستعمار وضد ادعاء بعض الشعوب بأنها متميزة ومتفوقة وبأن لها الحق في استعباد شعوب اخرى، فلم يعد ثمة خوف على الوحدة العربية ان تتجه اتجاهاً رجعياً أو عنصرياً او انكماشياً عن المجموعة البشرية، ما دامت هذه الوحدة تنبثق من النضال الشعبي وتعبر عن حاجات هذه الجماهير الشعبية

المناضلة في سبيل التخلص من الاستعمار والتمييز العنصري وفي سبيل التخلص من الاستغلال الطبقي، والتخلص من كل عوامل التفرقة والضعف التي كانت الثغرة التي دخل منها الاستعمار ودخلت منها التجزئة فضاعت سيادة الامة العربية وضاعت وحدتها مدة طويلة من الزمن.

ولا حاجة لتقديم الامثلة على ذلك، فهي ماثلة أمام الجميع، بل اننا كلنا نحياها يوماً بعد يوم في نضال شعبنا في كل قطر من اقطاره، اذ ان كل خطوة يسجلها شعبنا العربي في طريق التحرر من الاستعمار الاجنبي تقوّي اندفاعه نحو الوحدة وتزيل من طريقه كثيراً من العقبات وكثيراً من الاوهام والالتباسات كانت قائمة من قبل فاذا هي تنهار وتتلاشى. فان ما حدث في الأردن مثلاً هو مثال حي قوي على ان التحرر من السلطة الاجنبية دك الحواجز المصطنعة التي أقاموها حول ذلك القطر الصغير وزعزع المصالح والعقلية والعواطف الاقليمية التي حاولوا زمناً طويلاً ان يخلقوها له، فانهارت مع انحسار سلطان الاجنبي، لان جماهير الشعب هي التي قامت بهذا النضال ولانها تدرك ما أهمية الوحدة وما هو الاتجاه الصحيح لهذه الوحدة.

كذلك وبنفس الدرجة من القوة والحياة نرى نضال شعبنا في الجزائر الذي حمل معه بطبيعة الأمر ودون تعمد، فكرة الوحدة. وكلما سجل خطوة الى الامام قويت فكرة الوحدة العربية بمجرد انفصال الشعب العربي هناك عن الاستعمار وان نضال الجزائر هو المثل والقدوة للنضال العربي في كل مكان، لانه قام على أساس شعبي بكل ما في هذه الكلمة من معنى، لان الاستعمار في قرن وربع القرن ورغم محاولته افناء الشعب العربي في الجزائر لم ينجح إلا في ابعاد العوائق من طريق هذا الشعب. فلقد حقق الاستعمار دون قصد منه مساواة في البؤس وفي الظلم بين جميع أفراد الشعب العربي، فخرجت ثورة الجزائر ثورة شعبية اصيلة، قفز وعيها الى أعلى المستويات، رغم ما كان يجثم على هذا القطر من اثقال الجهل والتجهيل بفعل الاستعمار نفسه، إلا ان النضال هو خير مربّ للوعي لانه ممارسة مباشرة وصحية لمعنى الحرية ولمعنى الحق والعدل ولمعنى التقدم، فانطلقت من ثورة الجزائر

المعاني القومية الحديثة التي لم تتوصل اليها أقطار الشعب العربي دفعة واحد وانما خلال عشرات السنين وبالتجارب المتعددة وبالدراسة والبحث. أما النضال العربي في الجزائرفقد بلغ هذا المستوى السليم لانه كان نضالاً جماعياً ويقوم على طبقة الشعب دون عائق من المستغلين والمساومين فبرزت صورة المجتمع العربي الجديد من خلال لهب هذه الثورة العميقة الصادقة.

اذن أنتم ترون ان طريقنا يتجه أكثر فأكثر نحو الاستقامة وسلامة الاتجاه، بمقدار ما يدخل الشعب وتدخل جماهيره ساحة النضال وتتحمل أعباءه وتدفع ثمنه وتحيا تجربته بعمق، فان نظرة سريعة الى ما كان عليه التفكير القومي في البلاد العربية قبل عشر سنوات لا أكثر يرينا أيّ فرق كبير وأية قفزة هائلة حققها الشعب العربي عندما انفتحت أمامه سبل النضال واسعة. فلقد كنا قبل عشر سنوات أو اقل، ندعو ونناضل من أجل الوحدة وفي الوقت نفسه نضطر الى التحذير والتنبيه والمقاومة والدفاع لاتقاء مشاريع في الوحدة والاتحاد كان الاستعمار ينفذ من خلالها ليغشها ويزيفها بمساعدة الطبقة الحاكمة والاقطاعية، ليجعل من هذه الوحدة مرتكزاً لسلطانه واستعماره، وسبيلاً لعقد المحالفات والاحلاف وتوسيع استغلاله، وكنا مضطرين الى ان نحارب ايجابياً في جبهتين لنقوي تيار الوحدة القومية، ونحذر من هذه المشاريع المنحرفة، ولكننا اليوم لم نعد بحاجة الى مثل هذا، ففكرة الوحدة ونضالها في الطريق السليم لأن هذا النضال قد اقترن بصورة نهائية وكلية بالنضال في سبيل التحرر من الاستعمار. وفي سبيل بناء مجتمع ديمقراطي اشتراكي عادل.

آذار ١٩٥٧

للوحدة طريق واحدة

في منتصف القرن الماضي كانت المانيا لا تزال مجزأة، وكان موضوع الوحدة يفرق بين شمالها وجنوبها، لأن الشمال كان يضم دولة بروسيا الكثيفة العدد ذات المجتمع الاقطاعي العسكري الرجعي، بينما كان الجنوب يضم دويلات تفشت فيها مبادىء الثورة الفرنسية وظهرت الافكار الاشتراكية، لذلك كانت تخشى الوحدة لأن الوحدة تعني بالنسبة اليها خضوعاً للرجعية البروسية، وضياع حرياتها الديمقراطية وآمالها في التقدم الاجتماعي. ولكن الشعور القومي كان أقوى من هذه المخاوف، وتحققت الوحدة الالمانية على يد بسمارك رجل بروسيا وأقوى ممثل للرجعية الالمانية السياسية والاجتماعية. وتحدد من ذلك الحين مصير المانيا في اتجاه السيطرة ومعاداة الحرية في الداخل والخارج معاً.

واما وضع الاقطار العربية فمختلف عن ذلك اختلافاً جوهرياً. وأهم سبب لذلك هو وجود الاستعمار وتسلطه على أكثر هذه الاقطار. فالرجعية العربية هي ايضاً تتمنى لو تستطيع ان تجمع كل هذه الاقطار تحت سيطرتها واستغلالها، ولكن وجود الاستعمار وحرصه على ابقاء التجزئة العربية من جهة، وكون الشعب العربي هو المادة الاساسية لمقاومة الاستعمار من جهة أخرى، كل هذا يحول بين الرجعية العربية وبين ان تقوم بالدور الذي اضطلعت به الرجعية الالمانية، ويفرض عليها اما ان تتخلى عن جميع امتيازاتها كطبقة رجعية واما ان تعادي الوحدة وتستميت في الدفاع عن التجزئة. ولقد كان ممكناً قبل عشر أو عشرين من السنين، حين كان نضال العرب ضد الاستعمار ضعيفاً مجزءاً، وحين كان الوعي الاجتماعي غامضاً

مبتدئاً، أن يسود موقف الرجعية من الوحدة بعض الالتباس والتضليل، فتتظاهر بتبني دعوتها وتضع لها المشروعات الخيالية. اما اليوم وقد بلغ النضال العربي التحرري هذا المستوى الذي ظهر في مصر والجزائر، يرافقه ويمتزج به وعي اجتماعي تقدمي لا ينفك في ازدياد وتصاعد، فان موضوع الوحدة العربية وخطوات تحقيقها، لم يعد قابلاً للغموض والالتباس، فالوحدة اصبحت بالبداهة مرادفة للتحرر لأن الاستعمار لا يخشى شيئاً كخشيته لها، كما ان الوحدة اصبحت مرادفة للتقدمية في الداخل، لأن الرجعية التي تستسلم للاستعمار وتتحالف معه ضد مطالب الشعب الاجتماعية، لا تستطيع الا ان تكون مع الاستعمار ايضاً في مقاومته لتيار الوحدة.

ولئن كان ثمة من مثل يجسم هذه الحقيقة فانه يكون مثل لبنان. لقد ظل هذا القطر الى أمد قريب يمثل شذوذاً عن القاعدة لانه أكثر الاقطار العربية استمساكاً بالتجزئة، وهو في نفس الوقت قطر حريص على استقلاله متعلق بالحريات الديمقراطية، متطلع الى حياة اجتماعية تقدمية. وظل هذا الوهم قائماً حتى بلغت الحركة العربية نضجها الحالي وطريقها الذي تسير فيه أهداف الحرية والاشتراكية والوحدة في نضال متآلف متكامل، فاذا بالوهم يتبدد، واذا بحكام لبنان والطبقة المستغلة للتجزئة فيه لا تستطيع الدفاع عن هذه التجزئة إلا بالتخلي عن جميع المبررات وبمناقضة كل المدعيات التي كانت تتستر بها. لقد تخلت عن استقلال لبنان وعن حرياته وتقدميته، وحكمته بالحديد والنار ونفوذ المال والاقطاع، واستعانت على ذلك بأبشع ما في الاقطار العربية الاخرى من رجعية وتخلف، وهكذا عاد لبنان ليؤيد القاعدة ويثبت كغيره، سواء بسواء، أنه حيث توجد التجزئة لا بد ان يوجد الاستعمار والاستبداد والرجعية.

وتمشياً مع هذا المنطق نفسه نقول: حيث توجد الرجعية وحيث يكون وضعها قوياً، لا بد ان يوجد الاستعمار، وان تستحكم التجزئة، فهذا العراق أول من حمل لواء الوحدة العربية، اوصلته طبقته الرجعية الى اخر درجات العزلة والانغلاق. كما فرضت رجعية النظام الملكي على الاردن نكسته الاخيرة بعد ان كادت وحدته تتحقق مع سورية ومصر. اما الرجعية السعودية فمعروف انها ليست مستعصية على الوحدة

فحسب، بل كانت ولا تزال تستخدم نفوذها ومواردها لمحاربة الوحدة في ارجاء الوطن العربي.

ويمكن القول بالمقابل ان توجّه مصر الثورة نحو الوحدة العربية كان لابدَّ أن يحدث حتى قبل ان يتضح لحكامها كل الوضوح منذ الوقت الذي اطاحوا فيه بالملكية وأقصوا الرجعية السياسية والاجتماعية، ووقفوا من الاستعمار الموقف الجريء الحازم.

اذن فموضوع الوحدة، وهو حياة العرب وبقاؤهم، يجب ان ينقذ من جميع مايحيطه به ذوو الاغراض والمصالح الخاصة من أوهام ومغالطات وأضاليل لان في انقاذه انقاذاً لوجود العرب، فالوحدة ليست مطلباً معزولاً عن واقع الظروف والشروط السياسية والاجتماعية، بل هي تعبير عن هذه الظروف والشروط وجزء لا يتجزأ منها. وليس يصح بعد الآن ان يقال: المهم ان تتحقق الوحدة وان تبدأ، وسيان أتحققت على يد هذا او ذاك أو بدأت من هنا أو من هناك، ففي الوضع الداخلي والخارجي الذي توجد فيه الامة العربية لا يمكن للوحدة غير طريق واحد هو طريق التحرر والتقدم والنضال السياسي والاجتماعي، اي طريق جماهير الشعب العربي. وكل انحراف عن هذا الطريق ليس هو انحرافاً بالوحدة عن الطريق السوي بل سد للطريق في وجه تحقيقها. والعرب اليوم ليسوا مخيرين بين وحدة شعبية تقدمية وبين وحدة تقوم على أيدي الملوك والاقطاعيين، بل هم مخيرون بين هذه الوحدة الشعبية التقدمية التي هي وحدها ممكنة التحقيق وبين بقاء التجزئة التي هي نفي لبقائهم.

٢١ حزيران ١٩٥٧

لنوحد
قيادة النضال العربي(١)

في أزمة تأميم القناة فوجىء الاستعمار بمستوى من الوعي والنضال والتنظيم في البلاد العربية لم يكن يتوقعه ولم يعد العدة له فارتبك وطاش سهمه وخسر المعركة، وكانت الولايات المتحدة أقل الدول الاستعمارية تورطاً وانغماساً مباشراً في تلك المعركة وبالتالي أقل من غيرها تحملاً لمسؤولية الفشل، فوجدت في ذلك الفرصة المواتية لتلعب دورها وتضع كل وزنها في ضرب وتفتيت حركة التحرر العربي فتنقذ بذلك مبدأ الاستعمار من الانهيار كما تنقذ بقايا هيبة حلفائها الانكليز والافرنسيين، وتصل مقابل ذلك الى أن ترثهم فيما كان لهم من مصالح في البلاد العربية وتبسط عليهم وعلى ضحاياهم، ظل نفوذها واستغلالها الثقيل. ويجب ان نعترف بأننا نحن العرب قد فوجئنا هنا بعض الشيء، فخسرنا نتيجة لهذه المفاجأة جولة صغيرة في بداية المعركة الجديدة الطويلة، ذلك لاننا لم نكن نصدق بسهولة أن المصالح الرأسمالية والعقلية الاستعمارية، قد سيطرت على حكومة الولايات المتحدة إلى هذا الحد الذي برزت معه الاستعمار القديم في أبشع صوره وأوقح أساليبه. والمعركة الاستعمارية الجديدة ليست مفاجأة لنا، فلقد كنا ننتظرها عقب العدوان على مصر،

---

(١) جريدة البعث، العدد ٥٤، ١٧ آيار ١٩٥٧.

ولكن اسلوبنا في مواجهتها ما زال الأسلوب الذي يحتاج الى تطوير. لقد رفع الاستعمار مستوى هجومه بتسليمه قياده إلى أميركا لما تملكه هذه الدولة من قوة عالمية ووسائل فائقة في الضغط والافساد، تمكنها، علاوة على تهديدنا من الخارج بعدوانها وعدوان الدول الخاضعة لنفوذها، من التآمر من الداخل على استقلالنا وحريتنا وتماسك كياننا القومي باسلحة الرشوة والافساد وإثارة الفرقة والانقسام والحرب الأهلية. وكل هذا يقتضينا نظرة جديدة وإعداداً جديداً في مستوى الخطر الذي نواجهه.

إن ذلك التنسيق في السياسة والنضال الذي حققناه فيما بين بعض أقطارنا لم يعد كافياً، ولابد أن يصبح التنسيق توحيداً كاملاً لسياسة الأقطار المتحررة، وأن تتوحد قيادة النضال الشعبي في جميع أجزاء الوطن العربي. أما وحدة الجبهة الداخلية في داخل كل قطر، فلقد ظلت حتى الآن وحدة سطحية مرتجلة تخفي كثيراً من التضارب في المصالح والتنافر في العقلية والأساليب، ولا تستطيع بالتالي أن تصمد طويلاً أمام الهزات والمغريات. ويهمنا الآن ان نرسم خطوط هذه الجبهة الداخلية السليمة التي نحتاجها. ولنقل قبل كل شيء إن وحدة الجبهة الداخلية لاتفترض ولاتشترط منع أي انقسام، ولكنها تشترط أن يكون الانقسام صحيحاً أي مقتصراً على الحد الضروري الذي لابد منه في كل حركة تحررية سليمة، اي مقتصراً على التفريق بين الغالبية العظمى من أبناء الوطن الذين تجمعهم على اختلاف ميولهم ومصالحهم واجتهاداتهم، الأخوة القومية ومصلحة عليا واحدة في المحافظة على بقاء الأمة وسلامة الوطن واستقلاله، وبين ذلك النفر القليل من العملاء والمأجورين لأعداء البلاد. هذا النوع من الانقسام لانقبل به فحسب بل نتطلبه ونشترطه أيضاً، ولكن المهم الا نترك أحداً يمشي في صف الاستعمار وضد مصلحة الشعب والوطن، لمجرد نقص في الوعي عنده ونقص في وضوح الأهداف التحررية، ونشوء أوهام ومخاوف لا محل لها ولا مبرر، بين كثير من فئات المواطنين، تتيح للاستعمار أن يستغل ويفسد. إذن فما دامت حركة التحرر العربي حركة جدية صادقة، فلا بد لها من الانفصال عن ذلك العدد المحدود من العناصر المريضة التي

حزمت من شعور الوطنية والكرامة الانسانية واستعبدت للجشع والأنانية. وما دامت حركة التحرر العربي حركة ثورية أصيلة تطمح إلى بناء المستقبل على اسس ثابتة قويمة، فلا بد لها من أن تقبل الانقسام العقائدي على المبادىء الفكرية والاجتماعية، ولابدّ ايضاً من ان تحدد الطبقة المؤهلة لقيادة هذا النضال.

ونظرة واحدة نلقيها على تركيب جبهتنا الداخلية في معظم اقطارنا وعلى توزيع القوى السياسية والأحزاب والتكتلات، تقنعنا باصطناع هذا التوزيع، وهذه الخلافات التي خلقتها الدعايات والمصالح والأهواء الشخصية الصغيرة اكثر مما صنعتها الفروق العقائدية واعتبارات المصلحة القومية.

ولاشك أن الطريق الذي سارت فيه الحياة الحزبية في سورية والأردن والخطوات التي قطعتها، انما هي علامة إيجابية تدل على نمو الوعي القومي ونضج التنظيم الشعبي وتدعو في جملتها إلى التفاؤل. وقد يكون طبيعياً أن يرافق هذه الحياة الحزبية في أولى خطواتها شيء غير قليل من التشويش والالتباس يجعل توزع المواطنين بين الأحزاب توزعاً غير دقيق وغير منسجم كل الانسجام مع الأوضاع الاجتماعية لفئات المواطنين ومع ما لهذه الفئات من مصالح وأهداف، فنجد هكذا قسماً من الطبقة الكادحة والمتوسطة يعمل في صف الأحزاب التي تقاوم الاصلاح الاجتماعي وتعرقل حركة التحرر القومي. إلا انه لم يعد جائزاً مع هذا الحد من الوعي الذي بلغناه، وفي هذه المرحلة القومية الحاسمة المثقلة بالأخطار والمسؤوليات، أن نقبل بهذا الوضع المشوش الملتبس. فالوقت جد مناسب لاعادة النظر وزيادة التوضيح في سبيل تصحيح حياتنا الحزبية قبل أن تتبلور، وتعميق تربيتنا السياسية القومية قبل ان تصبح الأوهام والأهواء جزءاً من دمها ولحمها.

وان أهم مقياس نهتدي به في هذا التصحيح هو: أولاً، تعيين أهداف المرحلة التي نجتازها لكي لا نختلف اليوم على شيء لم يحن بعد وقت تحقيقه، ولم يحن بالتالي وقت الاختلاف عليه. ثانياً، ان نربط بين أهدافنا القومية في هذه المرحلة ربطاً عميقاً وأن نوضح هذا الترابط توضيحاً كاملاً، لكي لايبقى داع للتناقض والالتباس وللتناحر والانتكاس. فالمرحلة مرحلة تحرر قومي لجميع اجزاء الوطن

العربي. ويدعم هذا التحرر، لكي لايبقى شعاراً أجوف ونضالاً متعاكساً متضارباً، تحقيق بعض الخطوات الواقعية في مجالي الوحدة العربية والاصلاح الاجتماعي. ويجب أن يكون واضحاً أن ما تقتضيه المرحلة التحررية من تضامن بين جميع العرب المؤمنين بحق امتهم في الحياة، لايجوز أن يعني بشكل من الأشكال أن الأوضاع الفاسدة يجب ان تستمر دون اي إصلاح وتقدم، وإن الحكام يستطيعون أن يحكموا الشعب بالارهاب والتنكيل، وأن يقضوا على طلائعه الواعية وقواه النضالية ثم يدَّعون في الوقت نفسه أنهم يحاربون الاستعمار ويعملون للتحرر القومي، إذ أن محاربة الاستعمار تكون بانعاش الشعب لابقتله. كما أن هذا التضامن القومي لايجوز أن يعني اطلاق يد كبار الرأسماليين والاقطاعيين في امتصاص دماء الشعب وفي إفقاره وفي خنق امكانياته الانتاجية والنضالية، لأنهم إذا استمروا في هذا الأسلوب الاستغلالي الجشع وفي تجاهل ما للشعب وللأمة من حق عليهم فإنهم سيجدون أنفسهم دوماً في صف الاستعمار مضطرين غير مختارين يملي عليهم شروطه ويسخرهم لأغراضه، لانهم بإضعافهم الشعب قد اضعفوا انفسهم وبلادهم.

وهكذا إذا حاولنا أن نمضي في توضيح المرحلة التحررية وعلاقة أهدافها بعضها ببعض يمكن ان نصل إلى تضييق شقة الخلاف بين الأحزاب والفئات السياسية والاجتماعية، وان نتفق على بعض القواعد الأساسية كبداية للالتقاء والتعاون على تحقيق أهداف واصلاحات عاجلة ضرورية للأمة العربية، كأمة مناضلة في سبيل حريتها وبقائها، وللشعب العربي كشعب يجاهد في شتى اقطاره في سبيل التقدم والبناء.

إن الهدف الرئيسي والنهائي في المرحلة الحاضرة الذي هو التحرر من الاستعمار، هدف لايجادل فيه أحد. ولكن جدية هذا الهدف تتوقف على الطريق الذي نختاره لبلوغه، وعلى الضمانات الاساسية التي تعيّن صحة الطريق وبالتالي صدق تبني الهدف. هذه الضمانات هي: أولاً، الدفاع عن الحرية السياسية والاوضاع الدستورية. ثانياً، العمل للوحدة العربية في جميع المجالات الممكنة. ثالثاً، تحقيق الاصلاحات الاجتماعية الضرورية لرفع مستوى الشعب. هذا ما

تستطيع الاحزاب والهيئات أن تتفق وتتعاون عليه في جبهة عربية شعبية واحدة.

١٧ آيار ١٩٥٧

في سبيل وعي عربي انقلابي

لقد حققت الامة العربية في السنوات الاخيرة تقدماً واضحاً في طريق الثورة والانبعاث، والمهم ان نعرف ما هي اسباب هذا التقدم وهل كان هذا كل ما تستطيع ان تحققه، وهل ان الطريق التي تسير فيها الحركة التحررية تضمن اطراد التقدم واستغلال جميع امكانات الامة وزيادة هذه الامكانات وتعبئتها بشكل يجعل مستقبل امتنا في مأمن من كل خطر استعماري؟ .

في اعتقادنا ان السبب الاول والأهم في هذا التقدم الذي تحقق هو ظهور نظرة جديدة في العمل القومي العربي لم تبلغ بعد مستوى النظرية في الوضوح والترابط والشمول، ولكن فيها الحد الادنى الذي يسمح لها ببلوغ هذا المستوى. ويمكن اجمال هذه النظرة الجديدة في شيئين اساسيين هما: اولاً الاعتماد على الشعب واعتباره القوة الثورية الوحيدة الفعالة، ليتمكن من القيام بمهمته التاريخية، ثانياً: اعتبار القضية العربية كلاً متماسكاً لايتجزأ. ولقد أعطت هذه النظرة حيثما طبقت وبالمقدار الذي طبقت فيه نتائج ايجابية بارزة، ولكن الواقع انها لم تعط كل النتائج المرجوة، لانها انحصرت في بعض الاقطار دون بعضها الآخر، ولأنها بقيت في حدود النظرة والاسلوب ولم تصل الى حدود النظرية التي ترسم صورة عقلانية للمستقبل كما ترسم الطريق لتحقيقها. وان بلوغ الحركة العربية الحديثة مستوى

النظرية هو امر ضروري وحيوي عليه تتوقف ضمانة مستقبلنا وسلامته.

ان ما حققه شعبنا العربي في بعض اجزاء الوطن كثورة مصر وثورة الجزائر والحركة الشعبية في سورية ليدعوا الى التفاؤل الكبير ويعبر عن غنى الامكانيات الكامنة في هذا الشعب، ولكن ذلك كله لايعفينا من ضرورة الارتفاع فوق هذا المستوى من النضال الذي ما زالت تعوزه الخطة الشاملة والنظرة البعيدة المدى، خشية ان نتجمد على ما وصلنا اليه أو يتعرض سيرنا للانحراف او الانتكاس وان يظل قسم كبير من امكانيات شعبنا معطلاً او غير مستغل على الشكل الاكمل وضمن الخطة الشاملة. وان من دواعي التفاؤل والدلائل على اصالة الانبعاث العربي، هذا الوعي الذي يتجلى في القيادات الجديدة في مصر والجزائر وسورية الذي يعمل بروح مرهفة متجاوبة مع حاجات الشعب ومنفتحة على اتجاه العصر، ويؤدي الى حد كبير من التناسق بين مختلف هذه الوثبات العربية دون ان يكون ثمة تنسيق مسبق أو نظرية واحدة يرجعون اليها جميعاً. فالطريق اذن ممهد للشروع في هذه المحاولة دون ان يفهم من ذلك ان الارتفاع بالنضال العربي الى مستوى النظرية يعني بالضرورة الجمود وفقدان المرونة والتقيد الحرفي بالافكار والخطط المسبقة، فالنظرية اذا كانت لا تستطيع ان تخلق المستقبل، فهي تتيح المساهمة في خلقه بما تدخله على النضال من عنصر الارادة والتخطيط واعداد الشروط الملائمة، وهي لاتمنع التكيف مع الظروف الجديدة وغير المتوقعة، إلاّ انها تضمن استمرار الاتجاه الاساسي من خلال المرونة والتكيف.

ليس يكفي أن يكون حدس القادة الثوريين الجدد حدساً عميقاً صادقاً وان تكون معالجتهم للظروف الحاضرة منفتحة على المستقبل وممهدة له، فقد يزول القادة أو يتبدلون، ولا بد من أسس وقواعد موضوعية تصبح في متناول فهم العدد الأكبر من أفراد الشعب تغتني بتجارب الشعب النضالية المتعاقبة ويحتكم اليها كمقاييس لمدى تقدم نضالنا وسلامة سيره وكأداة يراقب بواسطتها الشعب نفسه وقادته.

٢ آب ١٩٥٧

اتحاد مصر وسورية

دعم للاتجاه الثوري وضمانة لاستمراره

لو قيل، قبل بضع سنوات لأشد الاحزاب والفئات والافراد ثورية في العالم، ان الشعب العربي سوف يخطو هذه الخطوات التي حققها في السنوات الاخيرة، لما استطاع أحد من هؤلاء ان يصدق ولو امكان حدوث بعض الذي حدث. ذلك ان الثورة العربية الحديثة ثورة عميقة أصيلة، وهي لذلك غنية بالمفاجأة والابداع، تخفي اضعاف ما تعلن، وتفاجيء ابناءها بمقدار ما تفاجيء البعيدين من خصوم واصدقاء. فالامة العربية اليوم اخصب تربة للثورة في العالم، لأن ثورتها هي على مقياس آلامها وتناقضاتها الداخلية والخارجية. فلا غرابة ان عجزت الحركات الثورية في العالم عن توقعها وتقديرها حق قدرها، لأن هذه الحركات، بعد ان قطعت اشواطاً في تحقيق أهدافها، لم تعد تمثل آلاماً وتناقضات بمثل هذا العمق والوضوح. ولا غرابة في ان تفاجأ هذه الحركات ويفاجأ العالم معها بظهور شخصية الامة العربية الواحدة، وكانوا يحسبونها أمماً متباينة، وبظهور حركة الوحدة العربية تحمل في ثنايا تيارها الجارف، نضال التحرر الوطني والثورة الاجتماعية والسلم العالمي، بعد ان كانوا يحسبونها وهما وخيالاً او تدبيراً مصطنعاً خطراً يفتعله الاستعمار وتلوذ به الرجعية. ويتسم بالتعصب والانعزال.

وكانت نظرتنا دوماً الى الوحدة العربية أنها هدف ثوري وانها اكثر اهدافنا ثورية،

لذلك لايمكن ان تلتقي بشكل من الاشكال مع الاستعمار والرجعية، خاصة بعد ان اعطيناها مفهومها الشعبي المستمد من طبيعة المرحلة التاريخية التي تجتازها امتنا، وهي مرحلة تحرر مزدوج من الاستعمار والرجعية. فان اي توحيد لبعض اجزاء شعبنا لابد ان يتفاعل مع هذا النضال القومي الاجتماعي وان يصبح بالتالي الدعامة والقاعدة لهذا النضال. ولذلك رأينا المشروعات الاتحادية المشبوهة، والتي كانت تطرح للتخدير اكثر منها للتحقيق، تزداد انفضاحاً وانهياراً بمقدار ما كان هذا المفهوم الشعبي للوحدة يزداد وضوحاً وانتشاراً. واذا كانت البساطة في طرح المشكلات ووضع الحلول من مميزات الثورات التاريخية، فان الثورة العربية قد حققت هذا الشرط عندما اتخذت اتجاهاً يضع بوضوح بديهي، الشعب العربي في صف، واعداء حريته ووحدته وتقدمه مجتمعين متحالفين في صف آخر.

وقد قطع شعبنا في معظم اقطاره اشواطاً جدية في طريق الوعي الثوري، حتى كدنا ننسى اليوم، تلك الصورة القائمة التي كانت تقترن بالوحدة العربية وتتراءى فيها الخيالات المريضة والافكار الممجدّة للقوة والسطوة، خيالات وافكار الملوك وزعماء الاقطاع الذين كانوا يحلمون بالوحدة كجمع التخلف الى التخلف، والاستغلال الى الاستغلال، وهذا هو بالذات ما كان يفقد نضال الوحدة الدم والعصب، ويلقي على طريقه الظلمات. اما اليوم فقد اصبح واضحاً للشعب بفضل الوعي الثوري الذي صقله النضال، ان الوحدة عملية تحرر وخلق وبناء، وانها لاتكون ممكنة الا بمقدار ما يتضح الانقسام بين الحرية والاستعمار، والتقدم والرجعية، وبمقدار ما يتوحد نضال الشعب ضد الاستعمار والرجعية ليس في نطاق الوطن العربي فحسب، بل على النطاق العالمي ايضاً. فان شعبنا الذي فرضت عليه التجزئة زمناً طويلاً لابد له عندما تدعوه مصلحته للتكتل ضد اعدائه الخارجيين والداخليين، من ان يتغلب على جميع الحواجز والمصالح والاعتبارات المصطنعة التي اقترنت بوضع التجزئة، وان يرتفع الى مستوى من العاطفة والوعي ومن انفتاح النفس وسعة الافق، يسهل عليه في وقت واحد، ان يلتقي بنفسه وبالانسانية، وان يدرك الروابط ويتحسس بالمشاعر التي تتجاوز حدود قومه وأرضه، كما تتجاوز حدود اقطاره واقاليمه، خاصة وان طريق

الوحدة قد انفتح امامه في نفس الوقت الذي بدأت فيه شعوب العالم تنفتح لتفهم قضيته، بعد ان اصبحت الامة العربية وقضيتها في طليعة القوى والقضايا الثورية في العالم.

وليس ادل على صدق ثورية الوحدة العربية وسلامة اتجاهها، من البداية التي شقت بها لنفسها طريق التحقق، والتي لم تكن صدفة، بل فرضها منطق هذه الوحدة الثورية فرضاً، ونعني بها: اتحاد مصر وسورية. ونستطيع القول ان العصر الحديث لم يعرف امة توحدت بمثل هذا الحد من سلامة الاتجاه وعمق الوعي القومي والانساني. فمصر وسورية اليوم لا تمثلان سياسة التحرر والتقدم فحسب، بل بالاضافة الى كونهما القلعتين الجبارتين اللتين تحطمت امامهما جميع أحلاف الاستعمار ومشاريعه وضغطه وعدوانه، تمثلان في مجال السياسة الدولية، أسلم سياسة مهيأة لان تبدل العلاقات الدولية تبديلاً ايجابياً عميقاً يسير بها نحو السلم والتعاون، ويضمن للشعوب الحرية والتقدم، تلك هي سياسة الحياد الايجابي. ولقد كان من الصعب على الوفود التي اجتمعت في باندونغ واقرت هذه السياسة ان تتوقع الدور الكبير والنتائج الخطيرة التي ادتها هذه السياسة بعد ان تبنتها مصر وسورية، واصبحت من خلالها، تعبيراً عن اهداف الامة العربية وامكانياتها الثورية. وما ذلك الا لان الحركة الثورية العربية قد تجاوزت طور السلبية والضيق، وامتزج سيرها ومصيرها بالسير والمصير الانسانيين، وغدا تعبيرها عن حاجات شعبها، تعبيراً عن حاجات وتطلعات جميع الشعوب المؤمنة بالحرية والمناضلة في سبيل التقدم والتعاون والسلم.

لم يعد الاتحاد مشروعاً من المشروعات وشعاراً من بين الشعارات، بل اصبح حقيقة واقعة وقدراً محتوماً، لأن وراءه أمة كبيرة تعاني ظلماً وألماً عميقين، وتناضل في مختلف اقطارها وعلى عدة جبهات في الخارج والداخل لتظفر بحريتها وتنطلق في أداء رسالتها. ووراء هذا الاتحاد ايضاً منطق التاريخ واتجاه العصر وارادة الحرية والتقدم والسلم عند شعوب العالم، لأن هذه الشعوب أخذت تدرك احتياج العالم الى الدور الايجابي المهيأ للأمة العربية الحرة الموحدة الناهضة.

ولكن المرتكز الاساسي لارادة الامة ولمنطق التاريخ واتجاه العصر يبقى هو الشعب بوعيه ونضاله. وما دام الوعي الشعبي غير مكتمل والنضال الشعبي لم يبلغ كل مداه، فحتى الضرورات التاريخية لا تجد سبيلاً الى التحقق. وعندما طرحت فكرة الاتحاد بين مصر وسورية بصورة رسمية قبل عام ونصف. لم تكن ثمة ضمانات جدية لكيلا يؤجل تحقيق هذه الفكرة الى مستقبل بعيد. ولكيلا تعصف بها في داخل سورية اية مؤامرة او مغامرة، تلتقي اهدافها مع اهداف الاستعمار والصهيونية. ثم تعاقبت على مصر وسورية والبلاد العربية ازمات واحداث، كان يمكن ان تشغلنا عن الاتحاد، وتبعدنا حتى عن التفكير فيه. فاذا بها تهيء وسائله وتسد النقص الذي كان لا يزال قائماً في وعي الشعب في سورية واكثر منه في مصر.

ولأول مرة نلمس لمس اليد ان هدفاً قومياً من اهم اهدافنا قد اصبح في مأمن من كل خطر، وان تحقيقه العاجل، وعلى الشكل القوي السليم، اصبح قدراً لاتقوى على رده او تبديله جميع القوى الخارجية المعادية، منذ ان اصبح ملكاً فعلياً للقوى الشعبية في مصر وسورية.

٦ كانون الاول ١٩٥٧

هذه الوحدة ثورة عربية وثورة عالمية وضمانتها في استمرار ثوريتها [1]

هذه الخطوة التاريخية التي رأى فيها العرب حلماً يتحقق، كانت بالنسبة الى الطليعة المؤمنة حقيقة واقعة منذ سنين طويلة ألهمت تفكير المناضلين، وحددت سلوكهم وأسلوب عملهم ومكنتهم من رؤية حقيقة الأمة من خلال الواقع المريض الكثيف، ومن ان يتغلبوا على ما اصطنعته التجزئة من عقلية منحرفة ونفسية مشوهة ومصالح شاذة متناقضة. ولقد وجدوا الوحدة في آخر الطريق، لأنهم وضعوها في أوله.

ولئن جاءت هذه الخطوة في طريق الوحدة الكبرى، فريدة في نوعها من حيث سلامة الشروط وثورية الاتجاه وديمقراطية التحقيق، فلأن مفهوم الوحدة الذي قدر له ان ينجح كان نقيضاً للمفهوم القديم الجامد المتناقض، فلم يعتبرها شيئاً يتحقق من نفسه وشيئاً منفصلاً عن حرية الوطن وسعادة الشعب وتقدم المجتمع، بل اعتبرها ثورة تحتاج الى خلق وتنظيم ونضال، وان فيها تتجمع وتتفاعل أهداف الأمة العربية في مرحلة بعثها الجديد.

إن هذا الظفر الأول للوحدة العربية يجيء دليلاً لا على ثورية الوحدة فحسب،

---

(١) جريدة البعث العدد، ٩٠، ٨ شباط ١٩٥٨.

بل على ثورية القومية العربية في اتجاهها الجديد. وثورة القومية العربية ليست ثورة قومية بل انسانية تتعدى في فكرتها وفي آثارها العملية نطاق الوطن العربي. هي ثورة انسانية لأنها ثورة القومية بمعناها الايجابي العميق الخلاق، معنى التحرر في الداخل والخارج، والتقدم لشعبنا ولجميع الشعوب، والسلم والتعاون المبنيين على نضج الحرية داخل كل شعب، لا على الفرض والاستغلال والتبعية. لذلك فإن ميلاد جمهوريتنا الجديدة يحمل معه تصميمنا على مساهمة أقوى وانجع في حمل مسؤولياتنا الدولية ووضع ثقل الأمة العربية في خدمة قضية التحرر والسلم والحياد الايجابي.

وكما ان هذه الوحدة التي احيت ثقتنا بانفسنا تبدأ مصالحتنا مع العالم، فتذيب بقايا السلبية التي كانت تعكر صفاء نظرتنا وعفوية نزوعنا الى حمل اعباء رسالتنا الانسانية، كذلك فهي كفيلة بأن تزيل بقايا السلبية في نظرتنا الى انفسنا، فنزداد ثقة باصالة شعبنا وغنى امكانياته ونزداد بالتالي انسجاماً مع مبادئنا الثورية، وجرأة في تطبيقها.

إن جمهوريتنا العربية المتحدة هي وليدة ثورة الشعب العربي ونضاله في جميع أقطاره. ولكي تصبح في مستقبل قريب شاملة لجميع أقطار العرب، يجب ان تكون ينبوع الثورة وغذاءها في جميع اجزاء الوطن العربي، لأن المبدأ الذي كان في الاصل والاساس في خلقها والتهيئة لها منذ سنين طويلة، الا وهو مبدأ وحدة الأمة العربية ووحدة قضيتها ونضالها، هو وحده الذي يضمن بقاءها ونموها حتى تحقق رسالتها في الوحدة المتحررة الشاملة.

٨ شباط ١٩٥٨

الباب الرابع

النكسات القوميـة

نكسة الانفصال

فيما يلي ننشر مقتطفات من البيان الذي صدر عن الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي الاستاذ ميشيل عفلق في شباط ١٩٦٢ حول تجربة الوحدة

ايها الشعب العربي

ان الانتكاس الموقت الذي اصاب فكرة الوحدة نفسها واضعف الثقة بها يدفع حزبنا الى دراسة تجربة الوحدة وفشلها من اجل تحديد المسؤولية وتوضيح الأخطاء واظهار الدروس التي نفيدها منها.

والجدير بالطليعة العربية الثورية ان تتناول هذه التجربة واسباب فشلها بالدراسة العلمية مبعدة كل أثر للانفعال والعاطفة والأفكار المقلدة.

فعلى مثل هذه النظرة الموضوعية الهادئة يتوقف مستقبل هذا الهدف القومي الاساسي في حياة الامة العربية الذي هو الوحدة ويتوقف استئناف العمل والنضال في سبيل الوحدة على اسس سليمة تصمد لكل امتحان.

عندما قامت اول تجربة للوحدة منذ اربع سنوات ظهر من الحماسة العميقة الشاملة التي اثارتها هذه البداية في الشعب العربي من مشرق الوطن الى مغربه انها عمل تاريخي يتجاوز القطرين اللذين تمت فيهما والافراد والاحزاب التي اسهمت في تحقيقها. وعندما منيت هذه التجربة بالانتكاس ظهر من الالم العميق الذي شمل الامة العربية كلها ان فشل تجربة الوحدة يتجاوز ايضاً اقليمي الجمهورية العربية المتحدة ويتجاوز الافراد والهيئات التي تتحمل بنسب مختلفة المسؤولية المباشرة في

هذا الفشل ، وأن الشعب العربي من مشرق الوطن الى مغربه يتطلع الى جواب يفسر اسباب هذه النكسة ويكون في مستوى الحدث التاريخي الذي حقق الوحدة من حيث الارتفاع فوق المصالح والنظرات الاقليمية والفردية ومن حيث حصر الاهتمام بمصير الامة وبقائها.

ان الوحدة التي قامت بين سورية ومصر في شباط من عام ١٩٥٨ لم تكن بنت ساعتها ولا ارتجلت ارتجالا او جاءت هبة من الظروف والصدف. فان لها ماضياً وتاريخاً ووراءها فكر وتخطيط وجهد ونضال لقد خطط لها حزب البعث العربي الاشتراكي قبل قيامها بسنتين وادخل ممثلين عنه في الوزارة الائتلافية بسورية منذ حزيران عام ١٩٥٦ على اساس تبني الحكومة لمشروع الاتحاد بين سورية ومصر والعمل على تحقيقه. وكان حزب البعث يفكر ويصرح بان قصده من وراء تحقيق اول خطوة للوحدة العربية هو ان يرّجع الى العرب جميعاً ثقتهم بفكرة الوحدة وقابليتها للتحقيق، وان يجعل من دولة الوحدة الاولى سنداً وقاعدة للنضال العربي في كل جزء من اجزاء الوطن الكبير، ولنضال الجزائر وفلسطين بخاصة، وكان يرى في اوضاع سورية ومصر اكثر الشروط سلامة من اجل بداية عملية للوحدة. وفي الوقت الذي ذهب فيه الامين العام للحزب ليبحث مع الرئيس عبدالناصر موضوع الاتحاد تمهيداً لذهاب وفد حكومي لبحث الموضوع ذاته، اعلن عبدالناصر تأميم شركة القناة وفتح المعركة المعروفة، فتحول عمل الحزب في جميع فروعه العربية منذ ذلك اليوم الى الدفاع عن مصر في معركتها الجديدة ضد الاستعمار، لا لان هذا الموقف هو ما تفرضه وحدة النضال العربي فحسب، بل تمهيداً وتعبيداً لطريق الوحدة واشعاراً لمصر بحقيقة الوحدة وواقعيتها. وقد خاض الحزب في جميع اقطار المشرق معركة القناة. كتمهيد ونموذج لمعركة الوحدة. وكان الحزب في ذلك كله يعمل بوحي فكرته العربية الثورية وبوحي عقيدته القائلة بثورية الوحدة وبانها لاتأتي عفواً دون نضال يومي في سبيلها. وكان من خطة الحزب تشجيع التوجه الذي ظهر بمصر في عهدها الجديد نحو الفكرة العربية تشجيعاً قوياً، ايماناً منه ان مصر عنصر اساسي خطير في كل محاولة لتحقيق الوحدة العربية، وانها كانت حتى ذلك التاريخ

عامـلا سلبيـاً ومعـوقـاً . من هذه الاعتبـارات والعـوامـل انطلق الحزب منذ اوائل عام ١٩٥٦ يعمـل ويمهـد للوحدة مع مصر. وكان يرى لهذه الوحدة صيغة توفق بين متانة الارتبـاط وواقعيتـه، اذ كان يسعى الى اقـامـة دولـة واحـدة اتحادية لا الى اتحاد بين دولتين. وكانت الصيغة التي اختارها الحزب توفر للاقطار العربية الداخلة في الوحدة ضمانات ضد التسلط وردات الفعل الانانية والاقليمية وشروطاً تتسع للفروق الراهنة بين الاقطـار العـربيـة وتسمـح بتطـويـرها نحو الانسجام تطويراً سليماً. ولقد فوجيء الحـزب في سوريـة اثنـاء مباحثات الوحدة حين اشترط عبدالناصر حل الاحزاب في سوريـة وحين أرجأ دراسـة صيغـة الـوحـدة الى ما بعـد اعلانها. ولكنه لم يضع هذه العوائق بمستوى الوحدة نفسها ومضى في تنفيذ خطته وقبل بشروط عبدالناصر، لانه كان يريدها وحدة يتقوى بها العرب جميعاً ويتدعم بها نضالهم في كل مكان، يريدها ضمـانـة لانتصـار ثورة الجزائر وبداية لتحرير فلسطين. ولذلك، ومن اجل بلوغ هذه الاهـداف القـوميـة الكبـرى، اقدم على الوحدة اعتماداً منه على ان التفاعل الشعبي الثوري بين اقليمي الجمهورية الجديدة والتفاعل الشعبي بين دولة الوحدة وحركات النضـال العـربي سوف يكـونـان الضمانة الحية ضد كل انحراف، وايماناً منه بانه لن يكون من السهل على اي حاكم - ولا سيما اذا كانت الجماهير الثائرة هي التي امدته بالتأييد والقوة - ان يستهين بارادة هذه الجماهير.

والمهم الآن ان يعـرف الشعب العـربي في جميـع اجـزاء الوطن الاسباب التي أوصلت الى هذه النكسة ليتفادى الاخطاء ويصحح السير ويتاكد ان الذي فشل ليس هو فكرة الوحدة بل تطبيقها المشوه، وان هذه التجربة، رغم ما حملته معها وادت اليه من آلام وخسائر واخطار، هي ايضاً غنية بالدروس.

ونحن عندما نشير الى تلك الاخطاء التي وقع فيها نظام الحكم في عهد الوحدة انمـا نقصـد ان تدخل معرفتها في تجربتنا القومية لتصححها وتغنيها، ونعتبر الكشف عن هذه الاخطاء بروح موضوعية بعيدة عن الانفعال والطعن واجباً من اقدس واجبات الموجهين تجاه امتهم، لأن هذه الاخطاء ليست من النوع العادي الذي يجوز اغفاله في ظروف الخطـر، والا سمـح لهـا بان تتكـرر وتتضخم، في حين ان الكشف عنهـا

يعني بداية تصحيحها وتلافيها. الا ان اخطاء نظام الحكم في الجمهورية العربية المتحدة مهما بلغت من الخطورة فانها لاتبرر الانفصال، اذ يبقى ان فشل تجربة الوحدة هو نتيجة اخطاء، وقيام الانفصال نتيجة تدبير وتصميم وتآمر.

ان خطر الاخطاء التي سببت فشل تجربة الوحدة على القضية القومية ينتهي بمجرد ان يطلع الشعب على هذه الاخطاء ويعرف كيف يصححها ويتلافاها. اما خطر الوضع الانفصالي فلا ينتهي بمجرد الاطلاع على حقيقته التي هي حقيقة مفضوحة، وانما يترتب على الشعب ان يستجمع كل طاقته النضالية ليقاوم المصالح الرجعية والاستعمارية التي يتكون منها الوضع الجديد.

ايها الشعب العربي

لقد استطاعت نظرة الحزب الثورية ان تكشف خلال نضاله الطويل قبل الوحدة عن مدى التناقض الذي كان قائماً بين واقع الاقطار العربية المجزأة وتفكير الفئة المسيطرة فيها ومصالح هذه الفئة من جهة، وبين ايمان الجماهير العربية بالوحدة وحاجتها الحيوية اليها من جهة أخرى. وكان هذا التناقض الذي وعته نظرة الحزب الثورية لايقل خطورة عن التناقض القائم في الاوضاع الاجتماعية بين طبقات المجتمع العربي. وكان ظهور الحزب الذي انطلق من هذا الوعي الثوري بداية لمفهوم جديد للوحدة العربية. اذ نظر اليها على انها عملية ثورية لاتتم عفواً كمحصلة آلية لتحرر الاقطار العربية ولتحقيق المجتمع الاشتراكي فيها بل اعتبر الحزب ان الوحدة هي حالة مناقضة للاوضاع الراهنة وللعقلية السائدة التي اسماها عقلية التجزئة وهي عملية تناقض المصالح الراهنة. بينما كان المفهوم السائد عنها قبل الحزب يعطيها صورة عاطفية تصلح لان توضع في برامج الاحزاب والخطب فتخدر عند الشعب حس الحاجة للوحدة والمطالبة بها بدلا من ان توقظه وتنميه، وجعلها الحزب في مستوى الثورة الاشتراكية وفي مستوى الحرية، اي ان الوحدة تحتاج الى تغيير جذري للواقع الراهن، وبالتالي يكون كل ادعاء للوحدة دون تبني هذا المفهوم الثوري لها وما يترتب عليه من نضال يومي فكري وعملي لتغيير العقلية وتغيير الاوضاع ادعاء كاذباً للتضليل والتخدير.

ولكي لاتبقى الوحدة عرضة لتلاعب السياسيين ومتاجرتهم الكلامية، ولكي لايدعي العمل لها من تجعلهم مصالحهم الطبقية والاقليمية ابعد ما يكونون عنها، فقد اعطاها الحزب مضمونها الجماهيري الاشتراكي، وبذلك اعطاها الدم والحياة فاستقطب القوى الشعبية المخلصة لها والقادرة على تحقيقها.

من هذه النظرة انطلق الحزب يوم اخذ يعمل ويوجه ويناضل من اجل نقل شعار الوحدة الى مجال التطبيق. ولم يدفعه الى التخطيط للوحدة بين سورية ومصر اي دافع سلبي واي خوف من خطر خارجي وداخلي مزعوم، ولم يفعل ما فعل ليتحد مع عبدالناصر بعد انتصاره على العدوان الثلاثي، بل كان دافعه في ذلك ايجابياً خالصاً، يكفي للتدليل على ايجابيته انه طرح شعار الوحدة بين سورية ومصر منذ عيد الجلاء في نيسان من عام ١٩٥٦.

لقد انطلق الحزب اولا وقبل كل شيء من عقيدته وايمانه بضرورة النضال من اجل تحقيق شعار الوحدة ووجد في الظروف التي اجتمعت آنذاك ما يدفعه الى القيام بخطوة عملية حاسمة في هذا السبيل.

ففي تلك الفترة كان المد الشعبي آخذاً في الازدياد في اكثر الاقطار العربية بينما كان الاستعمار يتراجع ويندحر، وكانت الرجعية تضطر محرجة اما الى تمزيق براقعها والتعاون السافر مع الاجنبي ضد وطنها واما الى مجاراة التيار الشعبي الصاعد. وكان يرافق هذا التقدم في الحركة الشعبية العربية انتصار حركة التحرر في اكثر بلدان العالم وفي آسيا وافريقية خاصة. فكانت الشعارات العربية تاخذ هكذا معنى تاريخياً انسانياً. وبدت هذه الفترة وكأنها انسب وقت لتحقيق اول خطوة في طريق الوحدة العربية تطبع بدايتها الثورية الانسانية الطريق كله بطابعها. وكانت شروط وظروف متماثلة كثيرة قد اتيحت لقطرين عربيين هما سورية ومصر، في مجال السياسة الخارجية ومكافحة الاستعمار والدعوة الى الحياد الايجابي والقومية العربية والنظام الاجتماعي التقدمي. فاراد الحزب الا يضيع هذه الفرصة وان يقدم البرهان على ان الوحدة وليدة التقارب في الاتجاه والمبادىء.

اما الاختلاف الاساسي الذي كان قائماً بين السياسة المطبقة في القطرين،

ونعني الخلاف حول الحرية والديمقراطية فقد امل الحزب، بتفاؤل سطحي، في قدرة الوحدة على ازالته، وتوقع ان يؤدي التفاعل الشعبي بين اقليمي الدولة الاتحادية والتفاعل الشعبي بين هذه الدولة وبين حركات النضال في باقي اجزاء الوطن العربي الى تطويز النظام الفردي الذي كان قائماً في مصر تطويراً سريعاً نحو الديمقراطية.

وكان الحزب، منطلقاً من مفهومه للوحدة ومستقبلها، يرى في هذه الوحدة التي تمت بين مصر وسورية بداية للوحدة الشاملة، وانها لابد ان تكون واعية لكونها بداية، فتضطلع بالتالي بمسؤوليتها كقدوة وكنواة جذابة. وكان يأمل ان يقود هذا الايمان الجمهورية الجديدة بوصفها بداية للوحدة الكبرى، الى سياسة داخلية وخارجية وعربية واجتماعية تقوم على اساس تنمية هذه البداية وجذب الاقطار العربية الاخرى اليها، ويرى ان سياسة الدولة الجديدة في سائر المجالات لابد ان تتغير جذرياً حين لاتعتبر نفسها خاتمة المطاف بل بداية يجب ان تنمو وتتطور. فتلك السياسة، حين تنطلق من هذه النظرة، ستكون مدعوة الى ان تقيم توازناً بين جهدها الداخلي في التطور والتنمية الاقتصادية وبين تحملها اعباء مساندة الثورة والنضال في الاقطار العربية الاخرى، وتوازناً بين سياستها الخارجية وبين مهمة تنمية الوحدة وتغذية النضال العربي وجذب اقطار جديدة الى الوحدة.

ايها الشعب العربي

امام هذه المسؤوليات التاريخية لاول تجربة للوحدة بعد مرور مئات السنين على تجزئة الاقطار العربية، كان من الواجب، كيما تأتي هذه التجربة سليمة ومشجعة وحاملة بذور الحياة والنماء، ان تجتمع لقيادتها والاضطلاع بمسؤوليتها الجسيمة خبرة نخبة من العناصر النضالية في الامة العربية من مشرقها الى مغربها، وان يكون التفاعل عميقاً ومستمراً بين هذه التجربة وبين التجربة الثورية العربية لكل قطر، وكان من الواجب ان تكون التجربة منتبهة منذ البدء لامراض التجزئة ورواسبها ولمشكلات المجتمع العربي المتخلف وللعقبات التي تضعها المصالح الرجعية والاقليمية والاستعمارية في طريق الوحدة.

ايها الشعب العربي . .

الى جانب هذا المستوى الذي كان عليه الحزب عند قيام الوحدة، كان مستوى الـوعي لدى معظم الحـركـات الشعبيـة في مختلف البلدان العـربية يعوزه الكثير من النضج والتنسيق. وقد اثار تحقق الوحدة من الحماسة والتفاؤل في نفوس الفئة الواعية من ابنـاء الشعب العـربي اكثـر مما اثار عندها من التقدير الواعي لاهمية هذه الخطوة ولضـرورة السهـر عليهـا وتجنيبهـا الاخطـاء والعثـرات. ولقد ادخلتها اكثر الحركات العربية الثورية والتقدمية في حسابها ورصيدها تستغلها وتتقوى بها من اجل قضاياها الاقليميـة، دون ان تكـون مستعـدة لتحمـل قسطهـا من المسؤولية في مراقبة الوحدة وسـلامـة اتجـاهها. بل ان تأييدها الأعمى المنطلق من النظرة الاقليمية الضيقة ومن المصالح العابرة، قد شجع الانحراف وسهله واسهم في الفشل الذي شملت نتائجه هذه الحركات كلها بل الشعب العربي كله.

ان نكسة الوحدة غنية بالدروس والعظات للقائمين على النضال العربي في سائر الاقطـار العـربيـة، ومن اهم هذه الـدروس ان وحـدة النضـال العـربي هي في هذه المـرحلة التعبيـر العملي عن وحـدة الامـة العربية، وان كل تجاهل لهذه الحقيقة من قبـل الحـركـات الشعبيـة في الوطن العربي وكل تلكؤ منها في توحيد نضالها وتنسيق خطتهـا وتفـاعـل تجاربها يبقي قضية امتنا عرضة للنكسات والاخطار، وان كل خطوة في طريق الوحدة معرضة للتعثر والفشل بمقدار ما في وحدة النضال من فتور وثغرات.

ولقـد تجلى هذا الضعف في مستـوى الـوعي العـربي اثنـاء الوحدة في الاقليم المصـري بخـاصـة. وكـان حزبنـا يعلق املا كبيراً على التفاعل الشعبي بين اقليمي الجمهورية، من اجل ان تتلافى مصر شيئاً كثيراً من هذا التخلف في الوعي العربي، ولكي تتعمق الافكار والشعارات التي بدأت تنطلق فيها نتيجة التوجيه الرسمي وحده دون ما مشاركة شعبية فعالة.

اننـا نعتبـر مصر ذات وزن خطير وامكانية ضخمة في كل نضال عربي، وبصورة خاصـة في النضـال من اجـل الـوحـدة، واننا بالرغم من رفضنا القاطع الحاسم لكل دعـايـة تريـد ان تظهر مصر وشعبها بمظهر الغرباء عن العروبة نعتبر ان الفئات الواعية

مطالبة بعملية نقد صريح عميق لجميع العوامل والرواسب التي توجد هذا الضعف الشامل في الوعي العربي في مصر. كما ان هذه الفئات مطالبة بدفع الشعب العربي في مصر الى الافادة من طاقات مصر من اجل الاسهام في بناء الامة العربية بناء سليماً بدلا من استغلال ذلك لاغراض اقليمية.

ايها الشعب العربي..

ان كل ما مر بك في تجربة الوحدة بين سورية ومصر يوم تحقيقها واثناء انتكاستها وبعد انفصالها يكشف لك عن العامل الفعال دوماً في الحفاظ على الوحدة وسلامتها الا وهو بناؤها على اساس الارادة الشعبية والنضال الجماهيري الموحد في الوطن العربي المستند الى تفاعل الحركات الشعبية في سائر البلدان العربية وتآزر تجاربها وجهودها. وسبيل العودة الى النضال الحقيقي في سبيل الوحدة وفي سبيل تعميق الثقة بها في نفوس ابناء الامة العربية لن يكون الا بتوحيد نضال الحركات الثورية في الوطن العربي توحيداً جدياً من اجل رفع مستوى الوعي العربي والتنظيم الشعبي وبتكتلها جميعاً ضد الرجعية التي تجمع قواها وضد سائر الاوضاع الراهنة التي تعمل على ابقاء التجزئة واذكاء الفروق الاقليمية والمصالح المحلية. ولابد لهذا النضال العربي الموحد كيما يجنب مفهوم الوحدة ما اصابه من شكوك وتعثر ان يكون عمله في سبيل الوحدة مستنداً الى تصور واضح لنظام في الوحدة قادر في آن واحد على حفظ معناها القومي وعلى الحيولة دون انحرافها نحو التسلط الاقليمي. والنظام الذي دعا اليه الحزب منذ مباحثات الوحدة والذي يراه محققاً لهذا الغرض هو نظام الدولة الواحدة الاتحادية.

ان هذا النظام ياخذ بعين الاعتبار في نفس الوقت حقيقة وحدة الشعب العربي من جهة وواقع الاقطار العربية من جهة ثانية.

ان هذا النظام الاتحادي هو الذي يحقق المعنى الحقيقي للوحدة وهو تحقيق قوة الامة العربية ومنعتها وبناء نهضتها وحضارتها وضمان استقلالها وحمايتها من اعدائها كما انه هو الذي يزيل المخاوف والشكوك وما يمكن ان تخلفه النزعات الاقليمية ورواسب التجزئة ويراعي الفروق المحلية والاوضاع الخاصة لكل اقليم

ويحقق التفاعل الخصيب بين الاقاليم المشتركة حين يضمن مشاركتها الفعلية في رسم سياسة الدولة الواحدة وفي تنفيذ تلك السياسة.

ان حماية الوحدة من مخاطر الطغيان الاقليمي ومزالق النزعات المحلية الضيقة لاتعني ان تفقد الوحدة معناها وان تتخذ التجزئة اصلا بل تعني ان تضع لها الضمانات الواقعية التي تحول دون انحرافها محتفظة بجوهر الوحدة وروحها وقدرتها على الانماء والصهر، وهذا ما يحققه شكل الدولة الواحدة الاتحادية. ومضمونها الاشتراكي الديمقراطي.

ياجماهير شعبنا المناضل..

ان مسؤولية تحقيق الوحدة الاتحادية ذات المحتوى التحرري الاشتراكي الديمقراطي تقع على عاتق الطبقات الشعبية والحركات الثورية التحررية. وان حزب البعث العربي الاشتراكي يعاهد الشعب على متابعة النضال لتحقيق اهداف العرب الكبرى في الوحدة والحرية والاشتراكية.

عاش نضال الشعب العربي في سبيل اقامة وحدته الاتحادية، عاشت وحدة النضال الشعبي لتحقيق الوحدة وتحطيم اعداء حرية الشعب ووحدته وتقدمه من رجعية وانفصالية واستعمار.

شباط ١٩٦٢

الاستعمار والرجعية ينفذان اكبر مؤامرة على امتنا

في عهد الوحدة[1] كانت الطليعة العربية الثورية تعيش اعمق واعنف ازمة في تاريخ نضالها. لقد اسهمت في صنع حدث تاريخي عند قيام الوحدة بين مصر وسورية. واذا هي تصاب بعد زمن قليل بخيبة امل كبرى نتيجة التشويه والتزييف اللذين داخلا تطبيق هذه الوحدة. ولقد زاد ازمة الطليعة العربية حدة وتعقيدا ادراكها بعد فوات الوقت انها لم تكن في مستوى الخطوة التي اسهمت في تحقيقها، وانها لم تكن مهيأة لتصحيحها وحمايتها. ولكن ذلك لا ينقص شيئاً من مسؤولية نظام الحكم الذي كان سبب التشويه والانحراف. ومن اسباب صعوبة تلك الازمة وتعقدها ان ذلك الحكم كان قد استطاع قبل تحقيق الوحدة وبهذا التحقيق بالذات. ان يكوّن لنفسه رصيدا من الثقة الشعبية على نطاق الوطن العربي كله لم يسبق ان توافر لحاكم من قبل. وهكذا مرت سنوات عهد الوحدة في جو من الالتباس الخطير. فالجماهير عاجزة عن ان تنظم نفسها وتلم شتات وعيها أمام الضغط الهائل للاجهزة البوليسية واجهزة الدعاية التي كانت تفتت التنظيم والوعي على حد سواء. وكان في نفس الطليعة العربية، المقهورة امام وسائل الدولة الضخمة، خوف عميق، تتمنى ايصاله

(١) جريدة البعث، العدد ١، ٢١ تموز ١٩٦٢.

الى كل فرد عربي واشاعته بين الجماهير. خوفاً على المستقبل العربي كله من ان يتخذ ذلك السبيل الزائف ويبنى على تلك الأسس الواهية. كما كان في نفس الطليعة العربية حرص عميق على بقاء الوحدة وعلى امكان معالجة الاخطاء والانحرافات التي شابت تطبيقها، لايمانها بان الوحدة العربية يجب ان تبقى حركة تاريخية جدية. ولا يجوز ان تكون كغيرها من المشكلات السياسية المحلية عرضه لتقلبات السياسة وأخطاء الحكم.

ولكن التمادي في الاخطاء، من جهة، وتآمر قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية، من جهة اخرى، قد عرضا تلك الخطوة التاريخية لانتكاسة قاسية. ووقع الانفصال قبل ان تتاح للطليعة ان تتصل بالجماهير وان توصل اليها خلاصة تجربتها مع ذلك الحكم، بغية ان يدفعها وعي هذه التجربة الى الضغط وتصحيح الاخطاء دون التفريط بالوحدة. وهكذا نشأ وضع جديد يحمل في طياته تناقضات العهد السابق وتناقضات جديدة. فالقوى الاستعمارية والرجعية والشعوبية التي عملت منذ اليوم الاول للوحدة على تهديم الوحدة، وجدت في الانفصال الذي غذته، فرصة العمر لها، تغتنم ما فيه من يأس وتشتت وفقدان للتنظيم الشعبي، وتتخذه مناسبة نادرة لتسديد ضربتها وسط بحران الشعب وضياع اهداف المعركة، ولتهيئة شروط في سورية والبلاد العربية تنتفي معها لأمد طويل امكانية قيام وحدة جديدة. وبذلك تحاول ان تجعل من الانفصال حقيقة ايجابية تحل محل الوحدة وتقتلعها من جذور ضمير الشعب العربي كفكرة وعقيدة.

وخطورة الانفصال هي في كونه وضعا جديدا يستمد مقوماته وطبيعته من فشل تجربة الوحدة وليس هو ـ كما قد يظن ـ مجرد عودة الى اوضاع التجزئة التي كانت قائمة قبل الوحدة. فالتجزئة في ذلك الحين لم تكن سوى ذلك الواقع المريض الذي كان يتراجع يوما بعد يوم أمام يقظة الوعي الشعبي. ولقد كانت التجزئة واقعا لا يتضمن فكرة ولا يجرؤ ان يكون له اسم او منطق، كانت واقعاً منفصلا مشتتا يقف موقف الدفاع امام فكرة الوحدة وتيار الوحدة الذي كان هو التيار الفعال النشيط المهاجم المتماسك.

واليوم بعد ان تحققت اول وأثمن تجربة للوحدة، وبعد ان فشلت هذه التجربة يمثل الانفصال تجزئة من نوع جديد. ترتكز الى اسس ومنطق ومبررات، وتوحد قواها التي هي قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية والشعوبية لا لتواجه اي احتمال لقيام وحدة جديدة فحسب. بل لتلاحق فكرة الوحدة والقوى الوحدوية وتدمرها في كل مكان. فالانفصال هو تحقيق التجزئة اي جعلها حقيقة وحقا. انه محاولة تريد ان تجعل من فشل تجربة الوحدة شيئاً يدحض الوحدة من اساسها ويعطي البرهان العملي على ان واقع التجزئة اصيل أبدي وأن وجود الكيانات العربية المستقلة هو الوجود النهائي الخالد.

امام هذا الواقع وجدت الطليعة العربية نفسها مطالبة بواجبين وبأن تخوض معركتين في آن واحد: المعركة الاولى هي الدفاع عن الوحدة ضد الانفصال والقوى المعادية للامة العربية التي تريد ان تكرسه وتخلده. الدفاع عن الوحدة وفكرتها وواقعيتها وقابليتها للتحقيق، والدفاع عن تقدميتها وارتباطها بمصلحة الجماهير وعن جديتها وضرورة وضعها فوق الظروف العابرة وفوق الانفعالات والاحقاد.

وأما المعركة الثانية فهي التي لم تتمكن الطليعة العربية من خوضها في حينها، اي معركة تصحيح اخطاء التجربة الاولى للوحدة، تلك الاخطاء التي لا بد من الكشف عنها ونقدها لكي يبقى وعي الشعب سليما ويكون المستقبل العربي في مأمن من الضلال والخطأ.

فلقد كنا زمن الوحدة امام نظام للحكم يمثل من حيث ضخامة وسائله وتأثيره على الجماهير العربية ونزوعه الى الامتداد والسيطرة والشمول شيئاً جديداً في حياة العرب. لقد كنا نواجه نظاماً جديداً كل الجدة يختلف اختلافاً كاملا عما عرف قبله من انظمة: فهو يتمتع برصيد شعبي ضخم. وهو قادر بفضل اجهزته الضخمة ان يزيد من هذا الرصيد ويصل الى قناعة عشرات الملايين من ابناء الشعب العربي، ليعطيهم بفضل هذا كله صورة عن القومية والنظام الاجتماعي والوحدة، فيها تشويه اساسي وانحراف خطير رغم ما يخالطها من بعض الصفات التقدمية وما يكمن وراءها من كفاءة وقدرة على الانجاز. وجوهر هذا الانحراف مايتصف به الحكم من فردية

وتأليه للحاكم والغاء لدور الشعب واستعاضة عن الشعب الحقيقي الواعي المنظم بالغوغاء والفئات المرتزقة والمتملقة، وما اعطاه للقومية العربية من مفهوم منحرف يقيم في صلبها بذور التمييز الاقليمي والتسلط. فالوحدة التي هي امل الشعب العربي كله لم تفهم ولم تطبق من قبل نظام حكم الوحدة الا على انها وسيلة لتوطيد هذا النظام في الاقليم المصري ولمد نفوذ هذا الاقليم على سائر اجزاء الوطن العربي. ولقد كانت ضربة الانفصال جديرة بان تهز اعماق كل مخلص للوحدة ولقضية الشعب العربي، ولكنها لم تغير في عقلية النظام واسلوبه شيئاً، وظلت دعوته للوحدة في البلاد العربية وفي سوريا خاصة، مسخرة لهدف اساسي هو حماية نفسه في مصر، وفي هذا استمرار في الاساءة الى قضية الوحدة واعطاء اسلحة جديدة لاعدائها لكي يطعنوها ويطعنوا من خلالها حرية الشعب ومكاسبه الاجتماعية التي حققها بالنضال الطويل.

ان اخطاء وانحرافات حكم الوحدة تتخذ اليوم ذريعة وستارا لتنفيذ اكبر مؤامرة على الامة العربية في تاريخها الحديث يحيكها الاستعمار والصهيونية بالتعاون مع الرجعية والشعوبية على نطاق الوطن العربي كله. وادهى ما فيها انها هذه المرة تعمد الى تفتيت جسم الامة من الداخل بالانقسام والتناحر والتشكيك في العقيدة القومية بكل الاساليب والوسائل. ولما كانت الطليعة العربية الثورية هي القوة المهيأة والمسؤولة تاريخياً عن رد كيد هذه المؤامرة الرهيبة لتواصل امتنا العربية سيرها الصاعد المنتصر نحو اهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية، لذلك وجب ان يزال كل التباس يمكن ان يجزىء تفكير هذه الطليعة ونضالها في سبيل هذه الاهداف، ووجب بالتالي ان ينقد نظام حكم الوحدة نقدا موضوعيا صريحا لكي ينتزع هذا السلاح من ايدي الرجعية وتفوت عليها فرصة ضرب الاهداف القومية والمكاسب الشعبية وتخليد الانفصال وتنفيذ مؤامرات الاستعمار بحجة مكافحة الدكتاتورية والحكم الفردي. وعندما يزول الالتباس من صفوف الطليعة المخلصة، ويتوضح امامها الطريق، طريق الوحدة بمحتواها الشعبي الديمقراطي وبارتباطها الوثيق بالحرية والاشتراكية.

وعندما تتضح امامها مهمتها في هذا الظرف العصيب، وهي التغلب على نكسة الانفصال وما تلاها من ردة رجعية شرسة، يصبح امر انحراف افراد قلائل عن الركب الثوري بدافع الكسب السياسي الشخصي او الانجراف مع الاحقاد الشخصية، امرا غير ذي بال. المهم ان تعي الطليعة العربية دورها التاريخي وان تقوم به. ولقد برهنت الطليعة على هذا الوعي عندما اقامت تنظيمها ونضالها، قبل عشرين عاما، على نطاق الوطن العربي كله، وتحدت بذلك العقلية الاقليمية والانتهازية، والمكاسب الآنية. ولا يعقل ان ينتكس ايمان الطليعة بالوحدة العربية وايمانها بوحدة تنظيمها ونضالها، اذ انها هي المطالبة بمداواة النكسة والابقاء على شعاع الفكرة في وجه العواصف. فما دامت النكسة عميقة والاخطار جسيمة ومداهمة، وكل موقف اما ان تتناوله القوى الرجعية لتستغله في تكريس الانفصال وضرب قضية الشعب. واما ان تتناوله اجهزة الحكم الفردي لتخلق الالتباس حول الوحدة ومفهومها في اذهان الشعب، فليس امام الطليعة العربية الا ان تجدد معنى الرسالة التي ندبت نفسها لها قبل عشرين عاماً، عندما ارادت ان تمثل، من فوق الحدود الاقليمية، والمصالح المحلية المؤقتة، ضمير الامة الواحد، ومصلحتها العليا الدائمة. ولئن كان واجب الطليعة ان تدخل في هذا الظرف معركتين في آن واحد، فمن واجبها ايضاً ان تظهر من الوعي والتجرد ما يرفعها فوق المعترك.

٢١ تموز ١٩٦٢

لابدَ للوَحدة من مَوقف ثوري وَنضال يَومي

لقد كان[1] الاتجاه الجديد الذي اتت به الحركة القومية التقدمية منذ حوالي عشرين عاما هو ذلك الدمج بين الثورة القومية والثورة الاجتماعية، بين الفكرة القومية والفكرة الانسانية، وعلى اساس هذا الفهم الجديد للحركة القومية قام النضال الشعبي الذي قادته الطليعة العربية، منذ عقدين من الزمن.

ولقد ادركت الطليعة بسبب ذلك ان العمل للوحدة صعب لا بد له من موقف ثوري ونضال يومي. ولقد كانت هذه الطليعة بالفعل ثورية في نظرتها وعملها عندما تخطت الحدود والفوارق الاقليمية وتخطت كل الصعوبات التي تعترض العمل العربي الموحد، فأقامت تنظيمها على النطاق العربي الشامل. وما تزال هذه الصعوبات تواجهها: فهذه الردة الانفصالية الناشئة عن فشل اول تجربة للوحدة ما هي الا صورة للمصاعب الضخمة التي تعترض التفكير والعمل الوحدويين، لا سيما في الصف القومي التقدمي نفسه. اذ ان هذه الردة في احدى صورها تعبير عن التعب الذي ينال احيانا من بعض المناضلين المنادين بالاتجاه القومي التقدمي. عندما تبدو لهم المهمة وكأنها مستحيلة، بينما تجتذبهم سهولة النجاح اذا هم سلموا بالواقع

---

(١) جريدة البعث العدد ٤، آب ١٩٦٢.

القطري .

على ان هذه الردة، وهذا اليأس الذي انتاب الكثيرين، لا يجوز ان ينسينا الخطوات التي حققها الاتجاه القومي التقدمي منذ عشرين سنة حتى الآن، في طريق تذليل المصاعب وتقريب فكرة الوحدة من اذهان الجماهير الشعبية وحياتها، وادخال هذه الفكرة في صميم نضالها اليومي من اجل نيل حقوقها الاجتماعية.

لقد اعترف الحزب الشيوعي لاول مرة عام ١٩٥٦، في بيان نشره، بالوحدة العربية كتيار تقدمي شعبي. على انه قال في ذلك البيان مستدركاً ان هذه الوحدة من صنع التطور التاريخي ولا فضل فيها لحزب او هيئة او افراد. ذلك لان الحزب الشيوعي كان دوماً في سورية، وفي باقي الاقطار العربية، متجاهلا كل التجاهل فكرة الوحدة والنضال من اجلها وكونها مطلباً شعبياً. وكان يشتبه بكل دعوة للوحدة ويصنفها ضمن الدعوات والمشاريع الاستعمارية. حتى اذا جابهه الواقع القومي القوي لم يجد بدا من الاعتراف به.

وهنا نستطيع ان نسأل الحزب الشيوعي: ما عسى ان يكون عليه مصير الوحدة العربية فيما لو وقفت سائر الاحزاب والهيئات والافراد من الوحدة منذ عشرات السنين موقفه هو منها؟ هل كان التطور التاريخي قادرا ان يقود حتما الى تكوين هذا التيار القوي دون اسهام الاحزاب ورجال الفكر وتوجيههم وقيادتهم للنضال الوحدوي؟

وهناك في قلب الصف القومي التقدمي منطق يستخف بالوحدة العربية وكأنه ينتظر لها التحقق بصورة آلية على يد التطور التاريخي دون مساهمة جدية ودون تضحيات ونضال من اجلها. لقد كان عمل بعض الآخذين بهذا المنطق مقتصرا على رفض الاشكال والمشاريع غير السليمة للوحدة، اكثر منه عملا في سبيل نشر فكرة الوحدة وتغذية نضالها والتماس السبل العملية لتحقيقها.

ان التطور التاريخي لا يأتي بالوحدة عفوا ومجانا، بل لا بد لها من خلق وتغذية يومية وتوضيح وتثقيف وتنظيم. وهي اكثر الاهداف القومية احتياجا الى ذلك كله، نظرا لانها عمل على مستوى آخر غير المستوى المباشر الذي يواجهه الشعب العربي في اقطار وطنه المجزأ، عمل من فوق الحدود ومن فوق المشكلات المحلية

المباشرة. وما دامت كذلك فالمهم اذن هو التحقيق واخراجها من حيز النظر والفكر والاماني، وتقريبها يوما بعد يوم من امكانية التحقيق. وليست المشكلة الاساسية هي اتقاء شر المشاريع المزيفة والمشبوهة: فالاستعمار والرجعية وجميع اعداء الوحدة قد شغلوا العرب عشرات السنين، وفي امكانهم ان يشغلوهم ايضاً سنين طويلة بالمشاريع المشبوهة والزائفة، ليكون العمل العربي كله مقتصرا على الرفض والسلبية، اي على ابقاء التجزئة والضعف والاستغلال.

المسألة اذن مسألة صحة الاتجاه القومي التقدمي، مسألة بقائه كحركة وحدوية ثورية في وجه الاتجاه التقدمي اللاقومي. ذلك ان الرجعية أعجز من ان تكوّن للأمة العربية اتجاها فكريا في مرحلة الانبعاث، ولا يهمها اكثر من المحافظة على مصالحها واستغلالها تحت اي ستار فكري، قوميا كان او غير قومي. المسألة هي التالية: هل يمكن ان تبقى في البلاد العربية حركة عربية تقدمية اشتراكية تتسع لأعمق حاجات الشعب العربي الى الثورة الاجتماعية، والحرية والديمقراطية دون ان تكون حركة قومية أي وحدوية؟

ان الردة الانفصالية اليوم عبارة عن مصالح رجعية ومنطق شعوبي واقليمي. وان واجب الحركة التقدمية ان تعود الى جوهر الاتجاه الذي اختطته منذ البداية في مجال القومية العربية، نعني التفاعل بين الثورة القومية والثورة الاجتماعية والعمل لهما عملا مترابطا.

ان الطليعة العربية التي قامت بعمل ثوري كبير عندما تلاقت وتوحدت منذ عشرين عاما الى الان من فوق الحدود الاقليمية ومن فوق عقلية التجزئة ومصالحها. مطالبة اليوم بان تترفع عن الانسياق مع منطق الانفصالية، لكيلا يتشوش وعي الشعب وتتزعزع ثقته عندما يرى الالتباس بين الرجعية والتقدمية، ولكيلا تزيف المعركة وتتجزأ القوى النضالية. فالدفاع عن سلامة اتجاه الوحدة وعن مضمونها الديمقراطي في وجه تزييف الحكم الفردي البوليسي لها انما هو واجب مقدس. ولكن له طريقه المختلف عن طريق الرجعية والانفصالية، وله ايضاً منطقه الموضوعي ولهجته الرصينة ونظره البعيد.

آب ١٩٦٢

حيث تكون مصلحة الطبقة الشعبية يكون الموقف الثوري

الوحدة اليوم تعني مقاومة المصالح الرجعية

الـوحـدة اليـوم[1] تعني بالـدرجـة الأولى مقـاومـة الوضع الانفصالي والمصالح الرجعية التي تكون أساس هذا الوضع .

إن الـوحـدة ليست ممكنـة التحقيق في مستقبـل قريب ـ كمـا يريـد الانفصاليون ومستغلو الانفصـال ان يوهمـوا الناس ليبرروا تسلطهم وارهابهم ـ فالوحدة تحتاج الى جهد كبير ونضال صلب ضد القوى الرجعية والاستعمارية والأنظمة الفردية لكي تتهيأ شروط جديـدة سليمـة لقيامها. والوحدة وإن كان مفروضاً عليها ان تبدأ جزئية، فهي تمس مصلحـة الشعب العـربي كله والأقطـار العربية كلها، ومن حق الشعب في كل قطـر أن يبـدي رأيـه فيهـا وأن يسهم في توفيـر كل الضمـانـات التي تيسر لها التحقيق والتطبيق السليم الناجح .

ولقـد رأينـا في المـاضي، أثنـاء التجـربة الأولى للوحدة، ما حل بها من انحراف وتشويه عندما استأثر الحاكم بتوجيهها واعتبرها ملكاً له وكسباً شخصياً لزعامته، فسيّر مقـدراتهـا في معزل عن الشعب داخل الجمهورية وخارجها وفي معزل عن القيادات العـربيـة الثـوريـة التقدمية. وها نحن نشاهد اليوم ما يحل بالوحدة ايضاً من انحراف

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ٢٢ تموز ١٩٦٢ .

وتشويه عندما تعتبر بعض الفئات في سوريا ان فشل الوحدة أمر يهم سورية وحدها ولا يؤثر على قضية الشعب العربي في الأجزاء الأخرى من الوطن، وعلى القضية القومية كلها ومستقبل الأمة العربية.

وهكذا تواجه هذه الفئات فشل تجربة الوحدة مواجهة سلبية ضيقة حاقدة، بعيدة كل البعد عن روح الشعب العربي ومصلحته وعن روح ومصلحة هذا الشعب في سورية نفسها، فكل ماضي نضال هذا الشعب - وفي سورية بالذات - يؤهله لأن يعالج فشل التجربة بما يبعد عن الوحدة في المستقبل كل احتمال لخطأ او انحراف أو تآمر، دون ان تطعن فكرتها وتضيع بين المصالح والأحقاد. كما أن مصلحة هذا الشعب - وفي سورية بالذات - هي في مقاومة الرجعية وحماية نفسه من استغلالها الشره وردتها الانتقامية.

فالرجعية تهيء، باسم مكافحة الوحدة المزيفة، لاستبعاد الوحدة أطول وقت ممكن أو القضاء عليها نهائياً من أجل إرجاع عجلة الزمن إلى الوراء، وإرجاع أوضاع اقتصادية رأسمالية استغلالية تقوم على حرية الاقتصاد وتحكم الشركات والاحتكارات، وتعيش في أمان لمدى طويل، مطمئنة ان الشعب سيبقى ضعيفاً حيالها ما دامت قد استطاعت ان تكرس الانفصال وتطيل عهد التجزئة.

وبينما تنطلي الخدعة على بعض القوميين التقدميين المجروحين مما اصاب الوحدة من انتكاس وتشويه وانحراف خطير ومن مساوىء الديكتاتورية والنظام البوليسي، تستغل الرجعية هذه الفرصة لتبني في ظل هذه المعركة وفي ظل هذا الغبار كله وهذا الضجيج كله، مخططاً بعيد المدى يهدف الى التمكين لأوضاعها وعودة تحكمها واستغلالها وضرب أهداف الشعب التقدمية.

إن ثمة مقياساً لا يخطىء، لأنه من صلب الاتجاه القومي التقدمي، هو مصلحة الطبقة الشعبية ومصلحة نضالها في سبيل الاشتراكية فحيث تكون هذه المصلحة يكون الموقف القومي الثوري. هذه الطبقة لم تكن الى جانب نظام الحكم الذي ساد أيام الوحدة لأنها لم تكن تلمس صدق تلك المكاسب الاشتراكية الممنوحة كهبة من الحاكم دون ان يضمنها نضال شعبي وحريات أساسية تجعل هذا النضال

ممكناً. وهي اليوم، وبعد الردة الرجعية التي أعقبت الانفصال، تدرك بعفويتها وتجربتها الحية ان عدوها الأول أصبح الرجعية التي انقضت على مكاسب العمال والفلاحين والتي عادت الى جشعها ومطامعها. وتعلق الطبقة الشعبية بالوحدة في هذا الظرف هو بالدرجة الأولى دفاع عن النفس والبقاء ضد جشع المصالح الرجعية، إلى جانب كونه تعبيراً عن شعورها الحيوي بالارتباط بين هدف الوحدة وهدف التقدم الاجتماعي. انها تدرك ان الابقاء على الانفصال يستهدف العودة إلى الأوضاع التقليدية الرجعية بكاملها وكبت الحركة الثورية التقدمية في الوطن العربي.

وفي مقابل ذلك نستطيع ان نقول أنه حيث تكون المصالح الرجعية يكمن الانحراف والتآمر والخطأ. ووقوف الرجعية وراء أي عهد وتوجيهها له اكبر كاشف عن انحرافه وزيفه. والرجعية اليوم هي التي تقود المعركة وتوجهها وهي التي تجر معها بعض الفئات التقدمية المخدوعة او الطامعة. إن شعاراتها ـ كما هو واضح ـ هي الرائجة: فكل شيء يدور حول شعارات الكيان الاقليمي والحرية الاقتصادية والالتقاء مع الرجعية العربية ومهادنتها. إن هذا المقياس ـ مقياس المصلحة الشعبية ـ ينبغي ان يكون حاضراً أمامنا دوماً، وهو الذي يمكننا من وضع الأمور في نصابها: فحكم عبدالناصر، بنزعته الفردية الخطرة، تعمد ضرب الحركة الشعبية عن طريق ضرب قياداتها، وصبَّ قسوة الحكم البوليسي على هذه القيادات الشعبية. واليوم ـ ونحن في سبيل معالجة هذه الأضرار والافات الجسيمة التي خلقها ـ نجد أنفسنا أمام أحد موقفين: فإما أن تعتبر هذه القيادات نفسها طبقة وتنظر بالتالي الى معالجة أمراض تجربة الوحدة من خلال أنانيتها وعواطفها ومصالحها الشخصية كطبقة مستقلة، وعند ذلك تعزل نفسها عن الشعب الذي ناضلت في الأصل من أجله وتحملت أذى الحكم السابق بسببه وفي سبيل أهدافه. . وإما أن تعتبر هذه القيادات نفسها ممثلة للحركة الشعبية والاتجاه القومي التقدمي ولمصالح العمال والفلاحين والمثقفين المرتبطين ارتباطاً مخلصاً بقضية الشعب، وعند ذلك تخرج بالموقف السليم الصحيح الذي يريها الخطر في الرجعية وتآمرها البعيد المدى على أهداف الشعب وحقوق عماله وفلاحيه، ووقوفها في وجه سائر الذين يسيرون في صف التقدم

ويعملون من أجل بناء الكيان العربي المتطور.

قد يقال أن الطبقة الشعبية متأثرة، لسبب أو لآخر، بالدعاية الناصرية، ونحن نعتبر من واجبنا أن نزيل كل التباس بين مفهوم الوحدة في أذهان الشعب وبين نظام الحكم المسؤول عن أخطاء التطبيق. ولن نتوانى عن كشف هذا الالتباس وعن كشف أخطاء الحكم في عهد الوحدة وعن مصارحة الشعب بعدم صلاحيته لحمل رسالة الوحدة العربية وأهداف الثورة الشعبية. إذ لا وحدة بدون حرية حقيقية للشعب ومنظماته الثورية. كما أنه لا ثورة شعبية مع الحكم الفردي البيروقراطي، ونحن نعتبر أن مصدر هذه الالتباسات لايرجع الى الحكم الفردي الذي كان قائماً فحسب، وإنما يعود أيضاً الى تهاون الطليعة الثورية في أهمية التنظيم الشعبي الثوري وإهمالها لضرورة استمرار دوره الفعال بعد قيام الوحدة، وتقبلها لحكم الفرد وعدم مصارحة الشعب بأخطاء ذلك الحكم. وبقاء مثل هذه الالتباسات اليوم في صفوف الشعب ناتج عن الآثار التي تركها الحكم الفردي وانعدام التوجيه الحزبي والثوري وعن تأخر قيام التنظيم الشعبي الثوري.

والخطوات البسيطة التي حققها هذا التنظيم الشعبي حتى الآن أنتجت تصحيحاً وتبديداً لبعض هذه الأخطاء والالتباسات. ومن هنا كان اكتمال قيام هذا التنظيم كفيلاً بتبديد البقية الباقية منها فنحن نؤمن أن شعبنا قادر على الوصول سريعاً الى المفهوم الأصيل للوحدة وللاشتراكية وللثورة الشعبية. ولاسيما عندما يرى أن القادة والموجهين الذين يحملون هذه الأهداف يقفون في صفه ضد أعدائه ومستغليه. وهو ليس بحاجة الى أن تصحح مفاهيمه بواسطة الحملات الصحفية المأجورة من الشركات الرأسمالية ومن الرجعية العربية، لأن مثل هذه الحملات تزيد في الانفعال والتطرف، بدلاً من أن تقرب من الفهم السليم. .

إن الموقف العملي للقادة والموجهين ـ ذلك الموقف الذي ينبغي أن يكون مناصرة للطبقة الشعبية ضد أعدائها ـ هو أفعل في نفوس الشعب من حملات التضليل والارهاب الفكري.

٢٢ تموز ١٩٦٢

الشعب العربي يطلب تصحيح التجربة لا الغاء الوحدة

منذ أن تأسست[1] الجامعة العربية عام ١٩٤٥ كانت مهمتها مزدوجة: محافظة على التجزئة الراهنة.. ومحافظة على الأوضاع الداخلية الرجعية، تحوّطاً وإحباطاً للتطور التاريخي، الذي كان ينذر بظهور تيار شعبي جارف نحو الوحدة العربية ونحو المجتمع الاشتراكي. منذ ذلك الحين كانت الانفصالية والرجعية توأمين متحالفين، وكان شعار التمويه: العمل للوحدة الشاملة. وقد أريد للجامعة ان تقوم منذ تأسيسها على تناقض أساسي يشلها ويمنعها من تحقيق أي عمل إيجابي لصالح الأمة العربية، بينما يسمح لها هذا التناقض - ما دام مستتراً غير مكشوف - أن تضع العراقيل الجمة في طريق نضال الشعب العربي وتقدمه، وأن تقوم في مناسبات خطيرة حاسمة بدور التآمر والتستر على الخيانة كالدور الذي قامت به في نكبة فلسطين. هذا التناقض يكمن في ادعاء العمل للوحدة العربية من جهة، وفي الانطلاق لهذا العمل من احترام وتكريس الكيانات القطرية، واحترام وتكريس الأنظمة الداخلية الرجعية من جهة اخرى.

لقد كانت الجامعة تقوم على أساس احترام استقلال كل دولة عربية، ليس تجاه

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ١٥ ايلول ١٩٦٢.

الـدول الأجنبيـة والاستعمـار، بل استقـلالهـا عن الدول العربية الاخرى، وتكريس الكيـانـات الاقليميـة باسم مبـدأ «الاستقـلال» بتحـريف معنـاه، من معنى التحـرر القومي، الى معنى الانفصال القطري.

كذلك كانت تقوم على أساس عدم تدخل اية دولة عربية في الشؤون الداخلية للدول العربية الأخرى. أي منع الدول التي استطاع النضال الشعبي ان يطورها نسبياً، سواء من حيث التحرر من القيود الاستعمارية، أو من حيث التحرر الداخلي السياسي والاجتماعي، من أن تنبه الشعب العربي إلى أخطار ارتباطات بعض حكوماته بالاستعمار، وأخطار تخلفها السياسي والاجتماعي على قضية هذا الشعب في كل مكان، وبتعبير آخر كانت الجامعة ترفع شعار الوحدة العربية لتتمكن من ضرب وحدة النضال العربي، فلم تكن بذلك سوى خدعة اخترعتها الحكومات العربية الممثلة لطبقة اجتماعية رجعية ذات مصالح تجعلها معادية للشعب متواطئة مع الاستعمار.

وقد بلغ هذا التناقض ذروته في الدور الذي لعبته الجامعة في حرب فلسطين، فتحقق أجمـاع الحكـومات العربية على شيئين سلبيين: الأول، منع شعب فلسطين من النضال والمشاركة في القتال، والثاني، تغطية الهزيمة والخيانة، وتضييع المسؤولية برفعها عن الحكومات العربية، تفادياً لثورة الشعب عليها، وتحمل الجامعة لتلك المسؤولية لأن الشعب لايستطيع محاسبتها. فقد أدخلت الحكومات جيوشها الى فلسطين لخداع الشعب العربي، ولتبرير منع شعب فلسطين من القتال، وتبرير الهزيمة فيما بعد، لأنها كانت تعرف أن هذه الجيوش لايمكن ان تنتصر ـ طالما لم يكن ممكناً توحيدها الحقيقي بقيادة مخلصة سليمة وبقي كل منها يعمل على انفراد وبعضها حسب توجيهات الدول الاستعمارية.

فمن النكبـة والهـزيمـة في فلسطين لقيت الجـامعـة نهـايتها كفكرة، واستمرت كواقـع لـم يعـد له أي أثـر في الأحداث، بينما ولدت من هذه النكبة ذاتها فكرة عملية للوحـدة بمضمـون اشتـراكي ديمقـراطي، وتفكيـر جديد يتمرد على منطق الكيانات القطرية ويجرمه كما يجرم الوضع الاجتماعي الرجعي كأكبر معطل لامكانيات

الشعب. وتركز في أذهان الجماهير العربية انه لا بد للوحدة، كيما تتحقق، من ان تقفز من فوق الجامعة لتتجاوز منطق التناقض والاحتيال الذي أدى الى ضياع فلسطين. وبدأ السعي للتوحيد بين دول متقاربة في النضال والاهداف.

ومنذ عام ١٩٥٥ بدأ التقارب بين مصر وسوريا على أساس التماثل في السياسة الخارجية (تحرر ومقاومة للأحلاف العسكرية، حياد إيجابي) والسياسة العربية، والسياسة الاجتماعية مثل الاصلاح الزراعي وغيره، وفي عام ١٩٥٦ كان إجماع الشعب العربي في جميع أقطاره على تأييد مصر في معركة تأميم القناة أروع مثال على التفكير الجديد المناقض والمصحح للتفكير الذي قامت عليه الجامعة. كان انفراد حكومة عربية في اتخاذ موقف قومي جريء أقوى من دول الجامعة كلها ومن إجماعها. وكانت سوريا تعرف إذ ذاك مدأ شعبياً تحررياً فوقفت حكوماتها الى جانب مصر وتحققت وحدة القطرين عام ١٩٥٨ نتيجة هذا التقارب.

فالانفراد الثوري نال إجماع الشعب العربي، أما الاجماع الرجعي فكان متهماً ومجرماً في نظر الشعب. ووحدة سوريا ومصر لم تتم في الجامعة، ولا بمعرفتها ومنطقها بل كانت هي أيضاً انفراداً وتمرداً على المنطق القديم. وظلت كذلك في نظر الشعب العربي الى ان انحرفت التجربة وظهر ان المنطق الاقليمي كان هو السائد في حكم الوحدة بدلا من المنطق الوحدوي، ومنطق الحكم الفردي بدلاً من منطق الحكم الشعبي فانتكست الوحدة بذلك وانهارت.

وإذا كانت الوحدة قد أفادت من فشل الجامعة، فهل أفادت الجامعة من فشل تلك التجربة للوحدة؟ هل استطاعت الجامعة أو تستطيع ان تعزز وجودها ونفوذها نتيجة فشل تلك المحاولة الوحدوية المتمردة على الكيانات الاقليمية وعلى الأنظمة الرجعية وإجماع الدول العربية؟ لقد كادت الجامعة أن تنهار نتيجة انهيار تلك التجربة للوحدة، وهذا يعني أن الرجوع الى الوراء لم يعد ممكناً، ففشل تجربة الوحدة لا يداوى بالمرض نفسه الذي كان سبب الفشل، اي بالعقلية الاقليمية التي تجاوزها الزمن، بل بخطوة جديدة الى الأمام في طريق الوحدة السليمة. لم يعد لمنطق الجامعة إمكانية البقاء والحياة في المرحلة التي وصل اليها الوعي عند

الجماهير العربية، فإذا بقيت الجامعة فإما أن تتطور وتغير مبادئها، وإما أن تقبل بدور رمزي بسيط كمجرد رابطة ومكان للالتقاء . .

بعد تجربة الوحدة لم يعد المنطق القطري قادراً أن يعرض نفسه على الرأي العام (في الجامعة) بل تَرتَّبَ عليه أن ينحصر في حدود القطر، وعند الطبقة الرجعية المتآمرة والشعوبية الحاقدة، فالخداع لم يعد ممكناً لأن الوعي الشعبي قد نضج وخاصة بتجربة الوحدة وانتكاسها. التآمر بشكل علني وعلى مسرح الجامعة العربية أصبح متعذراً في حين أن التآمر على نطاق القطر بالارهاب والتنكيل يمكن أن يحدث، فاذا ظن البعض أن بإمكان الجامعة ان تلعب هذا الدور فظنهم خاطىء. فالتآمر على الوحدة هو بالدرجة الأولى تآمر على الاشتراكية، والعودة الى المنطق القطري هو بالدرجة الأولى عودة الى المنطق الرجعي الرأسمالي، وقد تأسست الجامعة بقصد التآمر على الوحدة والاشتراكية معاً. ويراد لها اليوم أن تكون البديل للوحدة، وأن تجسد فشلها وفشل مضمونها الاشتراكي وأن تلعب نفس الدور الذي قامت لتلعبه: خداع العمل الوحدوي القائم على احترام التجزئة واحترام الأنظمة الرجعية. ولكن ذلك ضرب من المحال، فأن تنتكس الوحدة في قطر، وأن ينتكس مضمونها الاشتراكي، هو شيء مختلف جداً عن تكريس هذه الردة في الجامعة، اذ أن الجامعة تحاول أن تعطي لما يقرر فيها من مواقف وتوجيهات صفة قومية، ولا يجرؤ أحد اليوم على تحدي الرأي العام العربي بمثل هذا الشكل العلني الاجماعي وإلا كان أعضاء الجامعة يسعون الى إنهائها ليعود كل منهم الى تنفيذ المؤامرة بشكل مستور في نطاق القطر.

لقد جاءت تجربة الوحدة لتبرهن رغم كل ما فيها من نواقص وثغرات على حقيقتين خطيرتين بالنسبة لقضية الشعب العربي . . أولها أن الوحدة ممكنة وقابلة للتحقيق، ولذلك لن يهدأ للشعب العربي بال بعد اليوم قبل أن يحقق خطوة وحدوية شعبية. والثانية ان الوحدة ارتبطت بحياة الجماهير ونضالها اليومي من أجل معيشتها ولن تستطيع قوة ان تفصل بين نضال الفلاحين والعمال من أجل الوحدة، وبين نضالهم من أجل الاشتراكية والحرية.

ولقـد أتت انتكـاسـة تجربة الوحدة لتؤكد ان منطق الوحدة هو المنطق الصحيح وبـالتـالي إذا كانت هنـاك أمـانٍ وأوهـام لدى الـرجعيـة في أن تستعمل انتكاسة تلك التجـربـة للوحـدة بالـرجوع لمنطق الكيانات والمحافظة على الأوضاع الرجعية فهذا وهم وتضليـل لأن الـوعي الشعبي أقـوى من أن تصمد أمامه مثل هذه المحاولات . . الشعب العربي يطلب تصحيح التجربة لا إلغاء الوحدة.

١٥ أيلول ١٩٦٢

في ذكرى انتفاضة رمضان

ايها الأخوة[1]

امتنا تخوض تجربة تاريخية كبرى متعددة النواحي فيها الانتصارات وفيها العثرات الى أن تبلغ الأهداف الكبرى التي وضعتها لنفسها كأمةٍ عظيمة تشعر بدورها التاريخي وبرسالتها الانسانية. لانستطيع ان نقدر عظمة ثورة رمضان إلا اذا تذكرنا العهود الحالكة التي سبقتها سواء في العراق أو في سوريا، ليس سهلاً أن نوفي بطولة شباب البعث العربي الاشتراكي حقها من التقدير، تلك البطولة التي جسدوها في صباح الرابع عشر من رمضان مدنيين وعسكريين. لقد قضوا في ذلك اليوم على عهد من التآمر على عروبة العراق بل على العروبة جمعاء على عهد مَثّل العزلة والانتهازية والشعوبية والدكتاتورية أبشع تمثيل.

وانتفاضة رمضان كانت في الوقت نفسه قضاء على عهد آخر لايقل إجراماً وتآمراً وسواداً عن عهد قاسم ذلك هو عهد الأنفصال في سورية العربية. انتفاضة رمضان أيها الأخوة كانت ممهدة ومقدمة لحركة آذار كما نرجو أن تكون حركة آذار ثأراً كبيراً لثوار رمضان. الأمة الأصيلة ايها الأخوان هي التي تتعلم من جميع الظروف والأحداث من النصر ومن الفشل على السواء ولقد كان عهد الانفصال درساً عميقاً بليغاً لجميع المناضلين إذ برهن بأن تفرق القوى العربية التقدمية لايكون إلا

---

(١) كلمة القيت في ٨/ ٢/ ١٩٦٥ ونشرت في جريدة «الأحرار» بتاريخ ٩/ ٢/ ١٩٦٥.

لمصلحة الاستعمار والرجعية . وان الخلافات مهما تكن كبيرة بين قوى المعسكر الثوري العربي لايجوز ان تتعدى حداً معيناً وإلا استغل ذلك الاستعمار واستغلته الرجعية والصهيونية وجميع أعداء الأمة العربية .

ايها الأخوان

لقد كان الدرس مؤلماً بالنسبة إلى معسكر الثورة العربية عندما أصيب بنكسة الانفصال في سوريا وكان مؤلماً عندما اصيب بنكسة ١٨ تشرين في بغداد ولكن التقدميين العرب ، القوى العربية التقدمية خرجت أخيراً مستفيدة من هذا الدرس بعد ان دفعت هي والشعب العربي في جميع اجزاء وطنه أبهظ الأثمان ، وتوصّلت اخيراً إلى أن تدرك هذه الحقيقة الأولية وهي انها كلها يجب ان تبقى صفاً واحداً في وجه اعداء الأمة العربية واعداء نهضتها وتقدمها .

لقد ظهر هذا الوعي الجديد المبارك عندما سارعت القوى التقدمية في الوطن العربي وحتى خارج الوطن العربي الى تأييد حركة آذار في قراراتها الاشتراكية الأخيرة متناسية كل الخلافات الثانوية مدركة بأن المعركة الأولى يجب أن تبقى مع الاستعمار والصهيونية والرجعية وهكذا تلاقى الأخوة بعد زمن من الفرقة وسارعت الجمهورية العربية المتحدة قيادة وشعباً الى تأييد قرارات التأميم كما حذت حذوها ثورة الجزائر وكما فعل المعسكر الاشتراكي ، ولم يتخلف إلا اعداء الثورة إلا اعداء الشعب إلا اعداء التقدمية إلا اعداء القومية ، الحاكمون في بغداد الذين فضحوا انفسهم مرة اخرى عندما تخلفوا عن الركب التقدمي فوقفوا الى جانب المؤامرات الاستعمارية والرجعية على سوريا ، وهاجموا الخطوات الاشتراكية المباركة وكان هذا كافياً لادانتهم مرة جديدة بانهم اعداء الشعب . هذا الحكم الرجعي المتآمر الذي يزج في السجون الآلاف من البعثيين وألوف الوطنيين التقدميين دون وازع من ضمير .

ونحن نرسل باسم شعب هذا القطر وباسم حركة آذار وباسم البعث العربي الاشتراكي في كل قطر عربي نرسل تحية النضال والاعجاب والأخوة لمناضلينا المعتقلين في سجون العراق ولجميع رفاقهم من الوطنيين المخلصين تحية عربية نضالية إلى المعتقلين من اعضاء القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي

معاهدين رفاقنا على اللقاء في يوم قريب في يوم النصر المبين.

وكلمة صادقة الى جميع المنظمات القومية والوطنية التقدمية في العراق لكي تعتبر بالدروس السابقة ولكي تدرك اخطاء الماضي فتتلافاها وتوحد جهودها في سبيل المعركة المشتركة وفي سبيل التخلص من الأوضاع الرجعية الدكتاتورية الغاشمة.

ايها الاخوة

الحزب الذي يضطلع بمهمة تاريخية في سبيل سعادة شعب عظيم لايخاف ان ينقد نفسه وان يرى اخطاءه لانه يعرف ان هذا شرط اساسي من أجل أن يصحح سيره وان يسرع في تحقيق أهدافه.

ولقد حدث بعد انتفاضة رمضان غلو وتطرف في معاملة فئات تقدمية كانت هي الأخرى قد انجرفت مع الغلو والتطرف وتصدت لتلك الانتفاضة المجيدة دون إدراك لحقيقتها التقدمية ودون ادراك لطبيعة إنتفاضة رمضان الشعبية التي إنما وجدت من أجل الطبقة الشعبية من أجل العمال والفلاحين من أجل الجماهير العربية الكادحة الواسعة في كل جزء من اجزاء الوطن الكبير فكان هناك غلو من الطرفين وتباعد وكانت هناك أعمال قاسية يجب أن ننتقد انفسنا فيها لكي نتحاشى في المستقبل كل سبب من أسباب التنابذ والتناحر بين قوى التقدم والثورة ولكي يستفيد كل طرف من هذه التجارب والعبر.

فلقد ظلت حركة البعث العربي ايها الرفاق والأخوة. . . مغموطة الحق ظلت حركة البعث العربي سنين طويلة في نظر الحركات الثورية والتقدمية في العالم مغموطة القدر والحق، لا يعترف بثوريتها وبتقدميتها وبأنها تمثل حركة الجماهير العربية في تطلعها نحو المجتمع الأفضل، وكانت تلقى عليها الشبهات والتهم جزافاً وظلماً وعدواناً. واخيراً وضح الحق وتراجع المخطئون وخاصة بعد ان اسفرت حركة آذار عن وجهها الاشتراكي الحقيقي الأصيل، لم يعد من عذر أو مبرر لاية فئة تقدمية في الوطن العربي أو خارجه ان يلتبس عليها الأمر في فهم حقيقة البعث العربي الاشتراكي.

ايها الأخوة

ليس كل الذنب على الآخرين ليس كل التقصير من الآخرين يجب ان نعترف بقسطنا وان نتحمل نصيبنا من الخطأ، لكي تكون حركتنا بالفعل حركة تاريخية متجردة، تسمو فوق الانانيات وفوق الاعتبارات الزائلة ولا يهمها شيء الا مصلحة الشعب العربي. لم تنتكس إنتفاضة رمضان هذا الانتكاس المؤقت لان هناك رجعية واستعماراً يتآمران دوماً على شعبنا وعلى ثورته وإنما ايضاً لأن الانتفاضة تركت مجالاً لاستغلال هذه القوى المعادية.

والحزب مفجر الثورات هو فوق الثورات وإذا اخطأت الثورات، فالحزب موجود لكي يصحح. ايها الأخوة. . . الثورة لاتخشى اعداءها لانها انما وجدت لكي تواجه هؤلاء الأعداء، ولكي توقع بهم الهزيمة، وتقضي على جرائمهم ومفاسدهم، وتعطيلهم لنهضة امتنا. ولكن الثورة يجب أن تخشى ان يتأثر بالاعداء من هم بحكم مصالحهم وأوضاعهم وآمالهم في صف الثورة. الثورة تكون مقصرة إذا تركت الأعداء يؤثرون في قسم من ابناء شعبنا ما استطاعوا ان يتبينوا اين تكون مصلحتهم واين هو موضعهم في الثورة.

وعلينا باستمرار أن ننقد أنفسنا وان نحث الهمم باستمرار لكي نوصل صوت الثورة الى جميع ابناء الشعب الذين يفترض فيهم أن يكونوا الى جانب الثورة يقاتلون ويحاربون في صفها.

ايها الأخوة

ان الانتصارات لا تسكر إلا الأفراد السطحيين المغرورين الدخلاء على الثورة والحزب، لان المناضلين الحقيقيين يزدادون تواضعاً عند كل نصر يحققونه ويعرفون انهم لم يكونوا سوى الاداة لهذا النصر، وإن الشعب هو صانع النصر.

ايها الأخوة ما زالت الطريق أمامكم، أمامنا جميعاً، ما زالت الطريق طويلة وشاقة، ما تزال أمامنا مهمات كثيرة ليست الانجازات على اهميتها هي كل شيء وإنما هناك الوعي والتوعية والتوضيح والوصول إلى قلب كل مواطن بحماسة النضال، بحرارة الايمان، بحرارة المحبة، أن لاندع فرداً واحداً يغدو فريسة الرجعية، أو فريسة

الاستعمار، يضلل وينتقل إلى صف الأعداء بدلاً من أن يحارب في صفنا ما زالت هناك نقاط غامضة تحوم حول هذه التجربة في نظر قسم من ابناء الشعب.

يجب أن توضح هذه النقاط يجب أن يعرف الشعب العربي في سوريا وفي كل أرض عربية بأن حزب البعث العربي الاشتراكي هومن صميمه، هومن قلبه وروحه، هومن دمه وعرقه وشقائه، هومن تراثه وتاريخه، هومن عروبته الأصيلة هومن قيمه الروحية، وانه ليس دخيلاً عليه وليس غريباً عنه ولا شاذا ولا متحذلقاً ولا متعسفاً وإنما ترجمان أمين متواضع لحاجات هذا الشعب ولروح هذا الشعب ويجب ان يكون هذا واضحاً ليس في الكلام فحسب وانما في سلوكنا وفي عملنا اليومي، يجب ان تتجسد اخلاق البعث وفكرة البعث بكل ما تحمل من قيم روحية ومن أصالة عربية ومن تشبع بتراثنا القومي التاريخي المجيد، يجب أن تتجسد في أعمالنا اليومية وهكذا لن يكون في وجهنا إلا الأعداء وهذا ما قبلناه عندما بدأنا حركتنا لأننا إنما وجدنا لنزيل هؤلاء الأعداء من طريق الأمة.

ايها الأخوة

لقد طرأت اشياء واشياء على هذا الحزب وعلى ثوراته ويجب ألا نتهاون في التمييز بين الأصيل والدخيل بين المفاهيم الأصيلة والمفاهيم والشعارات المقلدة والمستعارة، يجب أن يعود اعضاء هذه الحركة إلى ماضي حركتهم كما يجب أن نعود جميعاً الى ماضي أمتنا المجيدة فنستلهمه باستمرار. الحزب الذي لايرتبط حاضره بماضيه لا يكتب له التقدم والنجاح والأمة التي لايرتبط حاضرها بماضيها لا تقدر على التخلص من أوضاعها الفاسدة وعلى تحقيق النهضات والثورات.

هذه الحركة منذ بدايتها قامت على أفكار أساسية وقيم أساسية وما أحرانا بأن نتذكر باستمرار هذه القيم والافكار بعد ان دخلت في طور التحقيق فقد كانت فكرة القومية ايها الأخوان مظلومة في وطننا لا بل في العالم كله.

كانت فكرة القومية في نظر الثوريين والتقدميين في العالم تعتبر فكرة رجعية ونزعة تعصبية او استعمارية وكان البعث العربي أول من جلا حقيقتها وأظهر وجهها الايجابي المبدع الثوري المحب وكانت تلك كلمة السر في نجاح هذه الحركة لانها

حملت إلى جماهير الشعب العربي الثورة باسم القومية العربية قرنت الاشتراكية بالوحدة وبالقومية فوجدت الطريق معبداً الى قلوب الشعب والجماهير.

وبعد سنين وسنين من نشأة هذه الحركة رأينا الحركات التقدمية في آسيا وأفريقيا وغيرها من بلدان العالم تؤكد تلك الحقيقة التي كان حزب البعث العربي الاشتراكي اول من أبرزها بأنَّ القومية ليست كلها سلبية وليست سلبيتها إلا تزييفاً وتشويهاً وانحرافاً عن حقيقيتها وإنها في حقيقتها إيجابية محبة ثورية مبدعة.

كذلك كان البعث العربي منذ ربع قرن أول من أعطى لقيمة أخرى غالية لقيمة روحية ثانية هي الدين اعطاها حقها وأنصفها وجلا وجهها الايجابي المبدع الصادق بعد ان كانت الحركات التقدمية في العالم تنظر الى الدين كأنه وسيلة لتضليل الشعوب فحسب، وسيلة يستخدمها مستغلو الشعب ومستعبدوه وانه للتخدير والتضليل ولقتل روح الثورة والنضال فجاء البعث العربي وبدأ نضاله وتاريخه بأن جلا الوجه الحقيقي للدين وخاصة للتراث العظيم للأمة العربية وللرسالة الخالدة التي نعتز بها جميعاً فما لنا ايها الأخوة. . . ما لنا نتعامى عن الكنوز التي كشف عنها حزبنا، ما لنا نتهاون في تقدير هذه القيم؟.

ايها الأخوة

يجب ان تكون نظرتنا جريئة نظرة الثوريين فيها جرأة وفيها شجاعة وفيها الرجولة يجب ان لانحمّل الآخرين كل المسؤولية بل ان نتحمل قسطاً منها سنجد دوماً في طريقنا العقبات، سنواجه كثيراً من الشكوك والظنون والاتهامات من قبل أقرب الناس الينا من قبل أفراد شعبنا سنواجه دوماً كل ذلك إذا لم نعد الى تلك الينابيع الأولى الينابيع الروحية التي بدأت بها حركتنا وإذا لم نصمم بأن نرفع ثورتنا الى صف الثورات التاريخية وأن نعطيها أبعادها الانسانية وان تتسم بالعمق والمحبة والأخلاق.

وما ارتضينا لأنفسنا بالماضي ولن نرتضي بأن تكون ثورة البعث مجرد حكم وسلطة تصدر القوانين وتصدر الاجراءات وانما أرادها الشباب العربي في هذا الوطن العربي الواسع أرادوها حركة تاريخية إنسانية تروي في النفس العربية كل تطلعاتها وظمأها الى القيم والمثل تعيد الصلة بين حاضرنا وماضينا المجيد، تفتح أمام شعبنا

إمكانيات مستقبل انساني أصيل لايبقى عالة على غيره من الأمم ولا يبقى مقلداً ومستعبداً وإنما يجدد عهد الحضارة العربية بكل ما فيها من قيم إنسانية.

ايها الأخوة

اذا اردنا في هذه المناسبة العظيمة ان نمجّد انتفاضة رمضان وان نجدد العهد على استرداد عراقنا الحبيب من أيدي الرجعيين والاستعماريين والشعوبيين فليس مثل هذا العهد نقطعه على أنفسنا يهيىء لنا سبيل العودة إلى العراق وإلى كل قطر عربي هذا العهد بأن نتحاشى تلك الأخطاء التي وقعت في الماضي والتي كان سببها السكر بخمرة الظفر والسلطة أو الطيش والغرور وانفصال القادة عن القاعدة وتلهيهم بالتنافس والتناحر على المناصب متناسين الرسالة السامية التي وجد هذا الحزب ووجدت ثوراته من أجل تحقيقها، ألا وهي: مصلحة الشعب، مصلحة عشرات الملايين من ابناء الشعب العربي.

هذه هي الرسالة فكيف يجوز لأحد.. للقادة أن يفكروا لحظة واحدة في انفسهم وفي مراكزهم ومصالحهم الشخصية وهم مؤتمنون على مثل هذه الرسالة لايصلح حالنا إلا اذا قرنا العلم بالاخلاق وحزبنا قام على العلم ولولا ذلك لم يبق هذه السنين الطويلة ولم ينجح وانما نجح أيضاً لأنه لم ينظر إلى العلم نظرة سطحية وانما قرن العلم بالقيم الأخلاقية بالتذكر المستمر للامانة التي وضعت في أيدي مناضلي هذا الحزب وقادته، والتي تتعلق بمصلحة عشرات الملايين من العرب. هذه الأمانة التي تتطلب منا جهداً وتواضعاً وتجرداً حتى نأمن في المستقبل النكسات والعثرات وحتى نؤدي الأمانة كاملة صادقة والسلام عليكم.

٩ شباط ١٩٦٥

بيــان
حول مؤامَرة ٢٣ شباط

يا أبناء شعبنا العربي . .

أيها البعثيون !

هذا الحزب هو حزبكم، كوّنه وبناه جيل عربي كامل من أبنائكم، من أبناء الشعب الكادح المحروم، المظلوم المناضل. انه يمثل آلاماً كثيرة وأتعاباً وتضحيات جمّة طويلة، هي ملك للشعب وللأمة العربية وليست ملكاً لفئة أو أشخاص. انه يمثل أملاً كبيراً هو أيضاً أمل الأمة العربية، فلا تَدعَوُه يتداعى وينهار في الظلام، نتيجة الأحقاد والشهوات والأطماع، أطماع فئة تستبيح من أجل أن تبقى في السلطة وترتع في مغانمها الزائلة أن تعرّض لخطر الانهيار أكبر حركة عربية شعبية وجدت في الوطن العربي منذ ربع قرن، وانهيارها سوف يعني فراغاً كبيراً ولسنين طويلة، في مجال النضال القومي الشعبي، وبالتالي ظفراً كبيراً وسيطرة طويلة لقوى الاستعمار والرجعية والاقليمية والشعوبية.

إننا نؤمن بأن قواعد الحزب وجماهير الشعب في الوطن العربي الكبير، إذا هي بادرت وتسلّمت قضية مصير هذا الحزب الذي هو منها وإليها، فإنها سوف تنقذه من المصير المبيّت له، وتنقذ بالتالي قضيتها هي، قضية نضالها الموحّد ضد الاستعمار وإسرائيل والأنظمة الرجعية والعميلة، قضية خبزها وكرامتها وأملها في بناء الاشتراكية

العربية التي يقدّمون تزييفاً لها وإلهاء عنها وبديلاً، شتاتاً من الاجراءات الفوقية المرتجلة، أرادوها في الوقت نفسه إلهاء وبديلاً عن العمل من أجل الوحدة العربية.

في هذه الظروف العصيبة الحالكة، ظروف الردة الاستعمارية الرجعية الشعوبية، التي تذكر بالردة التي أعقبت الانفصال، ولكنها أشدّ هولاً وأوسع نطاقاً، لأنها تتجاوز الوطن العربي إلى إفريقيا والعالم الثالث، يجدر بمناضلي الحزب وبجماهير الشعب المناضلة أن يعودوا إلى المبادىء الثورية الأولية وإلى الروح النضالية البسيطة الصادقة:

١ ـ هناك عدوان وقع على شرعية ربع قرن من نضال البعث العربي الاشتراكي لايجوز أن يُبرر بأي نوع من أنواع التبرير ولا يمكن أن يفسّر إلاّ من خلال الظروف العربية والدولية الراهنة، ظروف الردة الاستعمارية.

٢ ـ هناك انحراف خطير قد وقع، باستعمال سلاح الجيش ضد الحزب أولاً، وباستعمال بعض الحزبيين في الجيش للسلاح ضدّ بعضهم الآخر ثانياً، فإذا لم يحاسَب مرتكبو هذه الأعمال، ولم تُصحح الأوضاع، فإن الحزب سوف ينتهي، لأن القيمة أصبحت للسلاح لا للمبادىء، والجيش سوف ينتهي لأن الثقة لن تعود مطلقاً بين رفاق السلاح، ولن يُغلق باب الانقلابات واستعمال القوة وأعمال الغدر.

٣ ـ هناك انحراف عقائدي خطير يهدّد اتجاه الحزب وثورته، وقضية الشعب ومصلحته الحيوية، هو انحراف عن أهم ما يميّز حركة البعث، وخيانة للمبدأ الذي جعل من حزب البعث حزباً ثورياً وبالتالي حزباً يعيش حتى اليوم: مبدأ القومية في التنظيم والعقيدة. فقد خان المتمردون هذا المبدأ عندما تمرّدوا على قرارات وسلطة القيادة القومية، ونصبوا من أنفسهم ومن «تنظيمهم» القطري اللاشرعي سلطة مغتصبة تدعّي حق دعوة المؤتمر القومي، كما تدعّي حق تصحيح مزعوم للحزب ليس على نطاق القطر فحسب، بل على النطاق القومي كله. كل ذلك لأن بيدهم قوة السلاح ولأنهم اغتصبوا أجهزة الدولة، ويطمعون في أن يُلحقوا المنظمات القومية «بحزبهم» القطري بأسلوب شراء العملاء ومساومة المناضلين الشرفاء على عقيدتهم بالمساعدات المادية.

وكل هذا العدوان على شرعية التنظيم والاغتصاب للسلطة بغية الوصول إلى الخيانة الأساسية، خيانة العقيدة القومية، والعودة إلى جاهلية الفترة السابقة لظهور الحزب، عندما كانت الأقطار العربية تواجه الاستعمار والصهيونية متفرّقة ومشتتة، بل متناقضة ومتناحرة.

٤ ـ هناك تسلّط على الحزب والحكم والجيش من فئة عسكرية صغيرة تمارس هذا التسلّط منذ بداية الثورة، وقد وصلت في تسلطها إلى ذروة الاغتصاب والتزييف بالانقلاب الأخير الذي قامت به ضدّ الحزب وشرعيته وسلطة أعلى قيادة فيه. وفي رغبة هذه الفئة في التسلط وفي ممارستها له تكمن أهم أمراض الثورة وأعمق أسباب الأزمات التي تعرّضت لها الثورة حتى الآن، وكل ما طرأ على الحزب من تشويه وتزييف وإفساد، بإباحته لغزو الموجات الانتهازية المتلاحقة منذ ثلاث سنوات والتي تسرّبت من خلالها العناصر المدسوسة الحاقدة أو المعادية أو العميلة المتآمرة.

وهذا ما انعكست آثاره على حياة الشعب في هذا القطر وعلى نفسية الشعب العربي في الأقطار الأخرى فشوّشت وشوّهت صورة «البعث» في عينه، وبدلت نظرته إلى الحزب، بينما لقي الشعب في هذا القطر أشد العنت والاضرار بمصالحه والعبث بحرّياته وكرامته، دون أن يتضح له كل الاتضاح بأن الحزب بريء من أعمال الفئة العسكرية المتسلطة، التي أساءت إلى سمعة الجيش والحزبيين العسكريين بقدر ما أساءت إلى سمعة الحزب وماضيه النضالي المشرف، ووضعت هكذا الحواجز والسدود النفسية بينه وبين الشعب.

يا أبناء شعبنا العربي..

ويا أيها المناضلون أبناء البعث العربي الاشتراكي:

أمام هذه المحنة التي تحلّ بقضيتكم وبحزبكم المجاهد، يمكن أن يُبحث عن الحلّ والخلاص بأساليب ونظرات شتى، يمكن أن يبحث عن حل توفيقي وبأسلوب التسوية والترقيع، ومن وجهة نظر متشائمة متخاذلة فاقدة الثقة بقواعد الحزب لأنها فاقدة الثقة بالشعب ذاته، فيأتي ذلك كحلقة أخيرة في سلسلة الحلول والمعالجات السطحية والمصلحية التي أدّت إلى هذا التردّي.

ويمكن أن نبحث عن الحل الصادق البسيط، الحل الجديد بروح البعث العربي ونشأته النضالية ومقاييسه التي لاتخطيء: لا مساومة ولا تسوية مع الباطل والغش والفساد. لا اعتراف ولا نصف اعتراف بوضع ينفي وجود الحزب من أساسه، ومن يوم تأسيسه، الحزب الذي عرفه الشعب واطمأن إلى عقيدته الثورية وروحه العربية وأخلاقيته الأصيلة، ليحلّوا محله حزباً آخر، بعقيدة إقليمية، وروح طائفية شعوبية، وأخلاق الهمجية والغدر.

لا مساومة ولا تسوية مع التسلط العسكري، لأنه يقضي على الحزب وعلى الجيش، وعلى كل أمل في أن يكون العسكريون جديرين بالحزبية الثورية وبناة الجيش العقائدي العربي.

لا مهادنة مع الفئة المتسلطة التي أساءت استعمال السلاح الذي اؤتمنت عليه من الشعب والحزب، وخانت الارادة الجماعية للرفاق العسكريين، كما خانت الارادة الجماعية للحزب في القطر وفي الوطن العربي كلّه.

إذا كانت الأخلاق والأساليب التي استعملتها الفئة المتسلّطة منذ ثلاث سنوات حتى الآن، في الكذب والافتراء والغدر واللؤم بحقّ الرفيق قبل الخصم، وبحق الشعب قبل العدو الغريب، وإذا كان أسلوب تزييف الحزب وارادة أعضائه وانتخابات قياداته ومؤتمراته هو الاسلوب الثوري، فمعنى ذلك أن هذه الثورة ليست ثورة البعث بل الثورة المضادة التي استطاع الاستعمار وعملاؤه بشكل من الأشكال أن ينفذوا إليها ليضربوا من الداخل أكبر حركة شعبية عربية في هذه المرحلة الحاسمة. . وتكون النقمة المسرحية على أنظمة الحكم الفردية والعهود الرجعية وأساليبها ومفاسدها كذباً ورياء وطريقاً إلى الوصول فحسب.

أيها الشعب العربي. .

أيها البعثيون!

إذا كانت الدبابات والمدافع هي التي صنعت ثورة الثامن من آذار وهي التي أتت بحزب البعث العربي الاشتراكي إلى الحكم، فليذهب هذا الحكم لأنه قام على أساس فاسد، وليمته هذا الحزب لأنه يكون قد فقد روحه وحيوية مبادئه ولم يبق فيه إلاّ

القوة الغاشمة ولأن الاستعمار يصنع في كل شهر انقلاباً جديداً ليس فيه إلّا القوة الغاشمة والغدر.

أما إذا كان البعث العربي الاشتراكي هو الذي صنع ثورة آذار وصنع المدبابات والمدافع، والسواعد التي استعملتها والعقول والنفوس الواعية الثائرة التي سيرّتها صبيحة الثامن من آذار لخدمة الأهداف التي ناضل البعث العربي الاشتراكي من أجلها في أكثر من قطر عربي أكثر من عشرين عاماً، عندئذ يجب أن يذهب الذين استعملوا في الأيام الأخيرة الدبابات والمدافع ضدّ شرعية الحزب ومبادئه وقيمه ظانين أن الدبابات يمكن أن تغلب المبادىء، وأن أصوات المدافع يمكن أن تُخرس في ضمائر البعثيين وأبناء الشعب العربي صوت ماضٍ مشرف من النضال والتضحية تاريخه خمسة وعشرون عاماً.

وإذا كان البعثيون الصادقون الذين رباهم النضال هنا وفي كل قطر عربي، قد حبسوا أنفاسهم طوال ثلاث سنوات وكتموا الهمّ في صدورهم لأنهم من جهة كانوا ينكرون أن تُحسب تلك الأعمال الشاذة التي شوّهت ثورة آذار على حزبهم وعقيدتهم، ومن جهة أخرى كانوا يتورّعون عن فتح باب الانقسام والتبرؤ علناً من تلك الاعمال ومن القائمين بها، فلقد قدم لهم اليوم هؤلاء بتمردّهم وغدرهم الفرصة لكي يعلنوا هذا التبرؤ وهذا التميّز عن الفئة الضالة التي أعماها حب السلطة، أمام الشعب العربي كله وأمام العالم.

ليس هذا حكم البعث وليست هذه ثورة البعث ولا الاهداف أهداف حزبنا وشعبنا. . ولا الأخلاق أخلاق حزبنا وشعبنا. إنها فرصة تاريخية، وفي هذا الظرف بالذات، ظرف الردةّ الاستعمارية الرجعية الشعوبية، وتزعزع الثقة بالأنظمة والأفكار الثورية، ان يعود البعثيون إلى النضال وإلى مبادئه الأوّلية الصادقة البسيطة، ليجددّوا إيمانهم ويعزّزوا في نفوسهم فضائل الكفاح الذي يؤهلهم لثقة الجماهير العربية في معركة شاقة طويلة الأمد.

٤ آذار ١٩٦٦

٥ حزيران ونقطة البَدايَـة

أتمنى لو أستطيع[1] استغلال كل دقيقة من وقتي لأسجل أفكاري وخواطري في هذه الأيام، وخاصة فيما يتعلق بتجربة الحزب ونكبة الخامس من حزيران:

إن نقطة البداية في تصحيح أثار المرحلة السابقة، كما يبدو لي، هي نفسها نقطة بداية العمل قبل ربع قرن: الرجوع الى ينبوع القوة الحقيقي... الرجوع الى الشعب ومصارحته بالحقائق وتحميله مسئولية النضال والعمل معه جنباً الى جنب. مصارحته بالحقائق وإن كان بعضها يشكل نقداً محرجاً للحزب.

إن هذا اللقاء الصريح مع الشعب، ومع فئاته الوطنية التقدمية، إن هذا الانفتاح يشكل، بالنسبة إلى الحزب، أكثر من اتجاه في ممارسة الديموقراطية الشعبية كمبدأ يؤمن به الحزب. إنه سبيل الخلاص من التفرد والعزلة والتقوقع، وسياسة التنافس السلبي التي تطبع المرحلة السابقة للنكبة. فبالانفتاح يستعين الحزب بالجماهير الشعبية وبالرأي العام القومي التقدمي في صراعه مع القوى الغاشمة المتمثلة بالتحالف الصهيوني - الاستعماري الرجعي. ومن هذه الجماهير يستمد حرارة النضال المرير في هذه المرحلة التاريخية. فالبعث حركة تاريخية تعمل لمئات السنين، لذلك فهي تعتبر النضال هو الأصل والأساس في الحزب وهو منبع الأفكار والأخلاق الثورية، وهي تعتبر النضال فوق الحكم وقبل الحكم وبعده، وتنظر الى

---

(١) مقتطفات من رسالة الاستاذ ميشيل عفلق الى رفاقه التي بعث بها من البرازيل في حزيران ١٩٦٧.

مهمة تطوير النضال الشعبي، سلبياً كان أم إيجابياً، على أنه المهمة الثابتة الدائمة للحزب والمجال السليم السوي الذي يسمح للمناضلين بأن يحققوا فيه جميع مواهبهم.

الحزب التاريخي ذو الرسالة، هو الذي يطرح مناضلوه قضيته على مستوى الحياة والموت، والقبول بالموت كضمانة متجددة لجدية دوره التاريخي. والعمل الفدائي يمثل الصيغة العملية لتحقيق هذه الصورة وهذا المستوى على صعيد الحزب، كما ان العمل الشعبي المسلح ضمن إطار صيغة جبهوية قومية، هو الصورة الملائمة على الصعيد الجماهيري الواسع.

الحزب التاريخي ذو الرسالة، يفرض حتى على أعدائه ومزيفيه أن يكون عداؤهم وتزييفهم على هذا المستوى الجدي: مستوى الحياة والموت، فالأعداء في السنوات الأخيرة اعتادوا صب هجومهم وحملاتهم على الحزب من أساسه، وعلى مؤسسيه بصورة خاصة، وحرضوا مراراً على قتلهم.

إن رفع النضال الى هذا المستوى الجدي في المرحلة الراهنة هو بداية تحويل الهزيمة الى منطلق للنصر. كما ان الارتفاع الى مثل هذا المستوى هو الذي ينقذ الحزب والأمة من التناقضات التي سادت المرحلة السابقة للنكبة، ويكشف تلك النوعية من الذين يتظاهرون بالعقائدية والثورية، ولم يقدموا لنضال الحزب أو الأمة إلا القليل لكي ينالوا النفع الكثير ويحصلوا على الوجاهة ويحولوا السلطة الى أداة لتشويه قيم النضال.

لا يجوز أن تضيع الحقائق بعد الآن، وأن يذهب البريء بجريرة المسيء. وأي حماس يبقى للمناضل إذا رأى أن المسيئين في حزبه يكرمون؟

فإذا كنا مصممين على إعادة بناء النضال العربي على أسس ثورية جديدة تتجاوز أخطاء الماضي وعيوبه، فلا بد أن توضع موضع الدراسة والتحليل الأخطاء والعيوب الأخلاقية التي كانت تتكرر منذ عشر أو عشرين سنة وتنمو وتتضخم وتفتك بالنضال العربي الثوري وتنهش من لحمه، دون أن يشعر أحد أو ينتبه. يجب أن يعرف الحزبيون وجماهير الشعب الحقائق. لأن معرفة الحقائق هي المدخل

الطبيعي لتصحيح المرحلة السابقة والتحضير لبداية سليمة.

حزيران ١٩٦٧

٥ حزيران
وفرصة العمل التاريخي (١)

س: هناك من يعتقد أن نكسة ٥ حزيران قد أنهت دور الأحزاب، فما هو رأيكم؟

ج: إنني أعتقد أن فرصة للعمل الثوري القائم على الفكر، قد أتيحت للشعب العربي من جديد. . ان فرصة تاريخية، كالتي أتيحت قبل ربع قرن عند تأسيس حركتنا، تتاح اليوم للأمة العربية لكي يبنى هذا العمل من جديد على أرض صلبة ونظيفة.

ولست جامد الفكر ومغرور النفس الى حد أن أدعي أن ليس من حل للعرب إلا حركتنا. فقد مرت أحداث خطيرة، وحصلت تطورات عميقة، والغد يحمل لنا مفاجآت وثورات. ولكني أقول بقناعة ويقين أن حركتنا ستكون أقل من يصيبه الهرم وينال منه الزمن. وسيبقى لها دورها الى جانب ما قد يصمد من الماضي ويولد من المستقبل. ذلك أن عنصر الصدق قد توافر فيها الى حد كبير.

إن الشوط الأول من حياة حزبنا، أي الخمس وعشرين سنة التي مضت، ليس لها إلا مغزى واحد: وهو أن الأمة العربية مهيأة للعمل التاريخي.

وفي مثل هذه الظروف التي تتجمع فيها الأخطار الصهيونية والاستعمارية والرجعية ضد الثورة العربية، يشعر البعثيون بطعم الحياة وروح الكفاح وبالمبررات

---

١) حديث الاستاذ ميشيل عفلق الى مجلة الصياد اللبنانية ـ تشرين الثاني ١٩٦٧.

البديهية لوجود حزبهم. إننا نكون أسأنا الى حزبنا والى أنفسنا، إذا رضينا بأن يؤول عملنا، بعد ربع قرن من الجهد والنضال، الى الحرص على بقايا الحزب، أي محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه، الى محاولة الحد من الخسائر والحد من التفكك والانهزام والانهيار، ومن عدد المنهزمين والمنهارين. في مثل هذه الحال وهذا الجو، وأمام مثل هذه النظرة، يقول الضمير الثوري، خير للحزب أن ينتهي من أن يهوي الى مثل هذا الدرك وخير لنا أن نعلن فشلنا ونفسح المجال لغيرنا.

حزبنا حزب رسالة، والرسالة هل تنتهي؟ هل تحققت الأهداف التي ندب البعث نفسه لحملها وتحقيقها؟ هل يمكن أن يحققها غيره من الذين اقتبسوا أفكاره أو قلدوها، وهل ينجح المقتبس والمقلد ويفشل الأصيل؟

هل الحزب شركة يمكن أن تنتهي باتفاق المتعاقدين وانسحاب المساهمين؟

حزب البعث لايمكن أن يكون مدافعاً، لا يمكن أن يكون خائفاً على أعضائه أن ينهزموا ويتخلوا عنه، لايمكن أن يمسي همه الحرص والمحافظة وسد الأبواب والنوافذ لئلا يهرب فلان أو فلان. . حزبنا لايمكن إلا أن يكون مهاجماً، وإلا مجازفاً باعضائه يكسبهم ويشدهم اليه بمقدار ما يعرضهم للخطر ولكل ما يمتحن إيمانهم وثوريتهم وأخلاقهم الأصيلة ويثبتها ويزيدها عمقاً وصلابة. وليس كالظروف الراهنة ما يساعد الحزب على تعميق تجربته والعودة الى أصالته ومتابعة رسالته.

لقد استمات أعداء الحزب خلال السنوات الأخيرة، لكي يظهروا ويثبتوا في أذهان الشعب العربي أن الحزب قد انتهى. وأن الحزب هو الذي ارتكب الانحرافات في العراق، وأنه هو الذي تسلط في سورية وأرهب الشعب وقمع ونكل وقتل. وكادت الدعايات المزورة تطمس الحقيقة الى أن شعت حقيقة الحزب من خلال جريمة ٢٣ شباط ١٩٦٦. عندئذ عرف الشعب أن الحزب كان طيلة السنوات الثلاث التي سبقت تلك الجريمة يصارع الانحراف والفساد ولا يستسلم، وأنه كان قوياً بعقيدته، أميناً على أهدافه، حريصاً على أخلاقيته، الى حد أن الذين كان بيدهم السلاح ووسائل السلطة لم يجدوا سبيلاً الى التسوية والتفاهم معه، ولم يجدوا بداً من ارتكاب الجريمة ليحتفظوا بالسلطة.

إن الجواب الوحيد الصحيح على الذين حسبوا أنهم باغتصابهم للسلطة يغتصبون الحزب، هو أن يسقط الحزب من حسابه موضوع السلطة وأن يعود الى نفسه ومبادئه وقدره النضالي البطولي الذي يهزأ بكل سلطة.

وعندئذ تفرض المقاييس الثورية نفسها دون جهد أو عناء، ويأخذ الزمن مدلوله الثوري، فلا يكون اختصاره بالحيل وتجاوز النضال وقواعد العمل الثوري، بل على العكس بمضاعفة النضال وتعميق الوعي.

إن حزبنا لن يتمكن من متابعة دوره التاريخي بعد النكسات التي لحقت به، وبعد النكسة القومية التي نزلت بالأمة العربية، إلا إذا استعاد مبرر وجوده كحركة تاريخية تعمل لمئات السنين، وإلا إذا طرح مناضلوه قضيته وقضية الثورة العربية على مستوى الحياة أو الموت، والقبول بالموت كضمانة متجددة لأصالة الحزب وجدية دوره التاريخي في الثورة العربية المعاصرة.

س: ما هي أمراض التجارب الثورية بوجه عام والعربية منها بوجه خاص؟

ج: المرض ليس في الثورة إنما المرض في القيادات الثورية. قبل عشر سنوات، كان المد الشعبي الثوري في البلاد العربية آخذاً في التوسع والازدياد، بينما كان الاستعمار وأحلافه والحكومات الرجعية العميلة في تقهقر واندحار. وكان ثمة عند الجماهير العربية استعداد لثورة تاريخية، فيما لو وجدت القيادات الثورية لهذه الجماهير ولبت مطلبها الأساسي وحاجتها العفوية العميقة، وهي أن ترى النضال التحرري الوطني والنضال الاجتماعي الاشتراكي مقترنين باحترام الحرية والكرامة للمواطنين وبالتجرد والنزاهة والصدق، خلافاً لما يتصف به الاستعمار من ظلم وعدوان وغدر واستغلال جشع، وما تتصف به الرجعية من استغلال واهدار لكرامة الانسان والوطن في سبيل أطماعها وشهواتها.

ولكن سرعان ما خاب أمل الجماهير، وانكسرت حدة اندفاعها التاريخي الذي كان يمكن أن يصنع المعجزات، لأن القيادات لم تكن تستلهم هذه الجماهير لتعرف حاجاتها وتتعرف الى طاقاتها الهائلة بل كانت تقودها بروح الشك والحذر والنظر اليها بأنها قاصرة لا تحسن استعمال الحرية وعاجزة لاتصلح إلا للتنفيذ، وجاهلة لا

تستحق المصارحة، وان المعجزات هي من صنع الأفراد والقيادات، لا من صنع الشعب وجماهيره الثائرة.

لذلك لم يتغير شيء أساسي في نظر الجماهير، بعد أن وصلت تلك القيادات التي تدعي الثورية الى الحكم، وبقيت السلطة هي السلطة: ضغط وكبت، وشك وحذر، وخداع وتملق، وإفساد للضمائر، وإرهاب للنفوس، واستعباد للأذهان بالدعاية والايحاء والتلقين وتزييف الديمقراطية، وتزوير الحقائق. لقد عبدت القيادات التي تدعي الثورية السلطة عبادة وثنية سطحية ضيقة، وأقبلت عليها بنهم الجائع المحروم، ونفسية الخوف والتقليد لا نفسية الثقة والخلق، وانتظرت من السلطة ومن وسائلها أن تصنع كل شيء.

كان القلة من القادة الثوريين الذين لاتخدعهم السلطة يستبعدون أنفسهم منها، ويعتبرون ذلك كسباً لهم وللثورة، وكانت الأحداث تأتي مصداقاً لنظرتهم وموقفهم، إذ أن الاسترسال في الاعتماد على السلطة والابتعاد عن الجماهير كان لابد أن يؤدي الى الانهيارات المفاجئة وانقشاع غشاوات الوهم والتضليل.

الثورة هي من أجل سعادة الانسان وكرامته، فإذا لم يعد الانسان مقياسها، وفقدت الصلة بينها وبينه، بين الوسائل والغاية، تتشوه الثورة وتفقد معناها. ان ما تشكو منه الثورات المعاصرة هو التطرف في تقدير أهمية العوامل الموضوعية على حساب العامل الذاتي، تماماً عكس ما كانت تشكو منه الثورات في القديم عندما كانت تبالغ في الاعتماد على العامل الذاتي دون أن توفي العوامل الموضوعية حقها.

س: ما هو موقفكم من القوى الاشتراكية العالمية، وعلى وجه التحديد الاتحاد السوفياتي والصين؟

ج: الاتحاد السوفياتي أكبر دولة اشتراكية وأكبر وزن دولي تقدمي في العالم، وقد عادى حزبنا بدون مبررات جدية، ولكننا لم ننفعل ونبادله العداء، بل صبرنا وتجاهلنا، وبقينا على الموقف الذي يمليه علينا المنطق الثوري ومصلحة الأمة العربية في مصادقة الدولة الاشتراكية، وأخيراً دفع الاتحاد السوفياتي العداء الى آخره عندما دعم المتمردين على الحزب واعتبر أبناء العائلات المترفة الذين جاءت بهم

الـدبـابات الى الحكم، والذين يتسترون بألفاظ اليسارية والاشتراكية ممثلي الحزب الحقيقيين، بينمـا اتهم الحـزب وقـادتـه ومؤسسيـه الذين عاشوا حياتهم في الحرمان وناضلوا ثلاثين سنة من أجل الاشتراكية. ومن أجل قضايا الجماهير العربية الكادحة اتهمهم باليمين والرجعية.

انه لايجوز لنا ان ننفعل ونتصرف أي تصرف يمكن أن يؤدي الى أن يستفيد الاستعمار والرجعية منه. ولكن الى جانب هذا الحرص المشروع وهذه الحيطة وهذه الحكمة، نحن مطالبون بأن نخلص للحقيقة، وأن ننبه ونحذر من الاسترسال في سياسة القوة والفرض والتعسف والجبروت، مهما يكن التفاوت بين قوتنا وقوة الاتحاد السوفياتي، فالحقيقة هي المقياس وهي أقوى من أكبر قوة في العالم وهي في جانبنا.

إن جوابنا على الاتحاد السوفياتي لن يكون في الرجوع الى الوراء، في الاقتراب من مواقع اليمين والرجعية، بل في الأمانة لنهجنا وأهدافنا الثورية، وفي توضيح موقفنا لشعبنا وللأحزاب والحركات التقدمية في بلادنا وفي العالم.

أما فيما يتعلق بالصين، فإنني أعتقد بأن الثورة الصينية من أعمق الثورات في القرن العشرين، وقد تابعنا باهتمام كبير ما كتب عن الثورة الثقافية الأخيرة، وقد كان رد فعلنا على المحاولات المغرضة وعلى الأحكام المتسرعة على هذه الثورة، مزيداً من الايمان بحاجة الثورات القومية الاشتراكية في العالم الثالث الى الاطلاع والعمق في فهم تلك التجربة التي تملك وراءها أربعين سنة من النضال.

إن الثوريين المتعبين الذين يخافون مجرد الاعلان عن رأي موضوعي في قضايا الثورة العالمية والذين يحملون روحاً شائخة هرمة محافظة، هم الذين يبدون من التحفظات والشكوك في صواب الثورة الثقافية ما يلتقي مع ما يبديه الرجعيون والرأسماليون.

س: كيف تتصورون على ضوء النكسة علاقتكم بالحركة الشيوعية؟

ج: إننا انتبهنا لضرورة تعديل موقفنا من الشيوعية والشيوعيين منذ عام ١٩٥٣، عندما لجأنا الى لبنان في عهد أديب الشيشكلي. . وعلى أي حال فنحن قصرنا في إخراج تفكيرنا في موضوع العلاقة مع الشيوعيين الى حيز التنفيذ الجدي، كما قصرنا

في نشر هذا التفكير بشكل واضح وعلى نطاق واسع. والذي حصل أن الفئات والحركات التي ـ سواء بتأخرها عنا في الزمن، أو باختلافها عنا في درجة التمسك باستقلالية القضية العربية وسلامة اتجاهها ـ لم تضطر ان تقف ذلك الموقف النقدي الحاسم، استطاعت أن توجد معهم علاقات ودية فكرياً وعملياً، كان يفترض أن لاتتخلف عنها، سيما وأن الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية أخذت تدرك منذ مدة أنها تخلفت كثيراً عن ركب التطور، وبالغت في التبعية والولاء الخارجي واكتفت بترديد الفكر الثوري العالمي ترديداً حرفياً جامداً فكانت بذلك عاجزة عن تقديم شيء جديد للثورة العربية، وهي الآن كأحزاب وأفراد، تفتش عن مكان مستقر لها في الوطن الذي نعيش فيه.. فهي أمام عملية اندماج وطني.. وهذا شيء إيجابي نرحب به ونستبشر.

س: ماهو الجواب الذي يجب أن يعطيه العرب على نكسة ٥ حزيران؟

ج: الجواب على تلك المأساة التاريخية يكون بالاستفادة أولاً من الأخطاء الماضية أي بالخروج من منطق العمل القطري ومنطق السلطة والعودة إلى منطق العمل القومي ومنطق العمل الجماهيري، ويكون بالعودة الى مبررات الثورة العربية وبالارتفاع بفكر الثورة وأداتها وأساليبها الى مستوى مواجهة الأخطار الراهنة.

إن الجبهة القومية الشعبية على نطاق الوطن العربي والعمل الشعبي المسلح هما الركيزة الأساسية لكل استراتيجية في مستوى الرد على العدوان الصهيوني الاستعماري الأخير. فالوحدة والديمقراطية هما شعارا المرحلة الراهنة، إن النكسة لاتتحول الى نصر إلا إذا استطعنا جعلها منطلقاً للوحدة، وهذه مهمة أساسية لحزبنا، تتطلب تعاوناً تاماً وصادقاً مع الجماهير الناصرية وجميع القوى الوطنية والثورية في الوطن العربي.

تشرين الثاني ١٩٦٧

الآفاق البعيدة للعمل الثوري

اعذروني إذا لم أقدر أن أجيب على كل الأسئلة[1] عدا عن ضيق الوقت عندي عوامل أخرى هي البعد الاضطراري عن ساحة العمل وعن المشاركة مع الرفاق الحزبيين وقت حدوث النكسة في حياة العرب، ذلك الحادث الخطير.

هذه العوامل تفرض علي التروي وعدم تكوين أحكام قبل أن أستعيد الصلة الحية بالواقع العربي وبواقع الحزب ولا بد من فترة تمضي للاطلاع واستعادة الصلة، وأيضاً لاعادة النظر في كثير من الأفكار التي اعتمدناها في الماضي ويصح أن ننظر الى الأمور نظرة جديدة. فأنا راجع بهذا التصميم بأن أضع كثيراً من الأفكار تحت المراجعة والنقد، ولكن بالتعاون مع الحزب والمنظمات والرفاق المؤهلين للتفكير والعمل القيادي لأن النكسة تفرض هذه المراجعة وإعادة النظر. وكنت أطلع على شيء مما كتب وأنا بعيد، كانت تصلني بعض الصحف والمجلات وقد حصلت مراجعة فيها أشياء ثمينة ولكن أعتقد أنها غير كافية. هذا ما يفسر شعوري بأني مطالب أنا وغيري بأن نتثبت من جديد من متانة الأسس الفكرية التي وضعت للثورة العربية واني أتصور مهمة القياديين الأساسيين في الحزب مهمة فكرية بالدرجة الأولى ومهمة الانكباب على الدرس وعلى الواقع أيضاً لوصف نواقص وأمراض هذا الواقع ولنقد الأسس الفكرية الراهنة ليس فقط بالانحصار في الواقع العربي ولكن

---

(١) كلمة الاستاذ ميشيل عفلق في الشباب العربي في باريس: ألقاها بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٩٦٨ في طريق عودتة من البرازيل الى الوطن العربي.

بالمقارنة مع ما يجري في العالم ووضع الصورة الحقيقية للعمل الثوري .

جئت بهذه النفسية ولعل السن التي بلغتها يكون لها دخل في هذه النفسية، ولكن على أي حال من واجبي أن أعلن هذه القناعة التي تكونت عندي ولا أقول بأنها ولدت بعد النكسة فقط ولكن النكسة القومية قوتها ورسختها، وهي كما ذكرت لبعض رفاقنا مقاومة رغبة الانسياق مع الاستعجال والنظرة الى الزمن نظرة عميقة كالتي بدأت عند تأسيس هذا الحزب. فقبل ربع قرن أو أكثر كنا أيضاً في ظروف قومية صعبة تشبه النكسة وكان التفكير الرائج يغري بالسباق والتنافس بين الأحزاب السياسية، وكان لابد من ثقة بالفكرة وبالمبادىء وبالنفس ثقة قوية حتى يقاوم ذلك الاغراء وحتى ينكب بعض الأفراد في البدء على بناء طويل الأمد لاتظهر فوائده وثماره قبل مضي زمن غير قصير فكان في هذا وسيلة لاجتذاب واختيار العناصر الثورية غير العجولة وغير المهتمة بالنجاح السياسي.

موضوع النكسة القومية يطرح مسائل فكرية كيف تستطيع الأحزاب والحركات والأفراد الذين ساهموا بقليل أو كثير في الايصال الى هذه النكسة طوال سنين أو ربما اقتصرت مساهمة بعضهم على أنهم لم يستطيعوا منعها. إنهم قصروا عن المستوى الثوري المطلوب لتفادي مثل هذه النكسة؟ كيف تستطيع هذه الحركات وهؤلاء الأفراد أن يضعوا الحلول والعلاج للنكسة، كيف يستطيعون أن ينتقدوا أنفسهم بتجرد ليس فقط النقد العلني وإنما النقد الداخلي الحقيقي، وكيف يستطيعون أن يصححوا ويهتدوا الى أسس أسلم في التفكير والعمل؟ من هذه الزاوية يظهر العمل بأنه يتطلب وقتاً طويلاً وجهداً وصبراً، وأعلى الصفات الثورية من حيث التجرد والايمان والصبر والكفاءة ولكن طبعاً هذه الخواطر وهذه النظرة لا يستنتج منها بالضرورة أن كل شيء في الماضي متهم بالخطأ أو بالتقصير، وكل الأفكار يجب أن يعاد فيها النظر. وقد سمعت من الرفاق الآن جملة ملاحظات واقتراحات فأستطيع أن أوافق عليها وأتبناها، فالمرحلة الماضية برهنت على تهيؤ الأمة العربية للثورة هذا صحيح هناك إنجازات، هناك مواقف كان لها دورها في التقدم الذي سجلته الثورة العربية خلال عشرين سنة، كيف؟ لماذا لم تكن هذه الانجازات والمواقف كافية

لضمان نجاح الثورة لضمان اضطراد النجاح لمنع التراجع والنكسة؟ ما هي النواقص التي سببت انحراف الثورة العربية؟ لماذا لم تستطع هذه الثورة أن تستغل جميع الطاقات العربية المتوفرة لدى الجماهير؟ لماذا منعت الجماهير وحبست بدل أن تنطلق وتعطي أقصى مداها؟ لماذا زيفت الأهداف وزيفت الحركة أحياناً وكان معظمنا يشعر ويدرك بأن حركتنا سجينة وأن الأعداء يضعون على لسانها ما ليس في حقيقتها وفي ضميرها، تقوم باعمال هي نقيض ما كان يفترض أن تقوم به؟. لا أظن اني سأقول لكم أشياء لم تفكروا فيها فهذه التجربة عشتموها كما عشناها. أظن أننا متفقون على أن الثورة العربية وحركتنا التي هي جزء أساسي فيها لم تجسد الصيغة العملية التي تفرض وتتيح لأكبر عدد ممكن من الأفراد أن يعاونوا وان يساهموا في النضال، فكانت الثورة عامة وحركتنا بصورة خاصة تصل الى تحمل مسؤوليات قبل أن تكون التجربة النضالية قد صهرت جميع أفرادها، أو العدد الأكبر من أفرادها، وبالتالي سلحتهم بالوعي وبالاخلاق الثورية لكي يصمدوا أمام المسؤوليات الجديدة، فكانت هذه القفزات مناسبة لظهور النقص والزيف أي ظهور الكثيرين من الذين لم يجربوا التجريب الصحيح لم يتشربوا لم يمارسوا النضال بكل مراحله. القفزات والتساهل في جمع الأفراد والتساهل في تجنب بعض المعارك كل هذا كنا ندفع ثمنه. بعد نكسة ٢٣ شباط شعرنا بأن ما خسرناه لم يكن شيئاً ثميناً إذا عرفنا كيف نستفيد من ذلك الدرس وأن الذي يمكن كسبه من خسارة الحكم قد يكون بداية لتصحيح الانحرافات السابقة وللتعويض عن النواقص السابقة.

وأقول ومعي الكثيرون من الاخوان الذين مروا بتجربة الحكم بأن تحمل مسؤولية الحكم قبل التهيؤ اللازم هو نوع من الجحيم الذي لايحتمل ولا يوصف، لأن الحزب محاط بالأعداء والأمة محاطة بالأعداء والمؤامرات من كل جانب، وأكبر فخ ينصب للحزب هو أن يورط في الحكم قبل أن يستعد له، في حين أن الحزب في النضال يشعر بأنه يملك ذاته يملك نفسه في كل لحظة وفي كل دقيقة، وسواء أكان يضم الألوف أو العشرات فهذا الشعور هو واحد يضع عشرات من المناضلين في نضالهم واستمرارهم إمكانية كسب الأعداد الكبيرة للحزب، في النضال لايمكن لأي

قوة في العالم أن تضطره لان يقول كلمة لا يؤمن بها ولا يعتقدها أو أن يقوم بأي عمل ليس من طبيعته أو سلوكه. دعايات الاعداء والدول الاستعمارية أعجز من أن تنال من حزب مناضل، أن تزيفه أو تشوهه، تبقى أضعف منه وهذه الحال تتغير تماما عندما يستلم الحزب الحكم، فكيف نحافظ على الاستفادة من ذلك في الوقت الذي يكون فيه الحزب في قطر من الاقطار قد وصل الى مسؤولية الحكم.

فأنا لا أقول بأنه يجب أن ينسحب رفاقنا من الحكم بعد أن وصلوا إليه في العراق، ولكن أقول بأن تجارب عشرين سنة وتجربة الخمس سنوات الاخيرة بصورة خاصة من عام ١٩٦٣ الى الآن يجب ان تكون ماثلة وأن تكون واضحة وان توضح وتكتب وتشرح وان يتمثلها القادة ويتذكروها وليس منْ المستحيل ان يتمكنوا من استيعاب هذه التجربة استيعاباً حياً لمواجهة مسؤوليات الحكم بشكل جديد وبنفسية جديدة وبإرادة جديدة هذا ليس مستحيلاً، **ولكن هذا ليس سهلاً بل هو صعب جداً ويجب أن نلح على هذه الصعوبة تفادياً للوقوع في أخطاء قد تكون مدمرة.**

النظرة الاولى للحزب أيها الرفاق نظرة ما زلت اعتقد بأنها مستلهمة من واقع الامة العربية بصدق حتى قبل نكسة ٤٨ لان نكسة ٤٨ كنكسة ٦٧ كانت نتيجة لا سبب، كانت نتيجة لاوضاع سابقة، كان الحزب عندما تأسس قبل ٤٨ ببضع سنوات، كان يعيش في وسط تلك الاوضاع، وكان بالتالي يستشف الشروط المطلوبة للعمل الثوري الجدي المتكافيء مع الصعوبات التي تقف في وجه الامة العربية، في وجه حريتها وفي وجه خروجها من التخلف وفي وجه توحيدها. فالنظرة الاولى والتي لم يتراجع عنها الحزب فيما بعد هي اعتبار الامة العربية في حالة حرب. نظرة ثورية قاسية بمعنى ان الحزب لم يتجاهل حقيقة الاخطار المحيطة بالامة ودرجة خطورة الامراض، لم يتجاهلها وهناك إلحاح على هذا الفارق الكبير بين حاضر الامة العربية وحاضر الأمم الراقية، هذا الفارق الكبير الذي يجب أن يوحي بمستوى الانقلاب الفكري المطلوب.

هذا الفارق الكبير، هذه الأخطار والمؤامرات الاستعمارية ومنها الصهيونية المحدقة بالأمة العربية كان الحزب يلح أيضاً عليها وعلى جسامتها وعلى خطورتها،

ومقابل ذلك يلح على غنى الامكانيات العربية إمكانيات الشعب العربي الكامنة التي يجب أن توقظ والتي يجب أن توضع لها الصيغة العملية لكي تنطلق ولكي تتحقق وتستغل فتستطيع التغلب على الصعوبات وعلى الأخطار والأمراض والعلاقة واضحة بين هذه النظرة القاسية، النظرة التي لاتقلل منْ شأن الأعداء ولا من شأن الأخطار ولا من شأن الأمراض العامة، العلاقة واضحة بين هذه النظرة وبين فكرة الوحدة العربية. هذا شيء ملازم لفكرة الحزب، منذ البدء أكد الحزب أن البعثي لايصل الى النظرة الثورية العميقة إلا من خلال النظرة الوحدوية، النظرة للأمة ككل والى واقعها المتخلف، فإذا غابت النظرة الوحدوية أو ضعفت وتراخت وتغلبت النظرة القطرية تخف قسوة النظرة الثورية وبالتالي يهبط مستوى التفكير والعمل الثوري.

فمسؤولية تسلم الحكم في قطر هذا شيء واقعي ان الحزب إذا كان عليه أن يصل الى الحكم فلن يصل دفعة واحدة الى حكم الوطن العربي بل لا بد أن يصل من خلال الواقع المجزأ الى الحكم في قطر ثم في قطر، ولكن ربط ذلك بالنظرة الوحدوية الشاملة هو الذي يحمي تفكير الحزب وعمل الحزب من الانزلاق في السهولة أن يتصور الامور أسهل مما هي في الحقيقة. فوحدة الأمة العربية حقيقة في الايجاب وفي السلب. حقيقة في الايجاب لأنها هي القوة وهي الوضع الصحيح السليم، حقيقة في السلب بمعنى أن الأعداء يتآمرون على الامة العربية كلها وعندما يضربون قطراً من الاقطار يقصدون ضرب الامة كلها وبالتالي العمل في قطر سواء في حالة نضال أو حالة استلام الحكم (الذي يجب أن نفهم منه أنه نضال من نوع آخر) أريد أن أقول أن العمل في القطر في جو روح ومنطق الوحدة والعمل القومي بتربية الجماهير بتربية مناضلي الحزب على أساس أن الامة العربية في حرب مستمرة من قبل ٦٧ ومن قبل ٤٨ ولا حاجة للفت النظر إلى أن كثيرين ممن يسمون انفسهم ثوريين وأن كثيراً من الانظمة التي تسمي نفسها ثورية لم تطبق ولم تجسد هذه النظرة وهذه الروح.

موضوع الجبهة من خلال هذه النظرة من خلال هذا المنطق يمكن أن ننظر الى استراتيجية العمل في الجبهة بأن يعود الحزب الى جوه الطبيعي، الى النضال، الى

نظرته القاسية. وإذا كان الحزب قد تورط في الماضي في الغرور والسطحية والاعتداد والانفراد وأنه يستطيع فعل كل شيء وهو لم يتهيأ التهيئة اللازمة، فخطة العمل الجبهوي هي معالجة لهذا الغرور السابق لهذه السطحية لكي يمحو الحزب من ذهنه ومن ذهن الرأي العام أثر هذه الفجاجة هذا التشويه الذي أحدث خيبة أمل عند الجماهير وعند مناضلي الحزب ولكي يعود ليجد قلوب الجماهير مفتوحة أمامه دون تحفظ ولكن المبدأ الاساسي هو أن يعمل الحزب لانه يحمل رسالة تاريخية. يعمل عملاً ثورياً على مستوى الوطن العربي وان يعتمد على نفسه بالدرجة الاولى وما انفتاحه على الآخرين إلا من أجل تحميلهم مسؤولياتهم ووضع حد لخطر الوقوع في الغرور لخطر تغطية الواقع الهزيل بشعارات فضفاضة ومن ثم لحفز الحزب الى القيام بالدور الذي لم يستطع القيام به في الماضي.

آسف إذا اخذت كلمتي هذا المنحى ولم أتعرض لبعض الأسئلة بالدقة المطلوبة، ولكن كما قلت لكم في الواقع لم أشعر بأني مهيأ لاعطاء أحكام وآراء قبل أن أستعيد الصلة بالحزب وبالواقع القومي وقبل أن أشارك في دراسة هذا الواقع الجديد دراسة متأنية لا تتأثر بعامل السباق، وأضيف كلمة واحدة وهي اني من خلال هذه النظرة لا أعطي للوضع القائم في سوريا تلك الأهمية التي قد يعطيها رفاق آخرون، وحتى من قبل نكسة حزيران وعلى أثر نكسة شباط لم أعط للوضع في سوريا هذا الاهتمام واعتبرته ظاهرة لنكسة الحزب ونكسة الثورة العربية، وان مسألة بقاء مجموعة في الحكم فترة من الزمن هذا الشيء لا يقدم ولا يؤخر كثيراً إذا انصرفنا بجد الى دراسة الظاهرة الكبرى. وبعد نكسة حزيران تضاعفت قناعتي اضعافاً بأن المهم هو أن يستعيد الحزب دوره بالنسبة للثورة العربية والنضال العربي وإلى قضية فلسطين التي هي خلاصة هذه الثورة وهذا النضال وان اهتمام الحزب بالوضع في سوريا يجب أن لا يتعدى حداً معيناً.

١٤ تشرين الاول ١٩٦٨

البعث والكفاح المسلح

ماذا يريد الحزب من الكفاح الشعبي المسلح ومن العمل الفدائي؟[1]

هل يريد أن يسد نقصا كان فيه؟ أو ان يجاري حركات ومنظمات أخرى؟

كيف قصر حزب الثورة العربية، الحزب الذي سبق في وعيه ونظرته الثورية وفي نضاله كل الحركات العربية واستوعب طبيعة المرحلة القومية؟ كيف قصر عن فهم هذه الناحية الخطيرة؟

الاستنتاج المنطقي هو ان الحزب إذن ليس فيه نقص من ناحية واحدة، من ناحية معينة هي ناحية الكفاح المسلح، وإنما الحزب مقصر منذ زمن في كل نواحيه، وهذا ما حجب عنه رؤية الحاجة الأساسية الى الكفاح المسلح واهمية معركة فلسطين في الثورة العربية، وانشغل بأمور ثانوية بالنسبة إلى المعركة. .

فالحزب عندما يبادر إلى تشكيل الجبهة والعمل في أرض المعركة إنما يريد لا سد نقص معين فيه وإنما الشفاء من امراضه كلها. يريد أن يتجدد كليا، يريد ان يولد ولادة جديدة سليمة، ولادة فكرية، ولادة عملية، ولادة نضالية. هذه نظرة يجب ان تكون واضحة لأن الجبهة بالنسبة إلى الحزب ليست جزءا من عمله، ليست الجزء العسكري، ولا الجزء القتالي، ولا الجزء الفلسطيني وإنما هي الحزب بإرادته في الانبعاث من جديد، في ارادة التصحيح الشامل والعميق في اوضاعه، وترجعون احيانا إلى تراث الحزب قبل ٢٠ و ٢٥ سنة، في ذلك الحين كان الحزب في اوضاع

---

(١) من حديث للاستاذ ميشيل عفلق ألقي في ١٦ كانون الثاني ١٩٧٠.

سليمـــة، ولـذلـك كان يرى بوضـوح الطـريق الصحيـح ويلمس بعمق الحـاجـات الأساسية للأمة في مرحلة الثورة. هذا قبل ٢٠ و٢٥ سنة ولكن قبل ١٠ سنوات مثلا، من عشـر سنـوات إلى الآن بدلا من أن نرى تقـدمـا وتعمقـا في هذه النظـرة الثـوريـة والممارسة نجد ابتعادا عنها. أي نظرة شاحبة وكأنها ذكرى في أذهان بعض الحزبيين لم تعـد حقيقـة نابضـة بالحيـاة يحياها الحزب. هذه سمات وأعراض المرض الذي انتاب الحزب.

المطلوب إذن هو التحرر من كل العوائق المصطنعة التي دخلت على الحزب، كل التزييف، كل الجمود، من خلال عمل نضالي ثوري إلى أبعد حدود الثورية فيه كل الحـــرارة القـــادرة على ان تذيب هذا الجمـــود المـــزمن. ولكن لنكن صريحين وواضحي النظـرة ونعـرف بأن العمليـة هذه تتطلب وقتـا، وتتطلب ممـارسـة وتتطلب جهـودا فكـريـة وتنظيميـة وانغمـاسـا في النضـال حتى نصـل الى النفسية الجديدة، الانتقال الشكلي من هنا إلى الجبهة هذا لا يغير النفوس ولا يغير العقول، ولا يحقق المعجـزات. يجب أن تستـوفى شروط الـولادة الجـديـدة شروط التبدل العميق وإلا نكون كمن يخدع نفسه، كمن يحتال على نفسه وعلى الشعب.

إذا حملنـا معنـا كل العقليـة القـديمة والأمراض القديمة إلى الجبهة فلن يخرج الشيء الجـديـد المرجو وبالطبع لسنا يائسين من الحزب ولا يجوز ان نيأس ولم يعدم الحـزب كل إمكـانيـة ولم يفقـد كل جوهـر، فيـه إمكـانيـات وفيـه نفـوس خيـرة وفيه إستعدادات نضالية. والتاريخ والأدلة كثيرة على حيوية الحزب وقدرته على التجدد.

لقـد أظهـرت محنـة ٢٣ شباط أن في الحزب بقايا ثمينة جدا من الصمود والروح النضـاليـة والفكـر الثوري كما ان صمود رفاق في القطر العراقي دليل آخر على حيوية الحزب. كما ان ظهور وتفجر قوى نضالية في أقطار ومناطق مختلفة بين الحين والآخر في تونس مثـلا، وغيـرهـا أيضـا أدلـة على اصـالة الحزب. هذا لا يجوز ان نبالغ فيه ايضـا. هذا فقـط يسمح لنا بأن نحاول المحاولة الحاسمة محاولة تجديد الحزب من خلال معـركـة فلسطين والكفـاح الشعبي المسلح. اي ان في الحزب عناصر نضالية وللحـزب فكـره الثوري وفيه الاستمرار بين ماضيه السليم وبين المستقبل المرجوله،

استمرار يتجسد في قلة مناضلة وهؤلاء يعقد عليهم الأمل بأن يكونوا الأساس لانبعاث الحزب من جديد.

إن الحزب أعم وأشمل من العمل القتالي بلا شك. حزب الثورة العربية له مهام متعددة واسعة تتناول جميع النواحي الحياتية العربية في السياسة والثقافة والاقتصاد والتربية والاجتماع والحرب والقتال وكل شيء. . ولكن نرجع الى المقدمة التي انطلقنا منها وهي ان الجبهة بالنسبة الى ما انتاب الحزب من تشويه وتزييف طوال سنين، لا تعود مجرد ناحية من نواحي نشاطات الحزب وإنما تصبح المدخل إلى تجديد كلي وعميق للحزب. فهذه المقدمة تعني انه من المفروض ان يؤدي العمل في الجبهة إلى تجديد فكر الحزب.

فكر الحزب ينبغي ان يولد من جديد في جبهة التحرير العربية. فكر الحزب الذي توقف من سنين ولم يعد يواكب التطور. . وكذلك تنظيم الحزب وكل حاجات الحزب التي سنكتشفها اكتشافا من خلال الممارسة في العمل الشعبي المسلح. لأن الصيغة الراهنة التي كان يعمل فيها الحزب في معظم منظماته وفي معظم أقطاره صيغة فقدت الحياة ولم تعد ناجعة ولا ناجحة. .

ـ ماهو دليل حيوية حزب من الأحزاب الثورية؟

إقبال الشباب عليه أول دليل، واقبال الجماهير الشعبية الكادحة عليه هو الدليل الثاني:

ولولا تبني الحزب لشعارات المعركة لما كان بين الحزب والجماهير الكادحة من صلة غير صلة تبادل المنافع. طبعا جماهير العمال والفلاحين لا تجد في الأقطار العربية التي وجد فيها الحزب وانتشرت أفكاره غير حزب البعث ملجأ لها لتحقيق مطالبها لترفع عن نفسها الغبن والاستغلال، ولكن الجماهير العربية الكادحة تطمح الى حياة جديدة لايقف طموحها عند تخفيف الظلم أو تحقيق بعض المكاسب، ولم تعد الصيغة القديمة تلبي هذا الطموح. والذي يستطيع الآن أن ينفذ الى قلوب الجماهير وأعماقها هو نداء معركة التحرير.

ـ ماذا ينتج من هذا التصور للجبهة ولولادة الحزب من خلال الجبهة؟

ينتج بكل بساطة أن العناصر الطليعية التي أدركت قبل غيرها ما تعني الجبهة بالنسبة لحياة الحزب وبالتالي بالنسبة لحياة الأمة وللمعركة المصيرية للأمة العربية هي المكلفة بأن تبني الحزب بناء جديدا بنفس الروح الثورية الأصيلة التي تُبنى فيها كل الثورات. أي بالانقطاع التام، بالاخلاص التام لهذه التجربة، بالتحرر من كل المفاهيم والعادات القديمة من مفهوم البيروقراطية والروتين والعمل السياسي التقليدي الذي دخلت عدواه مع الأسف الشديد إلى الحزب.

فالجبهة هي ككل ثورة، هي أولا بقيادتها، بنوعية القيادة، بقدرة هذه القيادة على ان تعيش التجربة الجديدة بكل انقطاع وتفرغ وبكل إقبال وحماس لأنها ستجد في هذه التجربة معنى حياتها والمعاني الأصيلة للحزب ولفكرة الحزب ولأهدافه. .

فالمنظمات الأخرى التي ليس لها أحزاب لا يطلب منها ما يطلب من جبهة التحرير العربية. إن الجبهة بما انها مولودة من فكرة نضال الحزب فهي تعتمد على قوة لا تتوافر للمنظمات الأخرى. والجماهير العربية تنتظر منها أكثر مما تنتظر من المنظمات الأخرى.

يخرج من هذا التصور أيضا ان الجبهة هي صيغة تجدد الحزب وإنبعاثه يخرج منه ان الجبهة لا يمكن ان تعتمد على السلطة، حتى ولو كانت هذه السلطة منتمية الى الحزب وبينها وبين الحزب روابط عديدة.

في هذه الأمور لا يمكن التسويات ولا يمكن الأحتيال. اما جبهة ثورية وإذن قوتها الأساسية ومصدرها ومصدر قوتها هو الشعب ومقدار تجاوب نضالها مع إرادة الجماهير الشعبية وأماني الجماهير وثقة الجماهير واما جبهة واجهة للسلطة وطريقها مسدود. وهذا شيء معروف لدينا جميعا لم يمنعنا من ان نعتمد في البداية على ما تقدمه سلطة الحزب في العراق ولكن كنا أيضا عارفين بوضوح ان هذا الشيء مؤقت ولا يجوز ان يطول أمده ولا يجوز ان يستمر وإلا فقدت الغاية الأساسية من الجبهة. لاننا لم نقصد أن نضيف منظمة إلى المنظمات الموجودة منظمة فدائية الى عديد المنظمات الأخرى. وإنما أردنا ان تكون الجبهة هي المنظمة الحقيقية منها يتجدد الحزب، واذا تجدد الحزب تتجدد الثورة العربية والواجب أن يصبح الحزبيون في

قيادة الجبهة هم قيادة الحزب.

قيـادة الجبهـة هي قيـادة الحـزب، هي اعلى قيـادة في الحـزب، هي القيـادة القـومية، ولكن كمـا قلت في بدء هذا الكـلام يفتـرض فينـا ان نكون عميقي النظرة صادقين وجادين في العمل الثوري لأن حياة الأمة رهن بصدق هذا العمل.

هذه غاية يجب ان نبلغها أي أن تصبح قيادة الجبهة هي أعلى قيادة في الحزب. اي بالجدارة والكفاءة والممارسة والتفاني في العمل تصبح قيادة الجبهة هي اعلى قيادة في الحزب ولكن ليس بالشكليات والانتقال الشكلي من مكان الى مكان وبتغيير الاسم. وبين الـواقـع الـراهن وبين ما نأمله ونـرجـوه مسافة ومراحل وشروط واقعية لا تحـدد سلفـا ولا تحـدد على الورق بقدر ما تستكشف وتستجلى من التجربة نفسها. المطلوب ان نعاني التجربة بصدق.

١٦ كانون الثاني ١٩٧٠

البعث امام تجاربه ومهامه الكبرى

ان بعض الأجواء النقدية[1] السلبية التي تمر خلال الندوات الحزبية ظاهرة مألوفة دائماً في هذا الحزب فهي من طبيعة الأحزاب الثورية وهي من طبيعة الأحزاب الأصيلة التي تؤمن بحرية الرأي وتؤمن بان النضال هووليد الحرية، وليد الشعور بالمسؤولية، فاذا انتفت الحرية ضعف النضال وتلاشى.

أيها الرفاق

في حزبنا كما في مجتمعنا وأجزاء وطننا أمور سلبية كثيرة، عوائق مصطنعة رواسب من الماضي. مهمة الحزب أن يناضل لينقذ ويخلص نفسه والمجتمع العربي منها. وأكبر العوائق وآفة الآفات هي التجزئة في وطننا العربي ثم الأوضاع الجائرة المفروضة على كثير من أقطاره نتيجة النفوذ الاستعماري الذي هو نتيجة لضعف المجتمع وتخلفه، لوجود طبقات مستغلة متحكمة بحرية الشعب وبثروات البلاد وبمقدراتها. . ولئن كان حزبنا قد برهن على ثورية أصيلة عندما شق طريقاً غير معبدة وغير مألوفة، طريق التنظيم القومي الواحد، ولئن كان قد حقق شيئاً لايستهان به، في ربع القرن الأخير من حياة الأمة العربية وخاصة على هذا الصعيد أي صعيد

---

(١) كلمة ألقيت في احدى ندوات حزب البعث العربي الاشتراكي في آذار ١٩٧٠.

توحيد النضال، فان مسافات كبيرة ما تزال تفصله عن الهدف الذي يسعى اليه في أن تتحقق الوحدة فعلا، ليس في التنظيم فحسب وانما في العقول والأفكار والمشاعر والعادات حتى يغدو المجتمع العربي مجتمعاً موحداً متجانساً متآخياً متجاوباً. فاذا ألقينا أيها الرفاق نظرة هادئة على ما يطرح أحياناً في اجتماعاتنا وما يتخللها من آراء ومواقف غير متجانسة أدركنا أن مردها الى التجزئة، الى العوائق التي تحول دون التواصل، دون الاندماج، دون التفاعل بين أبناء الأمة الواحدة والوطن الواحد والحزب الواحد.

لقد لاحظت ان بعض الرفاق كان يركز على تجربة من تجارب الحزب والنصف الآخر يركز على تجربة أخرى من تجارب الحزب أي أن كل نصف كان معنياً بالدرجة الأولى بالتجربة القريبة منه التي عاشها وعاناها وذاق مرارتها وبالتالي نشأ عنده التصميم على الايقع مرة ثانية فيها.

حزبنا في العراق الذي كان دوماً الحصن المنيع لفكرة البعث ولنضاله، هذا الحزب نشأ ونما وكبر في قطر من أهم أقطار العروبة، هو القطر الذي تدافع فيه العروبة منذ مئات السنين دفاعاً يومياً عن وجودها، وقد ورث حزبنا هذه المهمة وحمل بالاضافة الى دعوته الثورية والنضال من أجلها، حمل أيضاً بالنسبة الى ظروف هذا القطر مهمة الدفاع عن الوجود العربي المهدد بأبسط اشكاله وصوره.

لقد مرت على الحزب في العراق تجربة ١٨ تشرين وهي تجربة قاسية، وبالرغم من قسوتها ومن الاضطهاد والتنكيل اللذين تعرض لهما رفاقنا في هذا القطر فقد استطاعوا أن يصمدوا وأن يعودوا ليستلموا المسؤوليات القومية في أحرج الظروف فكان طبيعياً أن تنطبع ذكريات تلك التجربة في اذهانهم وذاكرتهم وان يخرجوا منها بالدرس البليغ، وان يحاكموا الأمور بجدية ورصانة لأن النضال في هذا القطر بصورة خاصة نضال حياة أو موت، لذلك تطلب الروية والحكمة والواقعية عندما تعالج أمور الحزب.

وثمة تجربة أخرى عاشها حزبنا في سوريا هي التي أدت الى نكسة ٢٣ شباط وهي تجربة لاتقل عن الأولى في قسوتها وفي عنفها، أهم ما يميز التجربة التي انتهت

الى نكسة ١٨ تشرين في العراق هو تلك الطفولة السياسية الثورية التي ظهرت بين أفراد قيادة الحزب بعد ١٤ رمضان فجعلتهم يختلفون منذ الأسابيع الأولى، يختلفون على شيء لم يبدأوا بعد بتحقيقه نسوا الحزب وانشغلوا بانفسهم واشخاصهم فعرضوا الحزب والحكم للضرب في ١٨ تشرين، في حين ان الذي يميز تجربة الحزب في سوريا، تلك التجربة التي انتهت بنكسة ٢٣ شباط هو ان فئة متآمرة على الحزب كانت قد بيتت التآمر منذ الوقت الذي كان الحزب فيه منحل التنظيم واستغلت تلك الحالة وبيتت ان تستولي على الحزب وان تستفيد من حالة ضعفه. واقول لكم بالمناسبة لأن أحد الرفاق تعرض لهذه الناحية، ان الحزب ما كان ليتبنى انقلاب ٨ آذار العسكري لولا ان سبقته ١٤ رمضان ولولا أنه كان يضع الأمل في تلك الحركة ويعتبرها الحركة الشعبية الأصيلة. ولم ينفرد الحزب في سوريا، ولا القيادة القومية في هذه النظرة بل شارك في ذلك الحزب في العراق وكان مستعجلا لتبني انقلاب آذار لكي يحمي الحكم نفسه في العراق. وكان رفاقنا في العراق يلحون في ان يتبنى الحزب ذلك الانقلاب وقد شاركوا منذ الأيام الاولى للانقلاب في الاجتماعات والمداولات أي ان الانقلاب وقع في الثامن من آذار والرفاق العراقيون وصلوا الى دمشق في الحادي عشر منه.

العظة من تجربة سوريا هي ان عدداً من الافراد العسكريين عرفت فيما بعد باللجنة العسكرية، وكان تشكيل هذه اللجنة يحمل طابعاً خاصاً وكانوا يعتمدون على تكتلات في الجيش وهكذا بدأوا ينفذون خطتهم في الاستيلاء على الحزب بتزييفه وبتصديع وبتحطيم قيمه ونضاله وكل مقوماته النضالية بينما لا يزال في بدء نشأته التنظيمية بعد أربع سنوات من حل التنظيم والضياع بنتيجة ذلك نشاهد الحزب قد تعرض الى الوان من التآمر والتزييف والتسلط الى ان اوصله كل ذلك الى النكسة.

ثمة شيء آخر أيها الرفاق، ثمة ملاحظة يجدر بكم ان تراعوها. الحزب يتحمل مسؤولية الحكم في العراق وللمرة الثانية، والحزب تحمل ولو في ظروف وشروط مختلفة مسؤولية الحكم في سوريا ولو ظاهرياً وامام الرأي العام. وان تحمل مسؤولية الحكم توجب نوعاً من الجدية والواقعية قد لايقدرها الرفاق الذين يناضلون في

منظمات لاتزال ظروفها بعيدة عن امكانية استلام الحزب للحكم وانا اقول بان واجب الرفاق أن يعتبروا بان الحزب كله وليس فرعاً له في قطر من الأقطار او في قطرين اثنين، حزب البعث كله اصبح في نظر الرأي العام العربي والعالمي منذ عشر سنوات على الاقل، أصبح حزباً حاكماً اومؤهلا لاستلام مسؤوليات الحكم، وهذه الملاحظة توحي بان يتحرر الحزب والرفاق في المنظمات التي لاتزال تناضل نضالا سلبياً، أن يتحرروا من بقايا عقلية طفولية قد تمنعهم احياناً من تقدير الامور بالموازين الواقعية الدقيقة، كما ان الرفاق الذين يحملون مسؤولية الحكم يجب ان يرحبوا بالنفحة الثورية التي يحملها الرفاق من المنظمات الاخرى، النفحة المبدأية التي ليس لها الا تفسير واحد هو الحرص والاخلاص للحزب بكل فروعه وخاصة في القطر الذي يتحمل مسؤوليات اكبر وأضخم. وكنت في كل الاجتماعات اشعر هذا الشعور بان ليس وراء تلك الملاحظات الا المحبة والحرص والتضامن.

اني متأكد ايها الرفاق بانه ليس بين اعضاء حزبنا الا من يريد لتجربة الحزب في العراق ان تنجح وان تقوى وان يقدم لها قسطه من الدعم والمعونة، ولكني اعرف ايضاً بان حزبنا الثوري الاصيل يزداد نمواً ونضجاً في نضاله وفي فكره ووعيه وفي تجربته القومية الانسانية وانه يعرف ما هي طبيعة العمل الثوري ويحرص عليها وعلى شروطها ويعرف ان التعاون المجدي هو التعاون الذي يتم نتيجة التفاعل في الرأي والنضال والتجارب وهو الذي يتم من خلال نظام الحزب وقيمه وبمطلق الشعور بالمسؤولية والحرية. وان اي نوع آخر من التعاون يكون اقل جدوى واقل بكثير مما تطلبه الحاجات الراهنة في حزبنا وامتنا.

لاشك ان عملية التفاعل هي اصعب عملية ممكنة نظراً لواقع المجتمع العربي المتميز بالتجزئة المصطنعة ونظراً لواقع الحزب ايضاً، لان في الحزب فترات انقطاع وثغرات ونواقص أخرت اندماج مختلف الفروع بعضها ببعض واخرت تجانس العقليات وتماثل المستويات الفكرية والنضالية. واهم شيء في الحياة الحزبية هي الثقة بين المناضلين. ولكني احرص على القول بان الثقة ـ لانها هي اثمن شيء في نظر المناضل ولانها يمكن أن تثير فيه اعلى مواهبه وامكانياته ليقدمها للنضال، هذه

الثقـة تأتي في الانفتـاح، بان ينفتـح بعضنـا على بعض، وأن نعتبر بحقيقة نفسية ان الـذي يبـدأ الآخـر بالثقة كثيراً ما يجعله بمجرد هذا الموقف جديراً بتلك الثقة. الثقة والكـرامـة أعز ما يتمسك به المناضل لان المناضل قد قبل أن يتعرض لشتى الأخطار وان يعيش عيشــة المنــاضلين فلا يبقى له عزاء في الحيـاة ودافـع ومحـرك الا القيم المعنوية. واكبر بلية تصيب حركة ثورية وتقضي عليها هي عندما يفقد هذا الجو، جو القيم المعنوية والثقة والمحبة والكرامة.

ايها الرفاق:

جديـر بنـا ان لانكتفي بالنظـرات السلبية وبرؤية الجوانب السلبية في حزبنا وفي مسيـرتـه، صحيـح ان هذا معبـر عن المثـاليـة والطمـوح الى الكمال، ولكن النفس بحاجة ايضاً الى الاعتزاز والحماس والامل والثقة بالنفس. واعتقد ان حزباً ثورياً في مجتمع متخلف صمد ثلاثين عاماً وما زال يتابع سيره ونضاله وما يزال محط آمال قسم كبيـر من الجمـاهير العربية التي وصلت اليها دعوته واخبار نضاله، هذا الحزب الذي صمـد في فتـرة يصـح ان تسمى تاريخيـة جديـر ان يحـرك في نفوسنا مشاعر الاعتزاز والامل والثقة بالنفس.

أيها الرفاق:

ان حزبنا في العراق الذي هو حزب أصيل كما نعرف وبالتالي يتحرك ويتصرف بفكـر الحـزب القـومي وبمنطقه وشموله يعرف مثل الرفاق الآخرين أن قضية فلسطين هي قضية العرب الأولى وان فيها تتقرر المعركة المصيرية بالنسبة لأمتنا.

وأعتقـد ان قسمـاً من الـرفاق أتوا متأثرين بجو أقطار قريبة جداً من مواجهة العدو وتتعــرض للاعتــداءات وتعيش بجـو المعـركـة والعمـل الفـدائي فكـان يبـدو على ملاحظتهم النـزق والاستعجـال وهو أمر طبيعي لاأعتقد ان أحداً يلومهم عليه. فنحن مطـالبـون بان نقـود حزبنـا ونـرفعـه الى اعلى مستـوى من الـوحـدة وحشـد الجهـود والكفاءات والتضامن والتلاحم حتى يصمد في وجه المؤامرت.

أيها الرفاق:

ان ما يحتـاجـه حزبنـا في هذه المـرحلة وهي مرحلة مصيـريـة الخصه للتبسيط

ولتحاشي الاطالة بشيئين ، هو بحاجة الى قيادة مناضلة تجمع اعلى مستويات الفكر والكفاءة لكي تخطط لاكبر واخطر معركة في تاريخنا القومي ، عليها يتوقف مصيرنا ، مطلوب حشد الأدمغة والعقول النيرة المطلعة التي تعيش في هذا العصر وتستطيع ان تخطط للمستقبل والشيء الثاني الذي يحتاجه الحزب هو عمل في اوساط الجماهير الكـادحـة ، واسـع عميق ، بالتـوعيـة ومشاركة الشعب في اعماله ومشاكله وفي تعبئته وتجنيده للمعركة التي هي قريبة وقادمة لاريب فيها .

علينـا ان نخـرج الحـزب من الغـرف والقـاعات نخرج مبادئه وافكاره وتنظيماته ودراساته وخططه ومشروعاته ونخرج حماسته وايمانه واندفاعاته من هذا الاطار الضيق الذي يضم العشرات في قيادات ومؤتمرات ونبذره على الارض العربية الواسعة وبين الجماهير الكادحة . نلقي البذور ونتعهدها يومياً .

آذار ١٩٧٠

المؤامرة التاريخية على حزب البعث

أيها الاخوان :[1]

حديثي إليكم سيكون صريحاً بسيطاً . . . سأوجز ملاحظاتي والخواطر التي أثارتها أقوالكم في نفسي ، ولكم بعد ذلك أن تفكروا ملياً لكي تكون أعمالكم وخطواتكم وأنتم شباب الحزب المناضلون المعتمد عليهم مع الرفاق الذين يتحملون التعذيب والاضطهاد في داخل القطر السوري . . . أقول لكي تكون خطواتكم رصينة وفي مستوى المسؤولية غير متأثرة بالانفعال وحالة الألم والنزق التي تنتج عن وضعكم بعد أن اضطررتم الى مغادرة الأرض والأهل .

الملاحظة الاولى : التي أريد أن أذكركم بها هي أنه توجد مؤامرة تأريخية على حزب البعث لم تبدأ اليوم ولا قبل سنوات وإنما من سنين طويلة ، منذ ان اتضح لأعداء الأمة العربية ولذوي المصالح في هذه المنطقة ، لذوي المصالح الأجنبية طبعاً ، وللرجعية العربية مدى واقعية هذا الحزب ومدى تجاوبه مع الحاجات التأريخية للأمة العربية في هذا العصر ، منذ ذلك الحين بدأت المؤامرة ثم اتسعت ودخلت فيها عناصر جديدة وكانت تتجدد في مظاهرها وأشكالها ولكنها تبقى واحدة

---

(١) حديث ألقي على عدد من المناضلين السوريين في تموز ١٩٧٠ ، ونشر في «نقطة البداية» تحت عنوان «طريق الوحدة تمر بفلسطين» .

في أساسها وتصميمها وأهدافها الاخيرة، مؤامرة على حزب البعث أي مؤامرة على يقظة الأمة العربية في هذا العصر وعلى ثورتها وانطلاقتها، اي مؤامرة على وجود الأمة العربية.

هذا الحزب هو من الواقع العربي وبالتالي فلم يكن معقولاً أن يأتي منزهاً عن جميع امراض هذا الواقع، ولكنه لو لم يكن منزهاً عن بعضها على الأقل لما احتل المكانة التي احتلها، ولما صمد حتى الآن. لم يسبق تأسيس هذا الحزب إعداد نظري او تنظيمي يكون في مستوى الصعوبات التي كان محتوماً على الحزب ان يواجهها. نشأ الحزب كاندفاعة وتلبية صادقة لحاجات الأمة، وفيه ثقة بأن الأمة سوف تحتضنه وتمده بالقوة والوسائل بنسبة تفتح وعيها واستكشاف مابينها وبين هذا الحزب من صلة ووحدة في الضمير ووحدة في الأهداف. ولكن هذا لم يكن كافياً ليحول دون تسرب تخريب الاعداء الى داخل الحزب وقد استغلوا كل ما في المجتمع العربي من امراض ورواسب، ليحاربوا بها الحزب وليفسدوه وسرعان ماظهرت في الحزب نزعة الاستعجال، اي استعجال الوصول الى السلطة، في حين كان الحزب بحاجة الى زمن اطول وتجارب اعمق ليصلب عوده وليكون قادراً على قهر الامراض، امراض الواقع العربي وفي مستوى المسؤولية التأريخية، ولم يكن كل الحزب بهذه النفسية وبهذا التفكير ولكن نزعة الاستعجال هي التي تغلبت، وإذا الحزب يجد نفسه بعد ذلك اسيراً لاحد خيارين او طريقين لا ثالث لهما، إما ان يكون حاكماً او مغلوباً على امره ومسحوقاً، اما ان يكون ظالماً او مظلوماً بمعنى انه يحمل من الاعباء والمسؤوليات مايفوق قدرته وتهيؤه وإعداده فيشعر بالتناقض والتمزق.

بعد ثلاثين سنة من ظهور حزبنا استطيع ان اقول: بأنه الحركة الوحيدة في الوطن العربي التي استشرفت المستقبل بنظر صاف والتي وضعت الاسس لنضال عربي تاريخي قادر على الصمود والاستمرار حتى تتحقق اهداف الثورة العربية المعاصرة، وتجيء الاحداث تلو الاحداث، النكسات والانتصارات احياناً لتؤكد هذه الحقيقة. إنما الشيء الوحيد الذي ينقص الحزب والذي يكفل له تحقيق اهدافه التي هي اهداف الامة العربية هو ان يخلص هذا الحزب لنفسه وان يقترب اكثر فأكثر

من فكرتـه وتصميمـه الاول وان يراجـع نفسه بين الحين والآخر ليقيس المسافة التي ابتعد بها عن تلك الفكرة وذلك التصميم حتى يسيطر على نفسه من جديد.

في إطار هذه الملاحظة العامة نجد تفسيراً ليس فقط لانتكاسة ٢٣ شباط وإنما لكـل التشـويـه الـذي طرأ على الحـزب قبـل تلك الانتكاسة بسنين، وخاصة لذلك التزييف الكامل الذي وقع الحزب ضحيته من بعد انقلاب الثامن من آذار.

ليس من المجدي ان أدخل في تفاصيل ولكن لابد ان أصحح للرفيق قوله بأني قبيـل ٢٣ شبـاط أشرت بإصبع الاتهام الى القيادة القومية، كانت تلك الاشارة ليست الى القيـادة القـوميـة بل الى الفئة التي كانت تتحكم بسورية في ذلك الحين من وراء جميـع القيـادات. كذلـك احب ان اصحـح قول الـرفيق بأننـا نحن الذين اضطهدنا الشعب وعملنـا كل ما عمـل في تلك الفتـرة من أضطهاد واستغلال وغير ذلك. أقول بأن الحزب بريء والحزب اخطأ عندما وثق بتلك المجموعة من العسكريين واعتبرهم رفـاقـاً حزبيين وإذا باللجنـة العسكـريـة تدبـر مؤامـرة لتـزييف الحـزب تزييفـاً كاملاً وللاستيلاء عليه معتمدة على السلاح الغاشم، على الدبابة والمدفع، وقد لجأ هؤلاء الى اخبث الاسـاليب من اجـل تحقيق اغراضهم وتزييف الحزب فشجعوا الانتهازية الى أبعد الحدود وشجعوا الفساد وحاربوا الاخلاص وحاربوا العقيدة الحزبية المؤمنة وأتـــوا حتى بأعـداء الحـزب وأدخلوهم في الحـزب ليكـونـوا عونـاً لهم ضد الحـزب الأصيل. فشهوة السلطة عندما تسيطر على النفس توصل الى الخيانة وهذا ما قصدته عنـدمـا أشـرت في كلمتي في ١٩ كانـون الاول سنـة ١٩٦٥ بأن في الحـزب عناصر مشبـوهـة وان الاستعمار قد دخل الى داخل الحزب وقد لاينطبق هذا الاتهام الا على أفـراد قلائـل واحـداً أو اثنين أو ثلاثـة. أي الاشخـاص الرئيسيين وهذا كاف لايصال البلاد الى كارثة.

ماذا كان يستطيـع الحـزب وممثلوه الصـادقـون أن يفعلوا أمـام مؤامـرة داخلية من داخـل الحـزب. مؤامـرة خبيثـة نفّـذت ببـطء وخبث وذكاء على مراحل. عندما كان واحدنا يفكر بأن يعلن ذلك على الملأ، كان رفاق كثيرون وأكثرهم مخلصون يرفعون أصـواتهم بالاحتجـاج إذ لايجوز في عرفهم أن يظهر الانقسام خارج الحزب فيشمت

الاعـداء وتـرفـع الرجعية رأسها ويتدخل الاستعمار وغير ذلك من التصورات . سأقول لكم واقعـة من عشـرات الوقائع : في كانون الاول سنة ١٩٦٤ تم الاتفاق بين أعضاء القيادة القومية على تخصيص دورة لطرح أزمة الحزب، وكان هو الشيء الذي أقنعني بالعـودة من أوروبـا بعـد أن كنت قد تركت سوريـة محتجـاً على الأوضـاع الحـزبيـة المزيفة ومعلناً عجزي عن معالجتها ولم تكن القيادة القومية قبل سفري مقتنعة كلها بوجـود التـزييف والتسلط، وفي خلال خمسـة أشهـر قضيتهـا في الخارج حصل من التجارب ما أقنع أعضاء القيادة القومية، وأخيراً طرحت أزمة الحزب واتخذت القيادة القـوميـة قرارات لوضـع حد للتسلط والتـزييف وجمدت القيادة القطرية ولكن اللجنة العسكـريـة ومعها العديد من الانتهازيين والحزبيين المزيفين هددوا وضغطوا ولم ترد القيـادة القـوميـة أن تصل الأمور الى حد الانفجار، وفي تلك الأثناء جاءت رسالة من الـرفيق منيف الـرزاز، رسالة طويلة وكان عضواً في القيادة القومية، وكنت وجهت إليه ثلاث مرات برسـائـل ورسـل دعوته لحضور تلك الدورة فاعتذر، ولكن بعد أن وقعت الأزمة بين القيادة القومية وقيادة القطر المتمردة على القرار، قرار الحل، أرسل الرفيق منيف تلك الـرسـالـة المطولة يضع فيها اللوم على القيادة القومية، وبعض اللوم على الطـرف الآخـر، ويظهـر أسفـه وألمـه لهذا الانقسام بين رفاق حزب واحد بإسهاب، طلبت قراءة الـرسـالـة أمـام القيادة في حين كان رأي بعض الرفاق عدم قراءتها وكنت أعرف مغزاها، وبالفعل لاقت ارتياحاً لدى أعضاء اللجنة العسكرية في القيادة وبعد ذلـك ببضعـة أشهر أي من كانون الاول ١٩٦٤ الى انعقاد المؤتمر القومي الثامن في نيسـان ١٩٦٥ بعـد ذلـك طلبت من الـرفيق منيف الـرزاز أن يتحمـل مسؤولية الأمانة العامة ويجرب بنفسه تحمل المسؤولية، إذن حتى في مستوى أعلى القيادات وأعلى القيـاديين كان هنـاك نقص في الفهم وفي التجربة، وآراء عاطفية تدخل في المواقف التي تتخذ من أخطر أزمة مر بها الحزب. وتركت القيادة وأصر القطريون بالذات على انتخـابي في القيـادة القـوميـة رغم انسحـابي وإعـلاني المتكرر لذلك الانسحاب، أصـروا هـم لكي يبقـوني داخل سجن التزييف لكي تستمر الأخطاء وتستمر المؤامرة، تنفـذ الى آخـر مراحلها، وأحمل مسؤوليتها. ولكني قاطعت رغم كل شيء، قاطعت

اجتماعات القيادة القومية بعد المؤتمر القومي الثامن ثمانية أشهر، ولم أحضر إلا في ذلك اليوم الذي كاد يحصل فيه اشتباك بالسلاح أي يوم ١٩ كانون الأول ١٩٦٥ ضغط علي الرفاق لكي أذهب الى القيادة القومية وأهدىء الجو، وألقيت تلك الكلمة التي أشار إليها الرفيق.

أيها الأخوان

أتمنى لو تستجمعون كل انتباهكم وتجربتكم النضالية لتفهموا ماأريد إيجازه لكم في هذه الكلمة لأني حريص ألا تفقد اللغة المشتركة بيني وبين أعضاء هذا الحزب. ألاّ تفقد الصميمية والمفاتحة الوجدانية. إن المؤامراة التاريخية على حزب البعث التي ذكرت لكم شيئاً عنها في بدء هذا الحديث، كان من أوضح تعبيراتها ومظاهرها التحامل على شخصي والمستهدف هو الحزب وليس الشخص، ولكن في حساب الاستعمار والقوى المتآمرة ان تحطيم الشخص يوصل إلى تحطيم الحزب أو إنزال الأذى الكبير به. وهذا مايفسر كيف أني بعد أن علمتني التجارب الطويلة صرت أحرص على الابتعاد عن المسؤولية على ما في ذلك من ألم في نفسي لكي أفوت على المتآمرين بعض الفرص. وقد حدثتكم حديثاً صريحاً بينت فيه ان الحزب منذ نشأته لم تترك له الظروف والأحداث فرصة ومجالاً لتكوين نفسه فكرياً وتنظيمياً وتربوياً التكوين الصلب الذي يجعل منه جسماً واحداً موحداً كالرجل الواحد، بل حمل الكثير من أمراض المجتمع ودخلته الدسائس والأصابع المشبوهة ولكن بذرته الطيبة ضمنت له الصمود رغم كل شيء. إذن لم يكن باستطاعتي أن أتكافأ بالوسائل والسلطة مع كل تلك الفئات التي اغتصبت اسم الحزب اغتصاباً وعملت على تشويه وجهه وحقيقته. لم يكن ثمة أدنى حد من التكافؤ لأن الحزب لم يكن موحداً ولم يكن سليماً في الداخل بل كان شتاتاً من الفئات والأهواء والمصالح فلكي ننقذ سمعة الحزب وفرصة تجدده في المستقبل ونهوضه من عثاره كان لابد أن نفضح التزوير والتزييف بالابتعاد. وخرجت من تلك التجربة بدرس نهائي وبقناعة نهائية إنه بالنسبة لي على الأقل ليس من مصلحة الحزب أن أضع نفسي في الواجهة وأمكن أعداء الحزب وأعداء الأمة من أن يصيبوا الحزب من خلالي، وصممت أن يقتصر دوري

على الناحية الفكرية وهذا أطبقه وأمارسه منذ ذلك الحين حتى الآن وتعرفون ولابد ان تكونوا عرفتم بأني في المؤتمر القومي العاشر الأخير بعد أن تعذر إقناع الرفاق اعضاء المؤتمر والرفاق العراقيين بخاصة بأن يعفوني من مسؤولية الأمانة العامة حتى من المسؤولية الاسمية وافقت على قبول الصفة دون ممارسة المسؤوليات ووافق المؤتمر على طلبي بأن أنقطع للجنة شكلها المؤتمر باسم اللجنة الفكرية . مع العلم بأني أشعر برابطة قوية بيني وبين الرفاق المتسلمين للمسؤولية في هذا القطر، وأطمئن إليهم واثق بنزاهتهم واخلاقيتهم وأصالتهم الحزبية كما أشعر نفس الشعور نحو رفاقي في القيادة القومية وأعتقد وأؤمن بأن هذا الظرف الذي نحن فيه هذا الظرف الذي لاترون أيها الرفاق منه إلا وجهه المظلم لأنكم عانيتم من الاضطهاد على أيدي تلك الفئة المشبوهة التي اغتصبت اسم الحزب في القطر السوري . هذا الظرف بالذات له وجه آخر مشرق وإشراقه يربو على ظلمته أضعافاً مضاعفة، هو أكبر فرصة تاريخية أعطيت لحزب الثورة العربية لحزب الوحدة العربية، لكي يقوم بدوره الأصيل بينما تتخاذل الأنظمة العربية وتتآمر لفرض حلول تعادل الانهزام والموت، لأنها فضلت نفسها وأشخاصها وطبقتها الحاكمة على الأمة العربية بامكانياتها الزاخرة الوفيرة التي تستطيع أن تحارب عشرات السنين وأن تصمد وأن تنتصر فيما لو وجدت القيادة الشجاعة والواعية والثورية بالمعنى الصحيح التي ترى إمكانيات المستقبل وتراهن عليها وتطلقها وتفجرها بدلاً من أن تخنقها وتتآمر عليها. فالطريق واضحة وبسيطة طريق الثورة ثورة الشعب، عندما يندمج الحزب بالشعب وهي كما قال رفيق آخر مرتبطة بالمعركة المصيرية في فلسطين فإذا قام الحزب بواجبه على الجبهة الشرقية فإن أمر المعركة يكون سهلا وقد قلت قبل عام لرفاقنا في القيادة القومية في أوائل آب عندما طرحت موضوع الوحدة وضرورة وضع خطة لتحقيقها بأن طريق الوحدة يمر بفلسطين.

أكتفي بهذا أيها الرفاق وبعد أن وضحت ما أستطيعه وما لا أستطيعه أعدكم بأن أبذل كل جهودي في هذا السبيل شريطة ألا نعود إلى الالتباسات الماضية التي لم يستفد ولن يستفيد منها إلا أعداء الحزب وأعداء الأمة.

تموز ١٩٧٠

نصرة ابطال الفداء واجبُ مقدس

الأخوة أعضاء اللجنة المركزية لحركة المقاومة(1)
الأخ ياسر عرفات
عمان :

إن صمود رجال المقاومة البطولي في وجه مؤامرات الاستعمار والرجعية الشرسة العميلة قد عزز الثقة بقدرة شعبنا العظيم على الكفاح والتضحية وتحقيق النصر.

ولاشك بأن الوقفة التاريخية التي يقفها الثوار في الاردن المناضل اليوم تجسد إرادة الجماهير العربية قاطبة وتصميمها على استحقاق النصر في معاركها التاريخية مع الصهيونية والاستعمار وأعداء التقدم العربي .

لقد أصبح الاردن ميدان الصراع الحاسم بين قوى الثورة وإرادة الحياة في الامة العربية وبين أعداء أمتنا الذين يريدون قهرها وافناءها .

ومن واجب جميع الثوريين من مناضلين وقوى عربية مقاتلة ومواطنين شرفاء خوض المعركة المصيرية الحاسمة إلى جانبكم وبكل قوة حتى يتحقق لثورتنا الفلسطينية طليعة الثورة العربية ، أهدافها في النصر والتحرير.

---

(1) برقية إلى أعضاء اللجنة المركزية لحركة المقاومة أثناء مجزرة أيلول ١٩٧٠ في الأردن .

إن الشهداء الابطال الذين يسقطون في ساحات الشرف اليوم لا يدافعون فقط عن المقاومة الفلسطينية، وإنما يفتدون بأرواحهم العزيزة الغالية مستقبل أمتنا العربية المناضلة، وأجيالها الصاعدة أيضاً. وأن التاريخ لن يغفر لكل من يحجم عن نصرة أبطال الفداء العربي وعن المشاركة الفعلية في حماية حق الجماهير في النضال من أجل تحرير الارض العربية وإنقاذ المصير العربي من الصهيونية والاستعمار.

لقد انتصرت الثورة الفلسطينية في هذه المعركة منذ أن اختارت الصمود والفداء والقتال طريقاً لتثبيت هويتها وأسلوباً لمجابهة أعدائها.

سيروا إلى الامام فجماهير الشعب وكل المناضلين والثوريين معكم.

أخوكم

ميشيل عفلق

ايلول ١٩٧٠

نداء الى البعثيين للالتحاق بالثورة الفلسطينية

إلى جميع الرفاق الحزبيين في الوطن العربي وخارجه :
تحية العروبة والنضال[1] .

في هذا الظرف الحاسم الذي تمر فيه الثورة الفلسطينية طليعة الثورة العربية والذي يفرض تخطي الأساليب المتبعة في مخاطبتكم أوجه هذا التعميم على وجه السرعة إلى من لم يلتحق منكم حتى الآن بصفوف المقاومة الفلسطينية لتضعوا أنفسكم تحت تصرف اللجنة المركزية لحركة المقاومة للقتال مع رفاقكم الثوار والمقاومين الأبطال الذين يدافعون عن الوجود العربي ، والمستقبل العربي أمام الهجمة الاستعمارية الصهيونية الرجعية في الأردن .

ان ما تواجهه حركة المقاومة في الأردن ومن ورائها حركة التحرر العربي بمجملها يفوق من حيث خطورته ونتائجه التاريخية حرب حزيران . ففي الخامس من حزيران هزمت الأنظمة العربية ذات العقلية الفوقية المتخلفة أما هدف الاستعمار من المعركة الحالية فهو قهر الجماهير العربية وطليعتها الثورية المسلحة الـ توجهة نحو

---

(١) تعميم صادر عن الأستاذ ميشيل عفلق الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي بعد بدء مجزرة أيلول ١٩٧٠ في الأردن .

تحرير فلسطين وإنقاذ المصير العربي من الصهيونية والاستعمار.

إن رفاقاً لكم يخوضون اليوم معركة الشرف والبطولة والفداء وان التزامكم بمبادءى حزبكم المناضل حزب الوحدة والحرية والاشتراكية يفرض عليكم أن تكونوا معهم في ساحات النضال. لقد علمكم الحزب ونضال الحزب ان الجماهير وحدها قادرة على صنع التحرير والنصر وان وجودكم جمعياً في صفوف الجماهير المسلحة يشكل ترجمة عملية صادقة لمبادىء حزبكم وهو تتويج لنضالكم الطويل من أجل تحقيق آمال الجماهير.

فإلى الأمام أيها البعثيون المناضلون لمشاركة اخوانكم ورفاقكم الأبطال في الأردن المناضل فطريق النصر وتحرير فلسطين يمر عبر عمّان.

ولرسالة امتنا الخلود
الأمين العام
الرفيق ميشيل عفلق

المؤامــرة الكبــرى

في الخامس من حزيران [1] ، منيت الانظمة العربية التقدمية بهزيمة تاريخية. ولقد كان من الطبيعي ان يسقط عار الهزيمة، الاقنعة التي كانت تحجب الانظار عن رؤيــة حقيقــة تلك الانظمـة واكتشـاف الخلل الكـامن فيهـا وفي انمـاط العقليـات والاساليب التي سادت المرحلة التي سبقت تلك الهزيمة. . .

وبعـد ان استـردت الامـة العـربيـة وعيهـا من بعـد ذهول الصدمة، اعتقدت ان بامكـانهـا تجـاوز الهزيمة عن طريق تفهم اسبابها العميقة ومعالجة تلك الاسباب ولو اقتضى ذلـك ان تعيـد بنـاء ثورتهـا من الصفـر. بيد ان الاستعمار والصهيونية واعداء الثـورة العـربيـة، كانـوا بالمـرصاد لهذه اليقظة الجديدة. فقد جندوا قواهم لتعطيلها واجهـاضهـا والتـآمـر عليهـا والحيلولـة دون الثورة العربية ودخول المرحلة الجديدة، مرحلة تحويل الهزيمة الى منطلق للنصر، وقد وجد التحالف الاستعماري الصهيوني الـرجعي في انظمـة الهـزيمـة خيـر عون له على تحقيق مخططه الاجرامي، ذلك ان ابتعـاد الانظمـة العـربيـة التقـدمية عن الشرطين الاساسيين اللذين بدونهما لا تكون الثورة العربية ثورة بالمعنى الصحيح :

---

(١) مقالة نشرت في «الاحرار» البيروتية بتاريخ ٢٥ ايلول ١٩٧٠ .

أ ـ مشاركة الجماهير الشعبية الواسعة .

ب ـ السير في طريق الوحدة العربية .

قد افقد تلك الانظمة كل طابع ثوري جدي ، وجعلها تقوم في الاساس على التسويات الطبقية والاقليمية والتسوية الضمنية مع الاستعمار والصهيونية واعداء الثورة العربية . وكان محتوما ان يدخل الاستعمار بشكل او اخر في بنيان تلك الانظمة وان ينفذ الى قياداتها وان يخط لتلك الانظمة مجرى سيرها والحدود التي ينبغي ان تتوقف عندها .

وقد اتضح بعد فترة قصيرة من هزيمة حزيران المخطط الجديد المشترك الذي تعاونت على تنفيذه جميع القوى المضادة والمعيقة والمعادية للثورة العربية . فقد وجدت الامة العربية نفسها بعد ايام واسابيع من النكسة التاريخية معرضة لادهى انواع الدعايات والمؤثرات الهادفة الى تخدير حسها بالهزيمة حتى تبتعد عنها صورتها يوما بعد يوم ، وتنسى الذين تسببوا فيها ، وتتم هكذا ببطء عملية ترويض نفسية فريدة من نوعها ، لتوجيه الانظار نحو مسببي الهزيمة كما لو انهم منقذون ، وتحويل صورة الهزيمة الى مايشبه النصر ، وتصوير استمرار الانظمة التي صنعت الهزيمة بانه نصر يفوق نصر الاعداء . وبتعبير اوضح : حماية الامراض والافات التي أوصلت الى ٥ حزيران وتمكينها من متابعة فتكها في جسم المجتمع العربي لكي تتجدد الهزيمة بين حين واخر وتتوالد وتشيع اليأس وتقضي على كل امل في الخروج من المحنة .

وهكذا سلطت على الجماهير العربية الجريحة المنكوبة الاساليب الاستعمارية الجديدة لزرع اليأس في طريقها عن طريق دعم الصيغ القديمة التي جاءت بالهزيمة ، وخلق الشعور لدى هذه الجماهير بانها لم تخسر الحرب فقط ، بل خسرت ايضا الدروس والعبر التي قدمتها النكبة .

وقد رافق عملية رد الاعتبار للانظمة التقدمية المهزومة بطبيعة الحال ، تشجيع للاساليب الفوقية البيروقراطية التقليدية المعادية لانطلاقة الجماهير ، غير المؤمنة بدورها ، المتسلطة على مقدراتها ، المعيقة لتطور ثورتها ، المزيفة لنضالها . وتشجيع

مقابل ايضا للنزعات القطرية والانكماش الاقليمي والعشائري ولاساليب الغدر اللااخلاقية. ومن خلال هذه الثغرات كانت الامبريالية والصهيونية والرجعية تجد منافذ لها للتآمر على اليقظة الجديدة للجماهير العربية الثورية الكادحة بعد الهزيمة. وقد ادى انكشاف التخلف والتردي والتسلط والتواطؤ لدى الانظمة المهزومة المسماة بالتقدمية الى تثبيت مواقع الانظمة الرجعية واكتسابها قوة جديدة وعمرا جديدا بمجرد المقارنة مع تلك.

واصبح من الجلي الواضح ان كل محاولة لبناء نظام تقدمي جديد بعد الخامس من حزيران، تحتاج الى ارتفاع الى مستوى جديد من التقدمية يكون نقيضا حقيقيا للنظم التقدمية الزائفة التي عرفتها مرحلة ما قبل النكسة. وان الفشل سيكون حليف الانظمة الجديدة التي تطمح الى تحطيم طوق التخلف والتجزئة والوقوع في اسر الاستعمار والصهيونية واعداء الثورة العربية، اذا لم تنطلق من المبادىء والشروط التي تتطلبها المرحلة الجديدة، ومن الدرس الاول لهزيمة حزيران المتمثل بضرورة تخطي الاساليب القديمة التي ثبت فشلها وعجزها وتآمرها، اساليب العمل المغلق الفوقي والاساليب غير المؤمنة بالجماهير وبالوحدة وباسلوب الكفاح الشعبي المسلح وبالعمل الجبهوي التقدمي.

وقد كان من البديهي ان تندفع الانظمة الجديدة التي لم تتعظ بعبر النكسة الى نفس المواقف التي وقفتها الانظمة التي صنعت الهزيمة وان يكون موقفها من الكفاح المسلح ومن العمل الجبهوي ومن الوحدة العربية ومن الجماهير، على قدم المساواة مع الانظمة التقليدية التقدمية والرجعية التي سبقت النكسة وكانت عاملا من عواملها

وقد كشفت المحنة الجديدة الرهيبة التي ادخلت فيها القضية العربية من جراء المشروع الاميركي التصفوي، هذه الحقائق بوضوح.

فقد تركزت جهود الاطراف المتآمرة جميعها على تعميم مشاعر اليأس المطبق على الجماهير العربية وقتل روح الصمود والثورة. وعندما برزت روح الصمود متجلية في الكفاح الشعبي المسلح، تكالبت على تحطيمها وافنائها كل تلك الاشكال والنماذج من الانظمة المتواطئة مع الاستعمار المعادية للجماهير المنكمشة على

حدود مصالح التجزئة .

ومن هنا كان تاريخ السابع عشر من ايلول يحمل معه من المعاني والمخاطر مايتجاوز في شروره الخامس من حزيران . انه مؤامرة كبرى تشترك فيها جميع الاطراف التي تتعارض مصالحها مع اي وجود ثوري وقومي سليم وصحيح في الوطن العربي . انها مؤامرة لتصفية الثورة العربية وسحق كل روح ثورية عربية وكل قواعد ثورية اينما تكون . وليس مانشاهده على ارض الاردن اليوم من حجوم مذهلة ومريعة للمحنة الجديدة ، ومن انتظام وائتلاف الاطراف العاملة والممهدة والمسهّله لتنفيذ المخطط الاميركي الاجرامي ، ومن اعتماد على القوى الخارجية لسحق الجماهير المناضلة على ارض المعركة ، ومن وضع للمقاومة المسلحة التي تمثل ضمير الامة على قدم المساواة مع الرجعية العميلة ومن خنق للمبادرات الهادفة الى اذكاء مشعل الثورة التي اطلقها العمل الفدائي الذي اكتسب من جديد شرف تجسيد ارادة الامة بمجموعها . ليس ذلك كله الا محاولة لتنفيذ اكبر جريمة في التاريخ الانساني المعاصر، ولكن القوى المعادية للتاريخ وللشعوب التي فشلت في ايقاف تقدم البشرية المتحررة في فيتنام واميركا اللاتينية والجزائر سوف تلقى نفس المصير من الجماهير العربية الزاحفة لنصرة العمل الفدائي وانقاذ الثورة العربية واسقاط المخططات الامبريالية الصهيونية الرجعية على ارض فلسطين العربية .

٢٣ أيلول ١٩٧٠

الجماهير هي الضمانـــة

الجمـاهيـر هي المرجع الاخير[1] ، والجماهير هي اليوم اكثر من اي وقت مضى صانعة الثورة وصانعة التاريخ .

ذلـك ان الاحـداث المصيـريـة كشفت الخلل والمرض في الانظمة والحركات الثورية وكشفت كيف ان القيادات متخلفة عن القواعد، والقواعد متخلفة عن الجماهير.

الان اكثـر من اي وقت مضى الجمـاهيـر هي المرجع الاخير والقول الفصل في كل شيء في الفكـر، في العقيـدة، في السيـاسـة ، في النضـال، في القتـال، في الشرعية والنظام ، في الجوهر والاشكال.

مضى زمن السحـر والطـلاسم الشـوريـة والانغـلاق والاختبـاء وراء الالفـاظ والشعـارات . فالحـركـة الثورية تفقد هذه الصفة وتتحول الى خدعة مفضوحة اذا لم تنفتـح على الجمـاهيـر بكليتهـا اذا لـم تشرك الجماهير في اسرار تركيبها الداخلي وما ينتاب هذا التركيب من نواقص وامراض.

الحـركـة الثـوريـة بعد اليوم لا يحق لها ان تحمل هذه الصفة اذا لم تنفتح على الجماهير وتشركها ليس في مسيرتها الظاهرية فحسب بل ايضا في مسيرتها الداخلية والتي كانت حتى الان باطنية مكتومة .

---

(١) مقال افتتاحي نشر في «الاحرار» بتاريخ ٢٣ تشرين الأول ١٩٧٠ .

الحركة الثورية هي ملك للجماهير ولذلك فمن حق الجماهير ان تعرف طبيعة العلاقات التي تسود افراد هذه الحركة وقياداتها، ان تعرف ما قيمة الفكر والمبادىء والنضال والاخلاق في تقدم الاشخاص اوتأخرهم داخل الحركة، ان تعرف طبيعة الوسائل والاساليب التي تؤثر في سير الحركة الداخلي وفي تماسكها وتحركها، ان تعرف طبيعة الجو الروحي والفكري الذي تتنفس الحركة ضمنه هل هوجو المحبة والحرية والثقة أم جو الخوف والشك.

ولا ضير على الحركة الثورية ان يكون فيها نواقص وامراض اذا صممت على تصحيح سيرها والتخلص من امراضها. فالحركة الثورية هي في اخر الامر من امكانيات وشروط وظروف هذا الشعب الذي هو شعبنا والشعب يدرك ذلك بحسه السليم العفوي اذا كانت الحركة منفتحة عليه تشركه في مسيرتها ومصيرها وتحمله مسؤوليته ليس في دعمها ونصرتها فحسب بل في المساهمة في تصحيحها ومعالجة امراضها.

الايمان بالشعب وبالجماهير يبقى لفظا بلا معنى، ورياء ونفاقا اذا لم يوصل الى هذا الانفتاح الصميمي والى هذه المشاركة المصيرية. فالايمان بالشعب وبالجماهير يعني ان هذه الجماهير هي القوة الكبرى الاساسية الوحيدة التي تستطيع ان تحقق اهداف الثورة العربية وانها القوة الاساسية الوحيدة التي تستطيع ان تتكافأ مع قوة الاستعمار والصهيونية واعداء تقدم الامة العربية.

واذا كان الاستعمار والصهيونية والاعداء عامة يمكنهم ان يستغلوا أنفتاح الحركة الثورية وان يشهروا بنواقصها وامراضها فان هذا الضرر لا يعادل جزءا بسيطا من النفع الكبير الذي تجنيه الحركة الثورية عندما تشرك الجماهير في مصيرها كله ظاهره وباطنه فتكسب بذلك ثقتها العميقة والتحامها الصادق الثابت.

الحركة الثورية الاصيلة تستطيع ان تصحح الاخطاء مهما كبرت ولكن التصحيح لن يأتي صادقا وجديا الا بضمانة من وعي الجماهير ومراقبتها ومشاركتها. بدون هذه الضمانة تدخل عوامل الانانية الشخصية والمنافع والاطماع والخوف على النفس لكي تجعل من التصحيح مناسبة للتمادي في الخطأ واسكات المعارضين

وابعاد اصحاب المواقف المبدئية.

في الاحداث المصيرية التي تمر بها امتنا الان بعد انكشاف النواقص والامراض تنهار جملة أشياء من بينها تلك الشرعية الشكلية التي تتناقض بشكل فاضح وفاجع مع ارادة الجماهير ومصلحتها، ومع وعي الجماهير الثوري الذي اكتسبته في معارك القتال ودفعت ثمنه من دمائها.

فالحقائق المصيرية لايسطّرها الموظفون بل تسطّرها الجماهير الثائرة الثورية الاصيلة عبر مسيرتها من أجل تحقيق اهدافها.والحركة الثورية تستطيع أن تدرك كل هذا وان تستلهم الضمير وتحكّم العقل وتعود الى طريق الامان الحقيقي، طريق الديمقراطية في داخل الحركة الثورية، طريق المشاركة والمصارحة والتفاعل مع الجماهير.

٢٣ تشرين الاول ١٩٧٠

نداء المسؤولية التاريخية

المعـركـة المصيـريـة التي تواجهها أمتنا العربية تحتاج الى كل قدرات وطاقات هذه الأمة. تلك حقيقة تقع في منزلة البديهيات. ولكن البداية الطبيعية لهذا الحشد والتـوحيـد لطاقات الأمة العربية تتلخص في المرحلة الراهنة وتتركز في اتحاد جماهير الأقطار المحيطة باسرائيل وهي: مصر والعراق وسورية.

هذا ما يؤكده ويمليه منطق الوحدة المتجهة الى المعركة. فاتحاد الأقطار الثلاثة هو الاتحـاد الـوحيـد الذي يصح ان يسمى اتحاداً ثلاثياً، لان كلا من أقطاره الثلاثة، يشكـل ركنـاً أسـاسيـاً لا يستقيم الاتحـاد من دونه. فهو ليس اتحاداً رقمياً كمياً وليس مجـرد امتـداد جغـرافي بعيـد عن مواجهـة اسـرائيـل. وهـو لا يمكن أن يكون اتحاداً محـوريـاً يتجـاهل قطراً رئيسياً ويضع التناقضات الثانوية في منزلة التناقض الأساسي مع العدو. وهو أخيراً لا يمكن ان يكون صيغة وحدوية شكلية ليست مقصودة بذاتها، أو وسيلة لتمرير حلول استسلامية. بل ان هذا الاتحاد الثلاثي لا يمكن أن يكون في هذا الظرف إلا إتحاداً نوعياً، وان يكون الأساس لكل مواجهة جدية للعدو. فهو الذي يستطيع بالقوة التي يحشدها، ليس فقط ان يتكافأ مع متطلبات المعركة، بل هو الذي يستطيـع بمـا يتوافر له من عناصر السلامة والايجابية، أن يخلق الثقة في جماهير بقية الأقطار العربية، فتعود اليها ثقتها بالوحدة العربية، لأنها تدرك ان جهودها سوف تثمر إذا ما انضافت وانصبت في هذه البداية الطبيعية السليمة.

ولكن نظـرة الى الـواقـع العربي الراهن، ترينا ان هذا الذي نقوله ونتمناه، يكاد يكـون أقـرب الى الحلم منـه الى الحقيقـة وفي هذه المفارقة وحدها ما يكفي لفضح

أمـراض وتنـاقضـات مستـوطنـة في جسم الثورة العربية، ان لم تكشف اليوم وتحلل بصراحة ووضوح وبروح إيجابية، فقد تفوت الأمة العربية فرصة تاريخية ثمينة.

لقد ظلت هذه الامراض تفعل في هذا الجسم وتخرب سنين طويلة حتى كادت قوى الثـورة العـربيـة تصبـح نقيض حقيقتهـا، ويصبـح عملهـا وخـط سيرها مخالفاً لطبيعتها، بل ولكل شيء طبيعي في حياة الثورة العربية.

إذ كيف يمكن ان يقـوم في بلدين متصلين نظـامـان يقـولان بالانتماء إلى حركة ثورية واحدة، هي حزب البعث العربي الاشتراكي، ويستمران في تغليب التناقضات الفـرعيـة والثـانـويـة على مواجهة العدو، تلك التناقضات التي لايجوز ان توضع في مستـوى الأخطـار المهـددة لمصيـر الأمـة. فالـواضـح والأكيـد، بعـد هذه التجارب الطويلة المتكررة، ان إرادة الفرقة والتجزئة والتناحر هي الأصل والأساس، وان التبريرات العقائدية والسياسية تأتي لتستر وتغلفّ هذه الارادة.

ثم ما الـذي كان ومـا زال يدفـع بالحركة الناصرية الى معاداة حزب البعث، وما الذي يقيم بين سوريا والعراق ومصر، الفروق والحواجز المتعددة المظاهر والنسب، في حين أن أفكـاراً واهـدافـاً واحـدة تجمـع حزب البعث والحـركـة النـاصرية، وأن الجمـاهيـر العـربيـة، قبـل أن تقـع فريسة للتضليل الاعلامي، كانت من قبل وحدة ١٩٥٨ واثناءها، تنظر بحدسها الصافي الى هاتين الحركتين على انهما حركة واحدة.

وكيف يمكن لعربي مخلص أن يعتبر إرادة الانقسام والتجزئة والتناحر إرادة عربية وطنية وان ينزهها عن التخطيط الأجنبي المعادي.

لقـد مرت سنـون وسنـون على هذا التمـزق، والجمـاهير العربية تخضع مرغمة لمخططات الفرقة والانقسام على غير قناعة أو حماسة، لأنه كان يطلب اليها أن ترى الاختلاف حيث التوافق والتكامل والوحدة، وأن تستسلم لهذا الواقع الشاذ المناقض لطبيعـة المنطق والأشيـاء، فلا تستفيق إلا على صدمـة النكسات والهزائم لتلمح في ضوء ما ينتـج عن النكسـة من صحـو في العقـل والضمير، بطـلان ذلـك الانقسـام المصطنـع، كمـا تلمـح طريق الخـلاص في الوحدة والتوحيد، وفي استرداد الارادة

• السلبية والتحرر من تأثير المخططات اللاوطنية المتعارضة مع الخط الطبيعي لمسيرة الثورة العربية.

فما هي العوامل والمؤثرات التي سلبت الأمة العربية إرادتها حتى أمست تسير وفق ما يخططه لها اعداؤها من استعماريين وصهاينة؟ ومن الذي أراد أن يكون حزب البعث، حزب الوحدة والجماهير والتراث العربي والحضارة العربية، سجين الأطر القطرية والطائفية وأسير الواقع الذي جاء لتبديله وتغييره؟ ومن الذي خطط أن يكون هذا الحزب التاريخي على هذه الصورة؟ ثم من الذي فرض التحريم على علاقة الحركة الناصرية بحزب البعث، ودفع إلى رفع شعار (لا وحدة مع حزب البعث) وإلى مهادنة القوى والأنظمة الرجعية، في وقت لم يكن قد مضى عامان على نكسة الانفصال ودرسها المرير الذي كشف عن مسؤولية إنقسام قوى الثورة العربية في إعطاء فرص للاستعمار والصهيونية والرجعية لتضرب الوحدة. ومن قال ان حزب البعث العربي الاشتراكي هو نقيض الحركة الناصرية؟ وهو الذي التقى مع هذه الحركة التقاء تاريخيا على طريق الكفاح ضد الاستعمار وأحلافه ومشاريعه، واستطاع بالتعاون معها أن يحبط تلك الاحلاف والمشاريع الاستعمارية، والتقى بها في عمل تاريخي رائد في أول تجربة للوحدة العربية في هذا العصر، تلك التجربة التي كان طريقها الطبيعي ان تصل إلى معركة تحرير فلسطين. ولكن الاستعمار والصهيونية، اللذين كانا يدركان خطر هذه الوحدة ويعرفان طبيعتها النضالية التحريرية، وضعا كل ما يملكان من وسائل ودهاء وجهد لتخريبها من داخلها وللتفريق بين القوتين الثوريتين اللتين صنعتاها.

ولما تغلب حزب البعث، رغم ما أصابه من تمزق على وضع الانفصال وطرح مشروع الوحدة الثلاثية (ميثاق ١٧ نيسان) لتجديد الوحدة، كان لابد للاستعمار والصهيونية أن يبذلا جهوداً جديدة لاستعداء الحركة الناصرية على حزب البعث ولمحاولة لغم الحزب من الداخل باخبث الاساليب التي تستعير لغة الثورة وشعاراتها، حتى ضرب الحزب نفسه باسم اليسار واليمين، وحيل بين الحزب وبين

الالتقاء من جديد بالجماهير العربية في مصر التقاء يقطع الطريق على مخططات التجزئة والانقسام والتناحر والتنافس السلبي. ولا زالت اللعبة مستمرة لاتجد من يستنكرها ويفضحها.

ولقد نشأت جماعات وفئات وتكتلات، وجدت في هذه الانقسامات مورد رزقها ووسيلة لبلوغ السلطة والظهور وتمثيل الادوار، حتى أصبح الانقسام في داخل حزب البعث تجارة واسعة رابحة مضمونة النجاح تغري حتى العاديين والمغمورين، لأن قوى خفية ضخمة تمدّ يد العون والتشجيع لكل من يتعاطاها. كما أصبحت لعبة المحاور ومعركة المحاور مظهرا دائماً للعلاقة بين القوتين الرئيسيتين للثورة العربية، واصبحت ممارسة هذه اللعبة سهلة مستمرأة لانها تلقى التشجيع والترحيب والدعم من جميع الجهات التي تخطط للايقاع بالثورة العربية والقضاء عليها، ولان معركة المحاور لاتحتاج إلى جيوش ولا إلى تضحيات ولا إلى مشقةّ، بل تشكل مسرحاً لتمثيل أدوار المزايدة اللفظية المخربة، أو لتحويل الانظار عن مواقع التردي والاستسلام للمخططات الاجنبية.

ولكننا على أبواب مرحلة جديدة أخذت تباشيرها تظهر وتتجسد، ويسقط معها التضليل والتزييف وأصنام التزييف الذين جردوا اقلامهم ووضعوا حقدهم في وجه كل صيحة مخلصة وموقف شريف طيلة المرحلة السابقة. وأخذت تنقشع الغشاوات وينفتح الطريق واسعاً غير محدود لتفجر طاقات الامة العربية ونضال جماهيرها، وتظهر في بعض الاقطار معالم انفجار شعبي ذي دلالات واسعة يحتاج إلى أعلى مستويات القيادية والتجرد القومي حتى يتكافأ معه ويكون جديراً بقيادته.

إن هذه المرحلة تشير باصبع الاتهام الى الذين ما زالوا يمارسون لعبة الانقسام ويتاجرون بالخلافات وسياسة المحاور تحت شتى الحجج والادعاءات.

فالامة في ساعات اليأس والخطر البالغ تسترد إرادتها السليبة ووعيها الصافي السليم، إرادة البقاء والتقدم الكامنة في جماهيرها الواسعة الكادحة التي تدفع باستمرار ثمن النكسات والهزائم والمؤامرات والمخططات الاجنبية، والتي ترفض

اليوم ما حولها وتصمّم على النضال وعلى تبديل الواقع . . . ان هذه الجماهير العربية الكادحة التي لا تستطيع أن تشتريها الحكومات بالمال، ولم يعد للتضليل الاعلامي تأثير عليها، والتي تشكل القواعد الشريفة البريئة للحركة الناصرية ولحزب البعث العربي الاشتراكي ولباقي القوى الوطنية والتقدمية، طليعتها المناضلة، سوف تضع حداً للعب بمصائرها أمام اقتراب المعركة المصيرية، وسوف تفرض الوحدة والتوحيد على فصائل الثورة العربية من أجل دخول المعركة التي هي قدر الامة في هذه المرحلة، دخولا يضمن لها النجاح والنصر.

فالانظمة لن تستطيع بعد اليوم أن تهرب من عجزها إلى الادعاء، ولا من النقد الذاتي إلى النقد والتجريح، ولا من الحقائق إلى الشعارات ولا من الاستسلام للمخططات الاجنبية ولواقع التجزئة، إلى المحورية البعيدة عن هدف المواجهة للعدو وعن هدف التحرير. لأن القواعد الوحدوية المناضلة في الحركة الناصرية وفي البعث وفي المقاومة المسلحة وفي جميع المنظمات القومية والتقدمية المناضلة، وجماهير الامة الكادحة الثائرة، سوف تكون لها بالمرصاد.

إن هذه القواعد المناضلة مدعوة اليوم الى الارتقاء فوق التصنيفات الاصطلاحية، وإلى استنشاق هواء المعركة المصيرية، هواء النظرة الموضوعية، لخلق جو ثوري جديد، ولبناء القاعدة الصلبة للثورة العربية التي تقضي على الاستسلام والتجزئة وتفرض الوحدة والتحرير.

فليس بغير هذا التجديد لمناخ النضال وتنقيته من كل ما لحق به من شوائب مصطنعة ومن تزييف. وليس في غير هذا الظرف تستطيع هذه القواعد أن تفرض إرادتها على القيادات وأن تلتقي على صعيد التلبية الحارة لنداء مسؤوليتها القومية وواجبها التاريخي.

عام ١٩٧٠

حول مقال
نداء المسؤولية التاريخية

ايها الرفاق

لقد نبعت فكرة المقال من الفترة العصيبة التي تجتازها الأمة العربية، فترة ضياع وتشتت ويأس يزداد يوماً بعد يوم وكأن هناك مخططاً معادياً لكي يخدر الشعب العربي ويوقعه تحت شعور العجز التام واليأس من نفسه.

في هذا الجو يستيقظ الحس التاريخي في الحزب، والدور الأصيل للحزب يعود ليفرض نفسه بالحاح على ضمائر المناضلين وعقولهم: هل انتهى الحزب؟

هل تسري عليه هو أيضاً نفس قوانين اليأس والعجز والضياع ويكون من بين المستسلمين والمتفرجين على عجزهم وعلى ذلهم، أو انه، لما له من نظرة قومية شاملة، بما له من ماض طويل، يشعر انه مازال قادراً على أن يقول كلمته وأن يلعب دوره متجهاً الى المستقبل متحللاً من شتى القيود الاصطلاحية والآفاق الضيقة ولو بشيء من القسوة على النفس وبتوجيه اللوم والتعنيف للنفس، والرجوع الى الأفكار والمبادىء الأساسية للحزب، والرجوع الى عفوية الشعب بالوقت ذاته أو كشيء واحد، أي ان الرجوع الى المبادىء الأساسية هي مثل الرجوع الى عفوية الشعب.

هل نستسلم؟ أم نقاوم مؤمنين وواثقين بقدرات أمتنا اللامحدودة على المقاومة والصمود؟

وهذا يجب ان يبقى أيضاً ضمن صيغ واقعية وان لا يتميع في أحلام واسعة

وسائبة.

فمن أرض المعركة من موطن الخطر، يجب ان نستخرج الصيغة الواقعية العملية لتكون بداية الانطلاق البداية الناجحة المشجعة حتى تتحرك القوى العربية في الأقطار البعيدة وترفد هذه البداية وتكملها.

كيف نستطيع اذن ان نجند نواة قوة جدية للمواجهة، لمواجهة اسرائيل؟

هناك اذن الأقطار الأساسية واضحة: مصر والعراق وسوريا.

فلماذا إذن هذا الشيء البديهي في ضمير الشعب وتفكيره، لماذا هذا الشيء كاد يصبح أبعد شيء عن التصديق، أي أن تجتمع هذه الأقطار الثلاثة؟

لأن هناك مؤامرة كبيرة وقديمة، وحزبنا يعيشها من الداخل وأقدر من أي فئة في الوطن العربي على كشفها وفضحها وبالتالي تحطيم هذه العقبات التي كانت توضع دائماً لمنع وحدة الأقطار الثلاثة.

فكان لا بد إذن من التفاتةٍ الى الماضي، التفاتةٍ الى الوراء، الى ماضي أكثر من عشر سنوات أو ١٢ سنة، الى تاريخ قيام أول تجربة وحدوية الذي هو في الوقت ذاته تاريخ احكام أكبر مؤامرة استعمارية صهيونية، لم تكن المؤامرة الأولى ولكنها حلقة جديدة وضخمة تتناسب مع القفزة التي حققتها الأمة العربية في ذلك التاريخ من بعد جملة انتصارات تتالت في أعوام قليلة وتوجت بقيام الوحدة بين سوريا ومصر.

ضخامة هذه المؤامرة وخبثها يتمثل في انها لغم للثورة العربية من داخلها، بزرع بذور الانقسام والتناحر فيما بين قواها الرئيسية.

ولأن الاستعمار والصهيونية تقديراً لخطر نجاح الثورة العربية ولخطر تحقق الوحدة العربية على وجودهم، وضعا كل إمكانياتهم ودهائهم وأحدث أساليب التخريب في تلك المؤامرة، ولكن الثورة العربية من جهة أخرى غضة العود فيها ثغرات، وفيها سطحية، وفيها عاطفية أكثر مما فيها من الوعي العميق والتنظيم المتين، وفيها جملة تناقضات، كل هذا سهل ان تنزلق بعض القوى الثورية العربية في مخططات الانقسام دون تقدير لكون هذا ما يرمي اليه الاستعمار والصهيونية، اي انزلاق دون وعي تام واضح لمرامي هذا المخطط.

إذن الـدعـوة الى توحيـد هذه القوى الأساسية كبداية للمواجهة، لمواجهة العدو ولمعـركـة التحـريـر من دون هذا النقـد الـذاتي، وهذا الرجوع الى الماضي لتحليله وتـوضيـح تنـاقضـاتـه وأسبـاب نكسـاته، وكل مادخله من الارادة الأجنبية والتخطيط الأجنبي، الـدعـوة هذه تبقى دعوة شكلية وفوقية وسطحية وعقيمة، أما ان تبقى بدون تنفيـذ وأن تصبـح كمثـل هذه الـدعوات والمشروعات التي تقوم من اتحادات لا تبنى على أساس جدي، عميق ومتين من الوحدة الحقيقية بين الجماهير، وحدة تقوم على انقاض الرواسب والحواجز المصطنعة والأحقاد والخلافات التي افتعلها الأعداء.

إذن الدعوة منطلقة أساساً من جواب على سؤال مصيري:

هل نستسلم ام نقاوم؟ هل نيأس ام نؤمن بامكانية النصر؟

وبعـد هذا الجـواب من الطبيعي ان نعتبـر ان حزبنـا هو القوة الثورية المؤهلة ان تقـود وأن تتبنى هذه الـدعـوة، وأن تتـوجـه بثقة بالنفس وثقة بالامة، تتوجه إلى القوى الأخرى التي لابد من اشراكها اذا كنا مصممين على خوض المعركة.

ولا يمكن ان نجد سبيلاً إلى عقول جماهير هذه القوى وقلوبها اذا لم ننطلق من التجرد الكامل والنزاهة التامة والارادة المؤمنة فلا نميز أنفسنا عنها ولا نتجاهل قسطنا من الخطأ بل نتكلم بلغة الجماهير العفوية وبنظرتها التي لا تقر الخلافات مهما كانت وجاهتها أمام خطر الغزو الاستعماري الصهيوني المدمر لوجود الأمة.

هذه اللغـة التي هي لغـة الشعب، لغـة الجمـاهيـر، لا بد ان تصـدم العـادات المألـوفـة والتفكيـر العـادي والعقليات والمصـالح، ولكن ليس غير هذه اللغة قادراً أن يعبر عن الحاجات العميقة بهذا الظرف وأن ينقل القوى الثورية الى المناخ الثوري الحقيقي.

هذه الدعوة إذن، لئن تضمنت قسوة على أنفسنا كحزب فهذا هو الثمن والشرط الضروري لكي يبقى للحزب دور تاريخي، ولكي يبقى له حق القيادة وحق التوجه الى القوى الأخرى وتحريكها وتوحيدها. .

والمفـروض انـه إذا أدرك الحـزب مرامي هذه الـدعـوة، وارتفـع الى مستـواهـا المفـروض فيـه ان يرى فيهـا مصلحتـه العميقـة وسبيـل استمـراره كقـوة من قوى

المستقبل، مادامت القوى الأخرى لم تبرهن على نفس الدرجة من التجرد والوعي والثقة بالنفس حتى تبادر الى مثل هذا الموقف أو مثل هذه الدعوة.

طبيعي ان المقصود بالدعوة هي الجماهير وليست الأنظمة والمقصود بصورة خاصة من الحركة الناصرية هي الجماهير العربية في مصر لأن حزبنا يتميز بأنه يدرك اهمية مصر ولا يتصرف بردود الأفعال.

فمصر فيها مفارقات، فيها أعلى مستوى علمي وحضاري وصناعي بالنسبة الى الأقطار العربية الكبرى، وفيها أكبر كتلة بشرية من جهة وهي حديثة العهد بالوعي العربي ومتخلفة بأمور أخرى، إذا قيست بلبنان والعراق وسوريا تظهر متخلفة في بعض الأشياء الاساسية التي تدخل في صميم العمل الثوري العربي.

فلا بد أن تدخلها حركتنا ولا بد ان تتفاعل معها، وإذا عرفنا كيف هي العقلية في مصر، عقلية الطبقة المثقفة التي تعد بالألوف، هذه الطبقة القابضة على زمام التوجيه، وهي عقلية الاعتداد وعقلية الاستعلاء والاكتفاء بالذات وعدم التصور بأن شيئاً يمكن ان يأتي من خارج مصر لا بد اذن أن نجد الاسلوب المناسب، ان نزيل هذه الحواجز النفسية ولو اقتضى الامر حداً كبيراً من المرونة حتى يتحقق هذا الانفتاح.

لا يمكن ان ننتظر حتى يأتي الآخرون الينا، لا يمكن ان ننتظر الاخرين حتى يدخلوا المعركة، نحن يجب ان نبدأ، وان ندرك مسؤولياتنا، يجب ان نبادر.

نحن نتوجه الى الجماهير والى الفئات الواعية والبعيدة عن الانتهازية وعن المصلحية، القريبة من مصلحة الطبقة الشعبية، هذه تدرك بان مواجهة المعركة المصيرية لا تكون الا بالوحدة، وبالوحدة الجماهيرية الواسعة. وبالتالي الالحاح على أسباب الفرقة والأختلاف في هذا الظرف ليس إلا حجة من أجل التهرب من المعركة. افتعال المحاور والخلافات بين الأقطار والحكومات ومع حزب البعث بصورة خاصة. تذكرون كيف في وقت الموافقة على مشروع روجز افتعلت حملة على الحزب ربما كان القصد منها ان يعودوا الى المهاترات التي عرفناها في عام ١٩٦٣ و ١٩٦٤.

هذا مفهوم، انها ذرائع لتحجب عن الجماهير الطريق السوي الطبيعي لمقاومة العدو.

الطريق الطبيعي هو في الوحدة العربية، وحدة للتحرير، وحدة لدخول المعركة، وحدة الجماهير المسلحة المقاتلة، فالأنظمة التي تخاف من الجماهير والتي لا تسلح الجماهير، لا تستطيع ان تدخل في معركة مع العدو، وبالتالي تحتاج الى ان تتستر وأن تلقي التبعة على غيرها.

إذن فان حزبنا لا يستطيع ان يتخلف وأن يستعمل نفس الأسلوب بأن يلقي التبعة على غيره، والا سقط في عداد الحركات نصف الثورية وهبط الى مستوى الأنظمة القطرية العادية.

فاذا كانت هناك مسؤولية تاريخية كيف يجوز للحزب أن يدير ظهره لها؟ أن يتجاهلها؟ فاذا تجاهلها، فان التاريخ يتجاهله، ولا أقول بأن مجرد الدعوة للوحدة العربية ولدخول المعركة سيحقق هذه الغاية وان الوحدة ستتحقق وسندخل معركة التحرير.

كلا. . . ولكن يجب ان نبدأ، أن نحرك الجو. . . هنا دعوة الى شعب مهدد بوجوده أن ينتبه، دعوة الى الضمير والعقل، أن يصحو في ساعات الخطر ودعوة من حزب يقول عن نفسه انه حزب الوحدة العربية، حتى عندما يحمّل الحزب نفسه جزءاً من الأخطاء والنقد الذاتي فان هذا يجعل كلامه مسموعاً لدى الآخرين، فينظر اليه بانه موضوعي متجرد علمي صادق وانه لا ينشد المزايدة او الاستغلال أو تسجيل التقصير على الآخرين أو أي شيء من هذا النوع. هذه دعوة الى الشعب الى الجماهير، إلى الأفراد الواعين، المتجردين، المتحسسين بالمسؤولية التاريخية وهم موجودون في أمتنا وفي كل قطر.

ايها الرفاق:

إن هذا المقال هو حلقة في سلسلة طويلة وكم كنت اتمنى. . لو كانت أطول بكثير مما هي، أي ان أتمكن أنا وكثيرون غيري من الرفاق أن يكتبوا في هذا المجال منذ سنين، أي ان يوضحوا ويفضحوا أبعاد مؤامرة كبرى على حزب البعث، وهي

مؤامرة على الثورة العربية ولا تقتصر على الحزب. مؤامرة بدأت بالكشف عنها للرأي العـام الحـزبي والشعبي من قبـل ٢٣ شبـاط، منـذ عام ٦٤ حتى الآن في كتـابـات وأحـاديث في مؤتمـرات الحـزب وفي بعض مناسبات عامة في سوريا وفي ندوات مع القـواعـد قليلة، لانـه لم يكن ذلـك ميسوراً دوماً. كانت تقوم صعوبات جمة في وجه لقائي مع القواعد ولو راجعتم هذه المقالات والاحاديث التي جمعت في كتاب «نقطة البداية» وهي ليست كل شيء، لان أكثر الأحاديث والكلمات التي ألقيت في سوريا بين عامي ٦٤ و ٦٦ غير متوافرة وليست في متناول اليد، لوجدتم انها كلها تدور حول هذه الاشيـاء، أي ان هنـاك مؤامـرة يجب فضحهـا ويجب ان يلجأ الحـزب الى الجماهير يصارحها ويشركها في قضيته وفي المحنة التي يتعرض لها باستمرار. عندئذ سيجد العون الكبير من الجماهير.

كانت تطغى عوامل عدة. ومنها هذا الاعتبار، ان مايجري في الحزب يجب ان يبقى ضمن جدران الحـزب لان ذلـك غيـر مألوف، ولان ذلك يضعف الحزب عندما يكشف الخلافات والاشياء الداخلية لان اعداء الحزب يستغلون ذلك.

لكن قنـاعتي كانت دومـاً أن الفـوائـد من هذه المصـارحـة وهـذا الكشف هي أضعاف الخسائر والاضرار وهذه بالاصل النظرة الثورية التي ولد منها الحزب.

وأظن ان كل حزب ثوري يولـد هكـذا لانـه عنـدمـا نعلن للشعب هذه الاخطاء سيسمعهـا الاستعمـار والصهيـونيـة، ولكن عنـدما نقرر أن نعلن أفكارنا للشعب فاننا ننطلق من الايمان بأن الشعب بتفاعله مع هذا الفكر يتمكن من ضرب الاعداء ويُفوّت عليهم استغلالهم ومؤامراتهم.

فالاعداء سيعملون كل ما في وسعهم لاحباط هذه الحركة والتآمر عليها، ولكن عنـدمـا نمضي في طريق اعـلان أفكارنا للشعب نكون قد آمنا بأن اعتناق الشعب لها أقـوى من تخـريب الاستعمـار والـرجعيـة والاعـداء، وإلا لكـان أسلوب الجمعيات الباطنية والسرية هو الاسلوب الصحيح.

المؤامرة ايها الرفاق هي تشويه هذا الحزب تشويهاً كاملاً الى حد إيصاله إلى نقيضه..

المؤامرة أرادت تحويل الحزب من حزب الجماهير الواسعة الى حزب القلة القليلة الضيقة الحاقدة المتشنجة.

من حزب التراث العربي الى حزب الطوائف والاقليات، من حزب القيَم الانسانية الى حزب القمع، من حزب الوحدة والوحدويين الى حزب الانفصاليين والاقليميين..
لقد بدأت هذه الصورة تعطى عن الحزب بعد عام ٦٣ حين صوروه في الاجهزة الاعلامية بأنه حزب فاشيّ، حزب القمع والاجرام.

ان هذه المؤامرة اذا لم نكشفها لقواعد الحزب وللشعب ستبقى مسيطرة على أذهان الجماهير وأذهان القواعد، وحين تكوّن الجماهير فكرة معينة عن حزب البعث يستحيل ان تسير قواعد الحزب في صورة مختلفة. الجماهير هي المناخ الطبيعي والمجال الحيوي لعمل قواعد الحزب.

فاذا كان عند الجماهير صورة مشوهة عن الحزب فعمل الحزب بينها يصبح عبثاً.

يجب ان يكشف الحزب هذا التشويه التاريخي بعملية مصارحة موضوعية ونزيهة، بهذا يكون قد فتح لنفسه طريقاً جديداً بعدما كادت السبل تسد في وجه رسالته.

يجب ان نعيد الصورة الاصلية للحزب، هذا حزب الوحدة حزب التراث العربي، هذا حزب العروبة الانسانية، لا نتساهل في هذه الصفات بأي شكل من الاشكال، لا نقبل ان يتقوقع حزبنا فيأخذ شكلاً منفراً وحاقداً ومبغوضاً من الجماهير الواسعة..

فالحزب وجد للشعب وليس العكس...

والثورة وجدت للشعب وليس العكس...

فالمسألة إذن ليست جديدة، وإنما هي محاولة قديمة ومستمرة، وكل أملي ان يتبناها الحزب ويساهم فيها ولا تبقى على جهد فرد واحد.

عام ١٩٧٠

حرب تشرين والمصير القومي

«حـرب تشـرين حرب كشفت الامـة العـربية نتائجها بسرعة مذهلة، ان مرحلة جديدة في تاريخ العالم، في حياة العصر قد بدأت. وكان شيء من هذا قد ظهر على نطـاق اضيق وتأثيـر أخف في العـام ١٩٥٦ في ازمـة السويس وهذا ما يمكن تسميته «بعالمية القضية العربية».

منـذ قرن ونصف كانت «المسألـة الشـرقيـة» لهـا تأثيرات وتفاعلات شبه عالمية ولكن بمعنى تنافس وتطاحن الدول الكبرى ومصالحها في تلك المنطقة وتزاحم على اقتسامها واستغلالها.

ان بروز القضية العربية في هذه المرحلة هو بروز فاعل يعبر عن نهضة امة. ولئن كان لتنـافس الـدول المتقـدمـة صنـاعيـا على ثروات الوطن العربي دخل في اعطاء القضيـة مثـل هذه الابعاد، فان العنصر الذاتي القومي عنصر النهضة والانبعاث يبقى هو الاساس.

والاحداث الدولية الكبيرة وحدها لاتكفي لتعطي قضية من القضايا اهمية عالمية تاريخيـة تكـون بمثـابـة اشعاع. أما عندما يحصل لقاء بين هذه الاحداث وبين تطور ذاتي عميق ومتصل، في امة من الامم، فتأخذ المسألة شكلاً آخر.

الامة العربية في حالة تحفز وانبعاث منذ عهد محمد علي، وقد جاء العـدوان التـاريخي عليهـا باقـامـة دولة اسرائيل محرضا ومعجلا لنهضة اصيلة كانت ستـواصـل سيـرهـا ولولم يحصل هذا العدوان. فمعركة تأميم القناة في العام ١٩٥٦

بعد ظهور عبدالناصر كانت أول رد على هزيمة ١٩٤٨ وانشاء دولة اسرائيل، ولكنه لم يكن الرد الكافي فكان يحمل في انتصاراته وحتى في انتكاساته معنى الاستباق وانعكاس الآمال العربية على المستقبل. وفي هذه الحالات من اطوار ومراحل نهضة الامة تكون الارادة القومية دوما أقوى وأعمق وأبعد أثرا واوضح تعبيرا من ارادة الافراد أو حتى الحركات الثورية. فعبد الناصر في تخطيطه الواعي لم يكن ينوي محاربة اسرائيل في حزيران ١٩٦٧. ولكن الارادة القومية العميقة كانت تضغط وتملاء الجو من أجل الوصول الى مجابهة قد لاتكون متكافئة، ولكنها تنقذ القضية الاساسية من النسيان والاهمال والتبني اللفظي الخادع، والانحراف بالنهضة العربية عن طريق المعركة الاساسية، وعن طريق النضال الجدي القاسي والمواجهة الجريئة الصريحة مع الاستعمار والصهيونية قبل الانغماس والتيه في سراديب التنمية التي لا هدف اساسيّاً لها..

وهكذا وبرغم هول الهزيمة التي حلت بالعرب في حزيران ١٩٦٧ وبالرغم من كونها جاءت اقسى وأوسع مما توقعه الاعداء فان نتائجها تفاعلت تفاعلا خصبا مع نفسية الامة وعوامل النهوض والتقدم فيها وبدلا من ان تلد اليأس جددت الحيوية والايمان وصقلت الكفاءة، وكانت حرب تشرين بعض نتائجها. ان الامة العربية التي وقع عليها اكبر ظلم في العصر قبلت التحدي وجعلت هدفها ان تحقق من خلال تحريرها لنفسها ودفاعها عن حقها تحرير العالم من الظلم. وكان بالتالي من الطبيعي ان تأخذ حرب تشرين هذه الابعاد الدولية والمعاني الانسانية.

وهنا لابد من الاشارة الى الهزة العميقة التي احدثتها هزيمة حزيران في نفوس المثقفين العرب.

فقد دفعتهم الى الاقتراب اكثر فأكثر من مشاكل امتهم ومصيرهم والانكباب على امراض الحاضر لتحليلها ومعالجتها بمستويات وأساليب متعددة وكان من نتيجة ذلك هذا التخمر الثوري القومي الذي انفجر في حرب تشرين قوة وكفاءة وبطولة. وظهرت هزيمة حزيران بشكل واضح، انها كانت بصورة خاصة نتيجة القحط الفكري الذي رافق الحكم الديكتاتوري نتيجة غياب الفكر الحر، وتدني مستوى الثقافة، ثم ظهر

في الفترة مابين هزيمة حزيران وحرب تشرين ان دور المثقفين ومعالجاتهم للحياة القومية كانت افعل وأعمق اثرا من الشعارات الحزبية التقليدية المستهلكة ولو ان ذلك لايصيب جميع الاحزاب الثورية والتقدمية بالنسبة نفسها مما يشير الى نقص وخلل في الحياة الحزبية التي غزتها البيروقراطية، فلم تعد بواقعها الراهن تربة خصبة ومناخا صحيا لازدهار الفكر الثوري الحقيقي.

الاحداث والشعب

الاحداث هي نصف المسألة ونصفها الآخر هو اثرها في الشعب. ان تاريخ الشعب وتراثه وانتصاراته ونكساته في الماضي والحاضر ومؤهلاته للمستقبل في الاستمرار والانبعاث هي المحصلة وهي الجواب على الاحداث.

والذين طبخوا مؤامرة اغتصاب فلسطين منذ أوائل هذا القرن والتقوا في هذه المؤامرة مع المصالح الاستعمارية من اجل ابقاء البلاد العربية في حالة تجزئة وتخلف حتى يسهل على القوى الاستعمارية استغلال ثرواتها والاستفادة من موقعها ومزاياها لم يكن في حسابهم ان يتحول هذا المشروع الاستعماري كما ذكرنا ـ الى محرك ومحرض للنهضة العربية.

وهنا يدخل عامل تكوين الامة التاريخي والجغرافي. فهي من قديم الزمان تعيش على ارض هي ملتقى الطرق بين القارات، ثم ظهرت فيها دعوة دينية لها ابعاد عالمية، وتطور تاريخها بهذا الاتجاه الانساني العالمي. وعندما تؤخذ هذه الامور بعين الاعتبار يفهم لماذا يأخذ الجواب العربي على التحديات الاجنبية والمؤامرات الدولية حجما ومعنى بحجم العالم ومعنى الانسانية.

وهنا تتبادر الى الذهن ثورة فيتنام ومقارنتها بالثورة العربية. فحرب فيتنام هي منارة في تاريخ نضال الشعوب وصمودها دون شك، ولكنها لم تأخذ في يوم من الايام حجم القضية العربية حتى في اسوأ حالات هذه القضية. أي عندما كانت في وضع يائس وضعيف. ذلك ان شعب فيتنام وحضارته لم يشكلا بالنسبة الى العالم وبالنسبة الى العالم المتقدم بصورة خاصة التحدي والمنافسة في حين يعترف للامة العربية صراحة أو ضمنا بهذا الدور. ومثلما كان في ١٩٥٦ استباق للزمن وتطلع للمستقبل

وتصـور امكـانـات الحـاضـر وكأنهـا قد تحققت في المستقبـل، تتكرر الظاهرة اليوم فيعيش الشعب العربي في تخيل النتائج والتطورات الكبرى التي ولدتها حرب تشرين وكأنها متحققة الان، رغم انها لاتزال بذورا تحتاج الى وقت والى عناية وجهود مستمرة لكي تنمو وتثمر ولا يصيبها الجفاف أو الهزال، خاصة ان الاعداء قد انصرفوا منذ الان الى التفكير واعداد الوسائل التي تبدد هذه البذور او تضعف وتؤخر نموها وتنحرف بها عن غايتها.

والقيادات الحالية تستغل هذه الحالة لتنفرد في التصرف بمقدرات الامة من دون ان تجـد مراقبـة شعبيـة جدية على عملها. وليس في تصرف هذه القيادات ما يطمئن الى ان ايجابيات حرب تشرين ستسير في طريق النمو وفي الاتجاه الصحيح.

ان الافـراد حتى عنـدمـا يكـونـون من النوعية الفذة النادرة التي تصنع التاريخ، يكـونـون في تصـوراتهم وأعمـالهم دون مستـوى الارادة والامكـانـات الشعبيـة. فكيف اذا كانوا من النوع الذي تأتي به الظروف والمصادفات ليحصد ما زرعه غيره؟.

ان الخطر يكمن اليوم في نوعية القيادة ومستواها، فبينما تعتبر الجماهير انها لم تتمكن من اعطـاء كل طاقـاتهـا ومن اكمال النصر الذي بدأته، تعتبر قياذات الانظمة انها بايقافها الحرب عند ذلك الحد قد تفادت الهزيمة، وانها احرزت من المكاسب اكثر مما كانت تتوقع واكثر مما كان الشعب يستحق، وهذا يدل على ان هذه القيادات كانت عاجزة عن فهم نفسية الجماهير وادراك غنى امكاناتها لانها كانت فاقدة التصور الصحيح لتـاريـخ الامـة ولرسالتها ولتراثها وللمستقبل الذي تطمح اليه فاقدة لادراك ملامـح العصـر واتجـاهه أي فاقدة لعنصر الفكر وهذا اهـم شرط يطلب توافره في قيادة المستقبل الى جانب الشروط الاخرى.

احتيال على النصر

هنـاك شعـور غالب في الـرأي العام العربي بوجود غبن كبير واحتيال. شعور بان النتائج او الحل الذي تسعى اليه الانظمة هو اقل بكثير او غير متناسب مع ما كشفت

عنه حرب تشرين من طاقات عربية هائلة .

فثمة احتيال على النصر وتقليل من حجمه وشأنه . كما حدث تآمر عليه عند وقف اطلاق النار لايقاف الاندفاعة التاريخية التي انطلقت من الجيوش العربية والجماهير العربية . والتي تجلت في وحدة الشعور القومي تجاه معركة المصير، وخلق حالة من الغرور والشعور بالثقة والاطمئنان الخادع ، ليسهل معها القبول بالتفريط في الحاضر واعتباره تفريطا موقتا لايلبث ان يعوض، بقصد تعميم الاسترخاء وتبريد الجذوة، ولجم الانـدفـاعـة واخمـاد النـار التي ظلت تتأجـج منذ هزيمة حزيران حتى الحرب الاخيرة في تشرين، وكذلك المضي في عملية تقرير المصير القومي في اخطر ظرف مر على الامـة العـربيـة في معـزل عن الجمـاهير. وفي اصرار على قمعها ومنعها من التحـرك وقـول كلمتها فيما يخص مصير الامة ومستقبل اجيالها ، واعطاء فرصة للعدو لكي يعالج اسباب الهزيمة التي مني بها ويتداركها ويعد للنهوض منها ويستغل حالة الجمـود والـذهـول التي تخيم على البـلاد العـربية ويفاجىء العرب بضربة تعيد اليه بعض المكاسب وبعض المعنويات التي فقدها .

اريد لهذه الحرب ان تكون مصنوعة ومحدودة ، وان لاتتجاوز في اهدافها تطبيق قرار مجلس الامن (٢٤٢) الذي يمثل حالة العرب عندما اصيبوا بهزيمة حزيران ، او حالـة الضعف العـربي، مقـابـل التفـوق الاسـرائيلي في ذلـك الحين ، ولكن الحرب جاءت على غيـرمـا خطـط لها وتفجرت بالطاقات والقدرات الخلاقة الخارقة . ورغم ذلك بقيت الانظمة عند مطلب القرار القديم لمجلس الامن وفي مستواه . لانها كانت مشـاركـة في صنـع الهـزيمـة وعـاجـزة عن تجاوز ذلك المستوى . وكما اثبتت حرب حزيران ان الاتكال على هذه الانظمة هو الذي يحرم الشعب العربي من ثمار انتصار تاريخي . .

ان هذه الانظمـة لوكانت تمثـل ارادة الجمـاهير، لاستمرت في القتال ، اوعلى الاقـل في تعبئـة الجمـاهيـر وفي قطف ثمـرات الانطـلاقـة القومية . فتحقق خطوات وحـدويـة حاسمـة بين الاقطـار المقـاتلة تكـون هي الضمـانـة لانسحـاب العدو من

الاراضي، ولتراجع الاستعمار بدلاً من الاعتماد على (نخوته وصدقه).

فأمام هذا التشويه والاحتيال على نتائج النضال العربي لابد من تجاوز هذه الانظمة لكي يعود الوضع الى سلامته، وتقف الجماهير امام مسؤولياتها وامام اعدائها وقفة صريحة واضحة لايداخلها الالتباس ولاينطلي عليها الخداع. ولكي تسترد الجماهير العربية زمام مقدراتها وتفرض على الاعداء النتائج المنطقية الطبيعية لكل نصر وهي: رفض التفريط بالارض وبالحقوق القومية، وتوفير القوة الفورية الضامنة لجدية هذا الرفض، في توحيد الاقطار المقاتلة واطلاق حرية الجماهير وطاقاتها الخلاقة.

الجماهير تمارس حريتها في الحرب.

لقد ضاعت فرص كثيرة ثمينة منذ وقف اطلاق النار حتى الآن. ولكن لايزال امام الجماهير العربية فرصة لكي لايتحول النصر الى هزيمة كاملة. لتتحرك هذه الجماهير ولتقل كلمتها في هذا المستوى المتخلف من الحكم والقيادة والذي استوى فيه مع فروق نسبية ـ التقدمي والرجعي. ولقد اصبح واضحا ان الفرق بين التقدمية والرجعية ليس فقط في الانجازات الاجتماعية ومشاريع التنمية والتعمير، بل هو في الشيء الاساسي والاهم، وهو بناء الانسان العربي الحر، ولاتزال الانظمة على اختلافها سجونا كبيرة لهذا الانسان، ولاتزال العقلية الفردية الفوقية السلطوية هي اكبر عائق في سبيل ولادة هذا الانسان العربي الجديد، ولقد كانت حرب تشرين مناسبة لاظهار بعض ما يستطيع هذا الانسان العربي اعطاءه من كفاءة وشجاعة وبطولة نادرة، عندها يتحرر من سجن الانظمة بدخول الحرب، لان الحرب في الاوضاع العربية الراهنة امست المجال الوحيد لممارسة الجماهير العربية لحريتها. وهذا ما يفسر تلكؤ الانظمة في الاقبال على الحرب ومسارعتها بانهاء القتال عندما تشعر بان استمراره سوف يؤكد استرداد الجماهير حريتها بصورة نهائية.

ان ثورة العرب في هذا العصر هي الحرب لانها المجال الاوسع والاكمل والاسلم لتفتح جميع مواهبهم وتفجر كفاءاتهم وبطولاتهم. والحضارة التي يسعى

العرب الى بنائها لن تبنى الا من خلال النضال في اعلى مراتبه واشكاله، اي النضال الشعبي المسلح، وستكون الحضارة القائمة على احترام المبادىء والمثل الانسانية، وعلى احترام الانسان وحريته وكرامته واحترام حريات الشعوب والسعي نحو السلام الحقيقي.

ان حرب العرب في هذا العصر هي حرب تحرير وحرية، وكرامة، وحب للحياة ودفاع عن الحياة. حرب العرب هي الحضارة وهي الثورة، هي ذروة التنظيم والعلم والانضباط والتضحية والاخلاق. **من هنا تأتي اهمية الحرب الاخيرة التي لو اتيح لها ان تستمر لافضت الى تغييرات جذرية وجوهرية حاسمة لصالح القضية العربية بصورة عامة ولفلسطين بصورة خاصة.**

معركة فلسطين جزء من المعركة القومية

ان معركة فلسطين هي جزء من المعركة القومية، ومسؤولية تحريرها تقع على العرب جميعا لان المستهدف من قيام «اسرائيل» هي الامة العربية لا القطر الفلسطيني. والمخطط الصهيوني الذي وضع في اوائل هذا القرن لم تقتصر حدوده على ارض فلسطين فحسب، بل تعداها الى اجزاء اخرى اضافية من اراضي الوطن العربي.

عندما تكون قضية فلسطين هي الاصل والاساس، وهي قضية العرب الاولى، لايعود هناك فرق بين ارض فلسطين وبين ارض اي قطر عربي اخر، الا من ناحية خطر ترسيخ الاستيطان الصهيوني وترسيخ الادعاء التاريخي الباطل للصهيونية بحقها في ارض فلسطين. ويصبح كل تحرير لارض عربية هو جزء من تحرير فلسطين او مساعد او ممهد لتحرير فلسطين.

ولكن عندما تكون عودة هذه الاراضي الى مصر وسوريا لها ثمن: هو التنازل عن فلسطين للصهيونية، وعندما تكون عودة هذه الاراضي بداية لانصراف مصر وسوريا عن معركة التحرير، وعن وحدة المصير. بدلا من استخدام هذه العودة، وهذا الكسب، لمزيد من الاعداد والتهيئة للجولة المقبلة مع العدو،

عنـدئـذ يظهـر التفريط بالقضية القومية، وينكشف التزييف والاحتيال، وتجعل قضية فلسطين هي القضيـة الاخيـرة والاقـل اهمية، وليست قضية العرب بل قضية جزء من الشعب الفلسطيني . ! .

والذي يجري الان هو ان مصر تريد استرداد اراضيها، وكذلك سوريا، ولايجوز ان تتـذرع المقـاومـة بحجة تخاذل الانظمة وقبولها بالتسوية، لانها تصبح عندئذ مثل قيـادات الانظمـة القـابلة بالتسـويـة سواء بسواء. الدولة الفلسطينية بمقدار ماهي رمز التسـويـة، هي ايضـا رمز ارجاع فلسطين او القضية الفلسطينية من حجمها التاريخي المصيري بالنسبة الى الامة العربية، الى حجم جغرافي قطري، هزيل ممسوخ!

ان اعطاء الاهمية الاولى، الكبرى، للقطر، للجزء قبل الكل يؤدي الى التفريط بالقضية القومية، ان مجموعة قطريات لاتوصل الى الوحدة، ومجموعة مصالح قطرية لاتوصل الى المصلحة القومية!

ان فلسطين والشعب الفلسطيني همـا دومـا الضحية، وهما يدفعان دوما الثمن. **وهـذا يجب الا يستمـر لان هذا الجـزء الذي يحاولون ارضاء الفلسطينيين به لايمثل سوى خمس اراضي فلسطين، وسـوف لايكـون حرا، عدا انـه سيؤخـذ من الشعب الفلسطيني صك تنازل عن بقية اراضيه.**

ان جو التسـويـة يسـود، في غيـاب التحـرك الجمـاهيـري، وفي حال التحـرك الجمـاهيـري يسـود المنطق القومي حتى في ابعد الاقطار عن الوعي القومي، او اكثر الاقطار حرصا على المصالح القطرية.

ان التحـرك الجمـاهيري الذي ظهر في مصر اخذ ابعادا قومية، فهو لم يضع في رأس الهدف البناء والتعمير، واستخدام رؤوس الاموال، واعادة بناء المدن المخربة. بل ان التحرك الجماهيري في مصر ـ مثلما ظهر في عدة مناسبات طرح قضايا قومية مثـل التحـرر من الاستعمـار والصهيـونية، والارتباط العضوي بالبلاد العربية وبقضية الوحدة كعامل اساسي في معركة التحرر.

ـ يجب ان نرفض دولة فلسطينية من ضمن التسوية.

ـ يجب ان نرفض اعادة الاراضي الفلسطينية الى حسين .

ـ المطلوب تعطيل التسوية في مصر وسوريا ودفع كل قطر عربي للمساهمة في تعطيلها لانها هي الاساس لتسوية الدولة الفلسطينية او لتسوية عودة الاراضي الى حسين .

ـ **المطلوب استئناف المعركة والاعداد لها**، فاما ان تنسحب اسرائيل دون شرط ودون مقابل عندئذ تقوم سلطة وطنية على هذا الجزء من ارض فلسطين بانتظار معركة التحرير الكامل، واما ان يستمر النضال حتى يتم التحرير في المستقبل .

الوحدة والديمقراطية

يجب الاعتراف باننا ما زلنا رغم التحول الكبير الذي احدثته حرب تشرين ـ مازلنا بوضع دفاعي مهددين باستمرار بهجوم غادر من اسرائيل والامبريالية الاميركية . وان اخر ماتفكر فيه «اسرائيل» واميركا هو التسليم بانتصار العرب ورجحان كفتهم وتمكينهم من استثمار هذا الرجحان لتحقيق مزيد من التقدم والقوة .

وليس من شك في ان ثمة في «اسرائيل» والولايات المتحدة هيئات على اعلى مستوى سياسي وعسكري تدرس ليل نهار وتخطط للاخذ بثأر هزيمتهم النسبية في حرب تشرين . ولئن تحقق في الوقت نفسه نوع من التضامن العربي كان له اثره الفعال، فان ما يعده الاعداء للمستقبل بعد صحوتهم وذعرهم من بوادر النصر العربي لن يكفي لمواجهته اعداد على الوتيرة السابقة اي في اطار التجزئة العربية والتنسيق المرتجل والتضامن القصير النفس . وليس من جواب ناجح على الاعداد المعادي الا بالخطوات الوحدوية . وفي جو التجزئة الراهنة تصعب مطالبة الجماهير بالاستمرار في تحمل اعباء معركة لم تعد هذه الجماهير واثقة من جديتها، ويسهل بالتالي في جو العزلة القطرية نجاح مغريات الازدهار والرخاء . في حين ان الجو الجديد الذي تخلقه الوحدة جو الثقة بالنفس والايمان بالمستقبل والشعور الحي برسالة الامة كفيل بان يفجر في نفوس الجماهير العربية الطاقات والكفاءات الخلاقة .

ان خلاص العرب هو في الوحدة وسبيلهم الى تحقيقها هو الديمقراطية . ولكي

لاتبقى الـوحـدة مطلبـاً نظريا ، ولكي لاتنحرف الديمقراطية الى اهداف اقل جوهرية من الـوحـدة . فيجب ان تتـوجـه الجمـاهيـر لانتـزاع حقها في الديمقراطية المرتبطة بالـوحـدة . اي لتحقيق الـوحـدة جمـاهيـريـا وتحقيق الديمقراطية من خلال النضال الوحدوي للجماهير.

شباط ١٩٧٤

نداء الى المناضلين العرب

ضرب الثورة الفلسطينية ضرب للقضية الموحدة للامة[1]

ان الأحداث الراهنة التي يشهدها لبنان، هذه الأيام، تمثل مرحلة من فترة التراجع والتردي التي بدأت بشكل واضح وصريح مع هزيمة عام ١٩٦٧، ومع نكسة الانفصال عام ١٩٦١ في حقيقة الأمر. بعد ان كانت فترة الخمسينات، فترة المد القومي، هي المعبر الصادق عن حصيلة النضال الفكري والسياسي والثوري منذ بداية ظهور النهضة قبل قرن ونصف.

اذن، فترة الخمسينات لم تكن فورة آنية منقطعة الصلة بما قبلها، وانما هي الوريث والمكمل الذي انضج الجهود المتتابعة والمتفاعلة مع معاناة الشعب وتراثه وقيمه الأخلاقية والانسانية، ومع مايجري في العالم من تطور.

لذلك، لا يجوز ان نعطي لفترة التراجع والتردي، التي نشهدها، وما أفرزته من انحرافات، أية قيمة ايجابية. لأن هذه الفترة هي المظهر السلبي للتراجع المؤقت للمبادىء القومية الحائزة على اجماع الشعب العربي، امام هجمة شرسة لأعداء الأمة استغلت بعض نواحي الضعف في المجتمع، واخطاء القيادات في تطبيق المبادىء. وهذا لا يمنع ان نرى في مظاهر الانحراف والتردي مجالا خصبا للتحليل

---

(١) نداء وجهه الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي الاستاذ ميشيل عفلق بتأريخ ١٠ حزيران ١٩٨٥.

والتعمق في معرفة أسباب الأمراض، وأساليب الأعداء في تآمرهم على نهضة الأمة، على السـواء. ولكن الأهم هو أن يتـرسـخ يقيننـا بصحـة المبادىء والمنطلقات التي وجهت مسيـرة النهضـة، لأنهـا من صنـع الأمـة، وهي في أحسن حالات اليقظـة واستـرجـاع الشعور بدورها الحضاري والانساني، ومن صنع مفكريها ومناضليها في أجواء صحية مُبَرّأة من التعصب والهيجان، ومن الأطماع والجشع الى السلطة ولعب الأدوار، كمـا هي الحـال اليـوم، وفي أجـواء الجهاد ضد المستعمرين، والدفاع عن السيادة والاستقلال، والتعلق بالحرية، والتطلع الى الرقي.

هذه المبادىء والمنطلقات القومية ستبقى أقوى وأمضى سلاح في يدنا في مواجهة مؤامـرة التشكيـك والتيئيس، شريطـة ان نعـزز مصداقيتها بالاستبسال والتضحية في سبيلها، لكي يتجدد فعلها في نفوس الشعب ويتعمق أثرها ويتسع ليشمل كل الفئات والأوساط، فيمحو الترسبات الطائفية والاقليمية التي برزت في الآونة الأخيرة لدى البعض.

مؤامـرة واحـدة تحـدث آثـار مختلفة ومتناقضة حسب الوسط الذي استهدفته هذه المؤامـرة، وحسب درجـة تمثله وهضمـه لمبـادىء النهضـة وممـارستهـا الحيـة في النضال. فمؤامرة الصهيونية لتفتيت كيان لبنان والرجوع به عشرات السنين الى الوراء واغـراقـه في دمار الحرب الطائفية وويلاتها، لا تختلف عن المخططات التي أوحتها أطمـاع الخميني في السيطـرة على العـراق والـوطن العـربي، متـوهمـا ان بامكـانـه استغلال الفروق الطائفية، فكيف كان جواب الجماهير الشعبية في العراق، صاحبة الماضي العريق في النضال الوطني والقومي، والتي وجدت في هذا التحدي الجديد لوطنيتها وعروبتها، مناسبة لكي تسجل مستوى نادراً في الوعي والبطولة والتضحية؟

ذلـك ان العـراق بكـامـل شعبـه ومختلف فئاته يعيش حالة نهوض مشرقة تستلهم المبادىء القومية الاشتراكية، كما عبر عنها المد الشعبي القومي في فترة الخمسينات.

بينمـا لبنـان، بسبب هشـاشة تركيبه، الذي بني على الأسس الطائفية منذ تكوينه الحـديث، فجـاء تركيباً مضعضعاً غير مستقر على أسس عادلة متطلعة الى التقدم..

بل كانت منشدّة الى الترسبات الموروثة من عصور التخلف والانحطاط. وكان أبناء الطائفة الشيعية في هذا التركيب اقل الفئات حظاً في خيرات الوطن وأكثرها حرماناً وتعرضاً للاضطهاد. لذلك كان صمودها ضعيفاً امام اغراءات السقوط في لعبة الصراع الطائفي ليس تعبيراً عن حقيقتها العميقة بقدر ما كان ذلك توسلاً لرفع الظلم واسترداد الحقوق، ولو على حساب المبادىء وشرف الانتساب الى الأمة والمساهمة في صنع مستقبلها.

لقد استغل اعداء الأمة ظروف التراجع والتردي، وما افرزته من انحرافات. وكذلك ظروف لبنان بتكوينه الهش المصطنع لتحميل الفئات المكونة للمجتمع اللبناني اكثر من طاقتها على الصمود والاحتفاظ بالوعي والنظرة المستقبلية، من خلال اغراقها بالأخطار والمآسي، ومن خلال الامتدادات الاقليمية والدولية التي وجدت في هذا التكوين تربة خصبة للتدخل من وراء الواجهات الطائفية، في وقت كانت فيه القوى الحية الممثلة لفكر النهضة وروحها منشغلة بمواجهة قوى الردة، التي تنتعش مع كل نكسة قومية.

واذا كان الكيان الصهيوني بمساعدة وتأييد الامبريالية هو المدبر والمحرك لخيوط المؤامرة على لبنان، فان النظام السوري كان المنفّذ الأساسي لهذه المؤامرة، وبخاصة انه قد حمل منذ تسلطه على سورية هذه الشبهة الطائفية التي حتمت عليه ان يكون معزولاً عن الشعب، ومضطراً دوماً ـ لادامة بقائه ـ الى لعب الادوار الخارجية الملتقية مع مخططات الأعداء، لصرف الأنظار عن عزلته الداخلية.

فلولا النظام السوري، لما تجرأت «أمل» على ضرب المخيمات. لقد وفر لها السلاح وحاول ان يوفر لها الغطاء كما وفر من قبل غطاء للفئات المنشقة عندما ضربت مخيمات طرابلس. واذا كان المغامرون والانتهازيون الوصوليون قد ارتضوا ان يقوموا بهذا الدور، فكيف ترتضيه جماهير الشيعة الكادحة التي تمد «أمل» بالمقاتلين، وهي التي تلاحمت مع الثورة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني؟

ان هذا الموقف المنحرف لمنظمة «أمل» يعكس حالة الشذوذ التي تطبع الفترة الراهنة، والتي لم تكن تخطر في البال من قبل. . . أبناء القضية الواحدة والمصلحة

الواحدة، ورفاق النضال يقتل بعضهم بعضاً!!

هذا الموقف المنحرف الذي يقيس مدى التردي والشذوذ اللذين اصابا العمل الوطني عندما تخلت القيادات عن المبادىء القومية ورضيت بالانحدار الى مستوى التشرذم الطائفي المذهبي، دليل جديد على ان الارتداد عن المبادىء القومية الى العصبيات والمصالح الفئوية هو انحدار لا يقف عند حد، ولا يتورع عن ارتكاب اخطر الانحرافات.

ان النظام السوري يتحمل القسط الأوفر في بروز حالة الشذوذ واستشرائها، بسبب امتهانه قدسية القيم القومية، وتحريضه بعض الفئات على امتهانها، وتعويد الناس على ذلك بهدف تيئيسهم، سواء باعتداءاته المتكررة على الثورة الفلسطينية لكي يستحوذ على القضية الفلسطينية ويستخدمها ورقة من اوراقه السياسية الخارجية، او بوقوفه الى جانب ايران ضد العراق. وهذا يتطلب موقفا حازما منه. فاذا عجز الحكام اوجبنت بعض الأنظمة عن اتخاذ هذا الموقف، فهناك الأحزاب والهيئات والفئات العربية المناضلة والمثقفة. وهذا امتحان لجدارتها بتولي القيادة النضالية في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها الأمة. لأن موقفا مبدئياً جريئاً كهذا، لابد ان ينعكس على الشعب داخل سورية فيمده بالقوة الاضافية التي يفتقر اليها حتى يتكافأ مع وسائل الارهاب التي في حوزة النظام الديكتاتوري.

ان القضية القومية في الظروف الراهنة تشترط تضامن جميع الفئات القومية على اختلاف اقطارها مع النضال الشعبي لكل قطر لتضاف قوتها الى قوة النضال المحلي الذي يواجه وسائل الانظمة القمعية في صراع غير متكافىء. والظروف الراهنة تقدم الفرصة المواتية لممارسة وحدة النضال العربي كحقيقة ثابتة متجددة تستوجبها الضرورة القومية المصيرية، بعد ان تأكد بالواقع اليومي خلال سنين طويلة. ان تفكك وحدة النضال وانكفاء كل قطر داخل حدوده، هو العامل الرئيسي في تعطيل قوة الجماهير العربية وابعادها عن قضيتها وعن صنع مستقبلها.

ومع ايماننا بأن القضية الفلسطينية اكبر من ان يستطيع اي حاكم او نظام ان يستحوذ عليها او ان يزيفها، فاننا لانستخف بالمؤامرة وبالطور الخطير الذي بلغته،

والـذي لا يجـوز معه الصمت والتجاهل من قبل الانظمة العربية، ومن باب اولى من قبـل الأحـزاب والهيئـات القـومية المناضلة. والجواب المطلوب يجب ان يكون في مستوى المؤامرة الخطيرة التي مازالت فصولها تمثل، والتي تجاوز فيها العدوان على الشعب الفلسطيني كل الحدود الهمجية... اي ان يكون الجواب فيه من الجرأة في الانتصـار لقضيـة العـرب الكبـرى المتمثلة الآن في هذا الصمـود البطولي للمقاتلين الفلسطينيين ولسكـان المخيمـات، مايعـادل، على الأقـل، جرأة المنحـرفين في اعتدائهم على كل القيم التي يقدسها شعبنا العربي.

لقـد ضاع وقت طويـل في التـردد والـلامبـالاة ولكن الـوقت لم يفت بعـد امـام المقـدرين لمسؤوليتهم التأريخيـة من المنـاضلين والمفكرين العرب لكي يتنادوا الى لقاء عاجل ليس من المستبعد ان يسجل بداية لتحول حاسم في حياة الأمة.

ولكي تأخـذ هذه الـدعـوة بعـدهـا العملي، فانني باسم حزب البعث العـربي الاشتـراكي، أدعـو قادة الأحـزاب والهيئـات الشعبية والمفكرين العرب وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية للتداول حول عقد هذا اللقاء، في أسرع وقت ممكن.

١٠ حزيران ١٩٨٥

ثلاثة تحديات تواجه الواقع العربي

ليس هناك من يحل محل مصر

● كان للاعتداءات الصهيونية والاميركية الاخيرة ضد امتنا العربية، والثورة الفلسطينية، وقع شديد على النفس العربية. ليس لبشاعة الاعتداءات وهمجيتها، وانما للعجز العربي ازاءها. فما هي اسباب هذا العجز في تصوركم، وكيف تكون عملية الخروج منه؟[1]

ـ العجز العربي، الذي تشيرون اليه ليس مفاجئا، بل هو طابع مرحلة او حقبة من الزمن امتدت طوال السنوات العشرين الماضية على الاقل. ولهذا العجز اسبابه القريبة والبعيدة التي تناولها المفكرون والمحللون واسهبوا في تحليلها ودراستها. ولكنه، في اعتقادنا، حالة مؤقتة لايمكن ان تستمر طويلا، مهما قيل في خطورتها واستفحالها. وثمة اكثر من مؤشر على ان رحلة الخروج منها قد بدأت.

غير ان الشيء الجوهري والحيوي بالنسبة الى مستقبل الامة العربية، ومستقبل نهضتها الحديثة، هو الطريقة التي تتم بها معالجة هذه الحالة. هل ستكون طريقة سطحية ووقتية وجزئية، كما في الحالات السابقة، أو انها ستعبر عن نضج تجربة

---

(١) حديث لمجلة الطليعة العربية التي تصدر في باريس بتاريخ ٢٨ ـ ١٠ ـ ١٩٨٥.

عشرات السنين للفكر والنضال، وبالتالي ان تكون نتيجة دراسة وتخطيط يسهم فيه الفكر العربي في اعلى مستوياته، والمناضلون العرب الذين تتمثل فيهم التجربة النضالية الشعبية، وتتلخص بأعمق معانيها؟

بتعبير اوضح، يشترط في هذه المعالجة الجديدة لظاهرة العجز العربي، ولكيفية الخروج منها: الايمان اولا بالمنطلق القومي، وثانيا بالمنطلق الشعبي الديمقراطي، وثالثا بالعمق الحضاري، ولقد كانت كل المعالجات حتى الآن تفتقد بعض هذه الشروط.

هنالك حقيقة مستقرة في اعماق الضمير العربي، حقيقة وجدانية ولكنها في الوقت نفسه علمية وموضوعية، مؤداها ان امكانات الشعب العربي فيما اذا تحررت من حالة العجز الراهن، اي اذا انطلقت قوى الشعب النضالية وتوحدت وراء اهداف حية، اصيلة، معبرة عن حاجات الانسان العربي بكامل ابعاد شخصيته القومية الحضارية، فانها قادرة ليس على رد الهجمة الامبريالية الصهيونية واسترداد الارض والحقوق العربية فحسب، بل ايضا على العطاء الانساني والابداع الحضاري.

ثمة ثلاثة تحديات تواجه الواقع العربي هي:

التجزئة، والتخلف، وفقدان الاتجاه الحضاري الواحد. فعندما تحسم مشكلة القومية باقرار وحدة الامة، وعندما تحسم مشكلة التخلف بالخيار التقدمي الواضح الحاسم، يبقى موضوع روح الحضارة، وعندئذ تقرر الحقيقة التالية:

ان الاسلام يشكل النسيج الروحي والحضاري، للامة العربية. فحركة الوحدة العربية، وهي حركة تاريخية، لم تتأخر او تتعثر حتى الآن، الا لانها لم تطرح بمضمونها الكامل على الجماهير العربية. . اي بخياراتها الثلاثة: القومية العربية، والتقدم، والاسلام الحضاري.

● لقد كان تحرك الجماهير العربية في مصر وانفعالها بالاحداث القومية الراهنة متميزا، ولا سيما ضد الاعتداءات الامبريالية ـ الصهيونية على الامة العربية. فما هو تفسيركم لذلك؟

ـ لم نفاجأ برد فعل الجماهير العربية في مصر على الاعتداءات الاميركية ـ الصهيونية الاخيرة، بل كنا متأكدين من ذلك، وهذه ظاهرة ليست جديدة فقد كانت جماهير مصر العربية، الوحيدة التي تظاهرت استنكارا لضرب المفاعل النووي العراقي من قبل طيران العدو الصهيوني، رغم القمع الذي واجهتها به اجهزة امن السادات. ثم استمرت الظاهرة وتطورت بعد زوال السادات لشعور الجماهير الشعبية في مصر بأنها هي التي حكمت على السادات واقتصت منه على استسلامه وتكبيله مصر بالمعاهدة التي فرضها العدو رغم ان الجيش المصري كان هو المنتصر. كما اقتصت جماهير مصر من السادات على عزله مصر عن جسم الامة العربية، وتفريطه بقضيتها المركزية.. قضية فلسطين.

لقد انتزعت الجماهير العربية في مصر حريتها انتزاعا، ولم تأتها هبة من احد. وهي ما زالت تتقدم في ممارستها النضالية والديمقراطية مولية القضايا العربية، وبخاصة قضية فلسطين اهتمامها الاول، كرد على معاهدة «كامب ديفيد» التي رمى منها العدو الى اخراج مصر من ساحة الصراع العربي ـ الصهيوني، وتكليفها ما هو ضد طبيعتها، وتاريخها، وقدرها ومصيرها. اي ان تقف مكتوفة الايدي، بينما العدو الصهيوني يغزو لبنان في عام ١٩٨٢، فيدمر مدنه، ويلاحق المقاومة الفلسطينية بكل آلته الحربية ليقضي عليها. ولكنه فوجيء بالمقاومة الفلسطينية ـ اللبنانية الباسلة، والاعمال البطولية الخارقة، كما فوجيء بالغضب العارم يجتاح جماهير مصر التي كانت في ذلك الوقت متميزة في وقفتها الوطنية ضد العدو الصهيوني، وفي مؤازرة المقاومة الفلسطينية.

وبمقدار عمق الطعنة التي طعن بها السادات مصر ومصالحها الحيوية، ومركزها الدولي، ودورها العربي، كانت الصحوة ومحاولة التصحيح والتعويض قوية واصيلة. لأن ما يحدث في مصر في السنوات الاخيرة، ليس أقل من مراجعة عميقة شاملة ذات ابعاد وحدوية وحضارية، بدأت منذ الآن تؤثر ايجابيا في حياة الجماهير العربية في كل قطر من اقطارها وفي صنع المستقبل العربي.

فاذا كانت الهزائم والنكسات والردات قد اثمرت مثل هذه الصحوة، وهذا التفاعل الشعبي العميق مع المصير القومي العربي. فأصبحت الوحدة العربية في مصر حقيقة يعيشها الشعب في كفاحه ونضاله اليومي في سبيل المطالب الاجتماعية، او في سبيل الحقوق والكرامة الوطنية، كما اصبحت محور تفكير المفكرين ومناضلي الاحزاب الوطنية والهيئات والنقابات الشعبية. نقول: اذا كانت هذه هي الثمرة، فانها حصيلة ايجابية وثمينة باعتبار وزن مصر الحاسم في النهضة والمصير العربيين.

اننا مستبشرون بهذا التحرك الجماهيري في مصر وبالتطور العميق في الوعي القومي الذي حدث فيها خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة. فقد احدث ارتداد حكم السادات على سياسة عبدالناصر صدمة للشعور وللرأي العام في مصر، فبدأت المفاهيم القومية تكتسح العدد الاكبر من الطبقة المثقفة، والطبقات الشعبية بمختلف فئاتها، وتضعها امام مسؤولياتها الوطنية والقومية.

ولكن يجب ان لاننسى ان المسؤولية الملقاة على عاتق مثقفي مصر وجماهيرها الشعبية، ليست بالمسؤولية السهلة ولا البسيطة، لان الاعداء استغلوا الردة التي قام بها السادات، وهم مشاركون في صنعها، ليحتلوا مواقع في مصر ويضعوا الكثير من القيود، لكي يصبح الخروج من الردة امرا بالغ الصعوبة.

لقد كان رأينا، منذ ان تمكن الشعب العربي في مصر من ازالة السادات، ان مسؤولية نهوض مصر من كبوتها واستكمالها لخطوات استرداد حريتها وعافيتها، وتحطيم القيود المكبلة لحركتها وارادتها، هي مسؤولية الجماهير العربية والمناضلين العرب على امتداد الوطن الكبير، بقدر ما هي مسؤولية جماهير مصر، وقياداتها المفكرة والمناضلة. اذ لم يعد جائزا، ان يترك أي قطر عربي وحيدا في معالجة ازماته وظروفه المصيرية، وبخاصة مصر المستهدفة منذ زمن بعيد من قبل اعداء الامة العربية لغرض عزلها وتعطيل دورها في حركة النهضة والوحدة العربية. فالمستقبل العربي يصنع الان من خلال التحديات الكبرى وجواب الشعب العربي عليها، وهو

على مفترق الطريق: اما ان يبقى سجين الضعف والعجز، اذا بقي سجينا للتجزئة القطرية، واما ان يحقق النقلة النوعية الوحدوية التي تضعه جديا على طريق النهضة التاريخية، لاسيّما ان الامة العربية تقترب الان من الوضع السليم الذي يؤهل للانطلاقات الكبرى، وللابداعات، وللاحداث التاريخية، طالما امتلكت مصر هذا السلاح التاريخي او هي في سبيل امتلاكه.

لايستطيع احد ان يمن على مصر وشعبها العظيم، وقد كان العرب، دوما، مقصرين بحق مصر مع تفاوت في النسب، حتى عندما تكون تصرفات السياسة المصرية خاطئة او منحرفة، فان العرب مسؤولون، لانهم لم يحتاطوا من قبل لمنع هذا الخطأ او هذا الانحراف، ولم يفعلوا كل ما يجب ان يفعلوه.

واذا كنا نشعر بالاعتزاز العميق والتفاؤل الكبير لموقف شعبنا العربي في مصر من اعتداءات الكيان الصهيوني والولايات المتحدة، وللمطالبة الشعبية بالغاء معاهدة «كامب ديفيد» وطرد السفير الصهيوني من القاهرة، وبرفض المعونات الاميركية على ارض مصر. . وغير ذلك من قيود التبعية، فاننا نعرف ان هذا يرتب واجبا قوميا خطيرا على بقية العرب وعلى الهيئات والاحزاب العربية المناضلة لكي تعبيء الجماهير من اجل التضامن المصيري الكامل مع مصر، وان تفرض على حكومات الاقطار العربية، بحسب امكاناتها المادية، ما يكون بديلا للمعونة الاميركية كحد ادنى ومرحلة اولى في مساعدة مصر على استكمال تحررها من قيود المعاهدة الصهيونية الاميركية، ومن كل ما يعيق انطلاقها الجديد في حركة النهوض العربي الشامل.

اهمية مصر، اضافة الى الجوانب العديدة، أن اوضاعها شفافة وكاشفة للاوضاع العربية بكاملها. شفافة بمعنى ان الشعب المصري بكل فئاته وقياداته من مختلف الاتجاهات ضد الارتباطات التي ورط بها السادات مصر، والتي افقدت مصر الشيء الكثير من استقلالها وسيادتها، وافقدتها دورها العربي القيادي ووزنها الدولي المرتبط بدورها العربي، عدا عن التدهور الاقتصادي والاجتماعي والاخلاقي، وهذه الارتباطات مستمرة ولم تتوقف الفئة الطفيلية التي اعتمد عليها السادات، والتي ما

زالت تمثل امتدادا لحكمه في الوقت الراهن عن الدفاع عنها، وتبريرها بالادعاء الباطل انها تمثل الخيارات التاريخية لصنع السلام، وتسبغ عليها ثوب المبادىء والقناعات في عملية تزوير لتاريخ القضية العربية كلها، ولنضال ابناء مصر.

وهي كاشفة للاوضاع العربية، لان الاقطار العربية بمجموعها معترضة، بنسب مختلفة، على تورط مصر في هذه الارتباطات ولكنها لاتستطيع ان تفعل شيئا وبعضها لايريد ان يفعل شيئا. رغم علمه بان الشعب المصري كله ضد هذا التورط، وهو معارض له ناقم عليه. وهذه الحالة من العجز الذي ينطوي بعضه على التآمر، اذ ليس كله عجزا بريئا، اعطت في الماضي حجة للسادات، وتعطي الآن حجة لمكملي سياسة السادات بأن لابديل عن الطريق الذي سلكوه.

ان القضية العربية لم تكن في يوم من الايام مترابطة في مشكلاتها وعقدها مثلما هي في الوقت الحاضر. فهناك انظمة تحتج بـ «كامب ديفيد» لابقاء مصر معزولة، وهي في الواقع تريد لـ «كامب ديفيد» ان يستمر، لانها تجد مصلحتها الضيقة والوقتية في ابقاء مصر معزولة عن الاقطار العربية، وهي تضع ملياراتها في خزائن الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية المؤيدة والداعمة للكيان الصهيوني، بدلا من ان تقدم بعضا منها لمصر لتتحرر من المعونة الاميركية. كذلك هي في سياستها المزدوجة في تأييد القضية الفلسطينية بينما تدعم بكل الوسائل النظام السوري الذي يقوم باعمال التصفية الجماعية للمقاومة الفلسطينية ومخيمات الشعب الفلسطيني كما يفعل الكيان الصهيوني تماما.

ليس هناك من يحل محل مصر بسبب عوامل طبيعية وتاريخية هيأتها لهذا الدور، ولكن هناك من يساعدها على اختصار الطريق وانضاج الوعي للقيام بدورها. كما ان هناك من يعاكسها. ان ما يساعد مصر على ان تقوم بدورها القيادي حق القيام، هو ان تعرف بوضوح كيف ساهمت الاقطار الاخرى والحركات القومية في انضاج هذا الوعي.

وهنا نشير الى دور العراق، فلو لم يكن حكم البعث في العراق منذ ١٧ تموز

١٩٦٨ حتى الآن، لما امكن ان يحصل ما حصل في العلاقة مع مصر، ولما كان تم خلال السبع عشرة سنة هذا التفاعل البشري، والتفاعل القومي، والتفاعل القتالي في الحرب بكل ما ترمز اليه هذه الحرب من معان قومية.

عراق البعث يعرف، لانه بعثي، دور مصر ويعترف به. . ويعرف انه لايمكن ان يكون البديل، فأخذ دور الشقيق المساعد المؤازر المعاضد. وعندما انتكست مصر وتآمر السادات على دورها، وقف العراق ليس من اجل ان يأخذ دور مصر، ولكن من اجل ان تستمر القيم التي دافعت عنها مصر والامة العربية، ومن اجل ان تنهض مصر من نكسة الردة. ولانظن ان صورة العراق الناهض والرافع لهذه القيم التي سقطت فترة في مصر، رغما عن مصر وعن شعبها، صورة العراق القوي بعد «كامب ديفيد»، ثم صموده وبطولاته في حرب غير متكافئة يدافع فيها عن الامة العربية وعن طريق النهضة والمستقبل، لا نحسب ان هذه الصورة لم تسهم في رفع معنويات المناضلين في مصر والشعب عامة.

مصر هي القطر القائد، وهي الوزن الاكبر، وهي الروح والثقافة والشعب والاصالة. . ولكنها جزء، والعروبة اكبر منها، وكما أن الاقطار العربية لاحياة لها الا بمصر فان مصر لاتستطيع ان تعيش الا كجزء من الامة.

● منذ الغزو الصهيوني للبنان في عام ١٩٨٢، تصاعدت الهجمات الشرسة ضد المقاومة الفلسطينية، من قبل الاعداء وبعض الانظمة العربية. ما سبب ذلك في رأيكم وكيف تستطيع المقاومة ان تواجه هذه الهجمات، وتتجاوز مخاطر المرحلة؟

- اذا كنا قد وصفنا حالة مصر بعد توريطها بالارتباطات الاجنبية، وبمعاهدة «كامب ديفيد» بأنها حالة شفافة وكاشفة للاوضاع العربية، فان القضية الفلسطينية هي اكثر القضايا العربية شفافية، وهي ايضا كاشفة للاوضاع العربية قبل ان تصبح حالة مصر كذلك.

فمنذ وجدت القضية الفلسطينية بتنفيذ المؤامرة الصهيونية الاستعمارية، وزرع

الكيان الصهيوني في فلسطين، اصبحت هي القضية المركزية لنضال الامة العربية، في مواجهتها لاعدائها الخارجيين من صهاينة وغرب استعماري، وفي مواجهتها لتحديات الواقع العربي واقع التجزئة، والتخلف، والظلم الاجتماعي، وعزل الجماهير الشعبية، وستبقى دوما هي المعيار لمدى تقدم او تقهقر قضية الامة العربية في نهضتها الحديثة، والعروة الوثقى التي تشد نضال ابنائها في مختلف اجزائها. ولذلك فان التآمر الامبريالي الصهيوني من اجل انهاء هذه القضية يشتد ويتصاعد، وكانت اولى نتائجه الخطيرة، المؤامرة الامبريالية الصهيونية في عزل مصر عن جسم الامة العربية، والتخلي عن القضية الفلسطينية بموافقة السادات والفئة الطفيلية التي شايعته في مصر.

ان الغارة الصهيونية الاجرامية الاخيرة على مقرات منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، والتي تمت بموافقة ومساعدة الولايات المتحدة، وما لحقها من اعمال قرصنة قامت بها احدى اكبر قوتين في العالم ضد الطائرة المصرية المدنية، وما سبق هذه الغارة الاجرامية من غزو للبنان واعتداءات لاحصر لها عليه، انما تهدف الى انهاء القضية الفسطينية، لابل انهاء الشعب الفلسطيني. والشيء المؤلم ان هذه الاعمال الاجرامية والمحاولات المحمومة لانهاء القضية الفلسطينية، تتم بمساعدة ادوات عربية، احيانا، كما جرى وما زال يجري في لبنان على ايدي النظام السوري وعملائه. والقصد من ذلك، أي من انهاء القضية الفلسطينية، هو ترسيخ التجزئة وتعميقها، وتفتيت الامة العربية الى امم وطوائف وقبائل، اذا استطاع الاعداء ان يطمسوا قضية فلسطين. وهذا في اعتقادنا وقناعتنا من المستحيلات، اذ ستبقى قضية فلسطين هي قضية وجود الامة العربية وتحقيق وحدتها ونهضتها، وستظل هي الضوء الكاشف للعجز العربي، والحافز الدافع الى التعرف على اسباب هذا العجز والعمل على تجاوزه.

عندما طرحت قضية فلسطين بعد عام ١٩٤٨ طرحت قضية النهضة العربية بمستوى ونظرة جديدين فقامت ثورات وانقلابات، استجابة فورية لما حدث، اكثرها

كان ترجمة غير امينة لتطلعات الشعب، لان المطلوب كان تغييرا جذريا في العقلية وفي الاوضاع السياسية والاجتماعية اذ كانت حرب ١٩٤٨ برهانا على افلاس المجتمع العربي حتى ذلك الوقت، وتخلفه، وعدم صلاحيته للصمود في مثل هذه المعارك.

ولان قضية فلسطين، هي قضية الامة العربية وقضية نهضتها بجوهرها الحضاري وبعدها الانساني فقد اسميناها مرارا: قضية العصر، لانها امتحان للضمير العالمي، ولاسس الحضارة العالمية، واخلاقيتها. وبهذا المعنى فهي كاشفة ايضا، للاوضاع الدولية ولتصرفات الدول الكبرى التي تتحدث عن الديمقراطية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، وتتصرف كالعصابات وبوسائل ارهابية لحرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه الوطنية، ومن حقه في تقرير مصيره على ارضه.

ان اشتداد الهجمة التي يشنها الاعداء بضراوة ضد المقاومة الفلسطينية، والتي يعاونهم فيها بعض العرب تأتي تنفيذا للمخطط الهادف الى انهاء القضية الفلسطينية.

ان المقاومة الفلسطينية التي برهنت على قدرة غير عادية على الصمود والحركة وابقاء القضية الفلسطينية حية ساخنة على المسرح الدولي، رغم الظروف والاوضاع العربية المعروفة، جديرة بان تحظى بتقدير المناضلين العرب ودعمهم، وتفهم شعار استقلالية القرار الفلسطيني الذي ترفعه.

ففي مواجهة وضع عربي بهذا التردي والتشرذم، وبوجود انظمة عديدة فاسدة ومتنكرة لمسؤوليتها القومية، تكون مطالبة المقاومة الفلسطينية باستقلالية القرار الفلسطيني حقا مشروعا، بل واجبا وطنيا.

ولكن، في نظرة ثورية مستقبلية لمعالجة الاوضاع العربية معالجة جذرية شاملة ورسم طريق النهوض من حالة التردي والعجز الراهنة، وتصحيح السير، وتوحيد الجهد والنضال، في عملية تاريخية تكون المقاومة الفلسطينية من ضمنها وفي

قلبها، لايعود لشعار استقلالية القرار الفلسطيني من معنى، كما ان شعارات ومفاهيم ومبادىء سياسية كثيرة رائجة سوف تسقط ويبطل مفعولها وتفقد معناها كذلك. ومنها مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية.

اذن، طريق الخروج بالنسبة للمقاومة الفلسطينية من المأزق الذي تدفع اليه دفعا. لايمكن ان يكون الا الطريق نفسه، لخروج الامة العربية من حالة العجز التي تعتورها. .

ان المقاومة الفلسطينية مطالبة اليوم بتوحيد صفوفها وتعزيز وحدتها لمواجهة هذه الهجمة، ولكي تأخذ دورها في حركة الثورة العربية على طريق صنع المستقبل وبناء نهضة الامة بافق نضالي وحضاري جديد.

● رغم بشاعة العدوان الصهيوني على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، وما تميزت به عملية القرصنة الاميركية ضد الطائرة المصرية من استهتار وغطرسة، فقد تجاوب الغرب مع العدوان، وصوره على انه «عمل بطولي». ما تفسير ذلك؟

ـ كشفت الاحداث الاخيرة عن ظاهرة هي ليست بالجديدة، ولكن كثيرا ماتنسى اولا تعطى الاهمية التي تستحقها في الاوقات العادية. هذه الظاهرة هي ان الغرب ما زال يشعر بانه حضارة معادية للعرب والاسلام كحضارة أخرى، وان حضارة الغرب هي المتفوقة، وهي التي استطاعت عبر القرون الاخيرة ان تفرض نفسها على العالم الى حد كبير، وانها رغم تفوقها ورغم سيطرتها لم تستطع ان تقضي على الصمود الراسخ في جوهر الحضارة العربية الاسلامية، رغم ما اصابها من نكسات وما آلت اليه من تخلف بالنسبة للحضارة العالمية.

بعد ان فشل الغرب في الاحتفاظ بمستعمراته وبالسيطرة على مقدرات معظم الاقطار العربية واضطر الى الانسحاب، وجد في المشروع الصهيوني اداة جديدة، ووسيلة لابقاء العرب في حالة التخلف والتجزئة حتى يسهل عليه استغلال مواقع وثروات هذه الاقطار، ولو بشكل جديد ومختلف عن الاستعمار القديم. ولقد كان

اللقاء طبيعيا وقويا بين المشروع الصهيوني وسياسة الغرب الاستعمارية منذ بداية ذلك المشروع.

وعندما تحقق لهذين الحليفين: الاستعمار والصهيونية العالمية، اقامة الكيان الصهيوني الغاصب لارض فلسطين، دخل الغرب في علاقة جديدة مع اليهود واليهودية. فبعد مضي اربعة قرون على النهضة الاوروبية، كان الغرب خلالها يعتبر ان حضارته مستندة الى صيغة من التفاعل بين المسيحية والحضارة اليونانية ـ اللاتينية القديمة ويدرّس ذلك في جامعاته، اذا هويجري تعديلا جوهريا على هذه المسلمة، او يبدلها بان اصبح الاساس لحضارته هو التفاعل بين الديانتين المسيحية واليهودية وهي عملية سياسية مفضوحة ليس لها من مبرر الا القوة التي بلغتها الصهيونية في الغرب حتى استطاعت ان تفرض مثل هذا التعديل الايديولوجي الاساسي، والا اطماع الغرب في استغلال البلاد العربية وثرواتها، واعتبار الكيان الصهيوني جزءاً متقدما من حضارة الغرب مزروعا في قلب البلاد العربية تجمعه بالغرب صلات ومصالح واهداف مشتركة. واصبحت اليهودية، التي كانت الى عهد غير بعيد موضوع تمييز ديني، وعنصري، واضطهاد في بعض الاحيان في الغرب، اصبحت اليهودية جزءا عضويا في جسم الغرب، وحليفا ليس لمحاربة العرب والاسلام فحسب، بل لمحاربة الاتحاد السوفياتي وزعزعة استقرار مجتمعه في الداخل، والتشهير به في الخارج.

منذ بداية الحرب العالمية الثانية اتضح ان من اهم اسباب فشل وتعثر النضال العربي التحرري ضد الاستعمار الغربي، ان ذلك النضال كان اولا: مجزأ غير موحد، وثانيا: ان قياداته لم تكن تؤمن بدور الجماهير، وثالثا: ان اهداف النضال لم تكن تعبر عن كامل الحاجات والنزعات والتطلعات التي كانت تخالج ضمير الجماهير العربية. اذ كانت الاهداف مقتصرة على النواحي السياسية ومغفلة للعدالة الاجتماعية، ولما يتعلق بحرية الانسان العربي وكرامته، وما يتعلق بجذوره النفسية والشعورية والثقافية وبتطلعه الحضاري. وكانت المرحلة قد نضجت لمخاطبة

الانسان العربي والجماهير العربية بلغة جديدة، وبصيغة تحرك في هذا الانسان وفي هذه الجماهير أقوى الدوافع النضالية واعمق النزعات الروحية التي تدفع الشعب الى النهضة والبناء، وتجدد فيه حسه التاريخي واندفاعه الى الابداع والمساهمة في صنع الحضارة الانسانية. اي، بكلمة مختصرة، ان المرحلة اصبحت مهيأة لان يأخذ النضال العربي صيغة مشروع حضاري جديد لامة واحدة ذات تاريخ عريق ورسالة حضارية انسانية وطبيعي ان يحتل الاسلام كثورة عربية فكرية اخلاقية اجتماعية ذات ابعاد انسانية، ان يحتل مركز المحور والروح في هذا المشروع الجديد.

هذا المفهوم الثوري الحضاري للاسلام جاء كنتيجة للمعاناة الفكرية النضالية للواقع العربي المجزأ المتخلف والمنقوص الحرية والسيادة، امام الحضارة الغربية الاستعمارية الغازية المتسلطة، واصبح هذا المفهوم بدوره ملهما لصيغة جديدة للنضال القومي تهدف الى التحرر، والعدالة، والوحدة في سبيل تحقيق رسالة الامة الانسانية.

● عندما اطلقتم نداءكم التاريخي اثر الهجمات البربرية التي تعرضت لها مخيمات الشعب الفلسطيني في بيروت على ايدي عملاء النظام السوري وبمساعدته دعوتم الى مستوى جديد في النضال القومي، يتناسب مع المرحلة. ماهي ابعاد هذا النضال، وما هي شروط انطلاقه؟

ـ هذه الاحداث الاخيرة، على قوتها وخطورتها، وما حركته من مشاعر شعبية عميقة وواسعة، في مصر بصورة خاصة وفي الوطن العربي كله بصورة عامة، كان يؤمل منها، ويمكن لها ان تتحول الى منعطف تاريخي تحطم فيه الجماهير العربية القيود التي تفرضها الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، وتنهي زمن تلقي الضربات والعجز، وتدخل مرحلة جديدة من امتلاك الامة لارادتها والسيطرة على مقدراتها، والانطلاق في طريق تعبئة الجهود والاعداد الجدي للمواجهة الحاسمة مع العدو.

لكن ذلك لم يحصل، لانه كان يشترط وجود المستوى القومي القيادي الممثل لامكانات المستقبل، والذي ما زال مفقودا، وتأتي الاحداث متلاحقة لتذكر

المناضلين والمفكرين الملتزمين بقضية امتهم بضرورة اللقاء والتفاهم والتخطيط من اجل هذا العمل المستقبلي المعبر عن توافر الشروط ونضج المرحلة للبدء في مباشرة مثل هذا العمل التاريخي، وبخاصّة ان مصر قد ولدت من جديد في صميم المصير العربي، والقومية العربية، وهو كسب تاريخي لايعادله في القيمة شيء آخر.

اذن، المستوى الذي يجب ان تطرح فيه القضايا العربية، هو مستوى الوعي القومي، ومستوى التجربة النضالية، ومستوى التجرد القيادي، من اجل التعجيل في النهوض وفي القضاء على السلبيات وعلى التفاوت السلبي بين الاقطار، ومن اجل العمل الوحدوي بافق مشروع قومي حضاري تاريخي.

هذا المستوى الذي يستطيع ان ينظر بعمق وان ينظر بعيدا في آن معا. الذي يستطيع ان يقدر اهمية مصر الحيوية حتى عندما تكون مصر في حالة نكسة وتقهقر، ويستطيع ان يكتشف ويتوقع عوامل القوة والصحة التي ستمكنها من النهوض وتنضج وعيها وتجربتها الى الحد الذي يؤهلها للقيام بدورها القيادي بشكل اسلم وانضج من التجارب السابقة.

اذن، لاغنى عن ايجاد هذا الصعيد الجديد الذي يتجاوز، ليس الانظمة فحسب، بل الاقطار كاقطار مهما تكن اهميتها وخطورة امكاناتها ومواقعها.

عملية بناء المستقبل العربي تتطلب مساهمة مجموع الامة ومجموع اجزائها واقطارها وفئاتها، الكبير منها والصغير على حد سواء. لان كل جزء لابد ان يملك مساهمة اساسية ثمينة يضيفها الى اسهامات الاجزاء الاخرى. وفي كل جزء مهما يكن صغيرا مشاكل وسلبيات اذا لم تفهم بروح قومية عميقة رحبة، تستطيع ان تعطل مسيرة الامة كلها.

٢٨ تشرين الاول ١٩٨٥



الفهرست

الباب الثالث
معركة الوحدة

الباب الرابع
النكسات القومية